



25.2.2016

ديوان
ابوالقاسم الشابي

دار المسودة - بيروت

ديوان :

ايو القاسم الشايج

دار العود - بيروت

ديوان :

ابو القاسم الشابي

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حُقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

١٩٩٧

يطلب من طار الصوحة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفيرا سنتر

تلفون: ٨١٨٤٠٥ - ٨١٨٤٠٦

ص. ب: ١٤٦٢٨٤ / بوقيا، الصوحة

دراسة وتقديم: الدكتور عز الدين اسماعيل

اختلف المؤرخون لحياة ابي القاسم الشابي حول يوم مولده ، والشهر الذي وقع فيه ذلك اليوم ، ولكنهم اجمعوا على ان مولده كان في سنة ١٩٠٩ ، ثم يرجح الاستاذ ابو القاسم محمد كرو انه ولد في شهر مارس (آذار) . وكانت ولادته في بلدة « الشابية » ، واليها كانت نسبته ، وفيها دفن . وقد عرف بيت الشابي على مدى اجيال بالعلم والفضل ، وكان الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي - والد شاعرنا - من نسل هذا البيت . كان عالما فاضلا ، درس بالجامع الأزهر في القاهرة ،

ثم بجامع الزيتونة بتونس ، وحصل على اجازة « التطويح » ، وهي شهادة اتمام الدراسة بالزيتونة .
وقد تزوج الشيخ - فيما يبدو - قبل أن ينهي مرحلة طلب العلم ، وأنجب ولده أبا القاسم قبل أن يعين قاضيا شرعيا بعد تخرجه من الزيتونة . وقد فرضت هذه الوظيفة على الأب ان يتنقل من بلد الى آخر في شتى انحاء تونس ، فأتاح هذا الفرصة للطفل لان يملأ عينيه من ذلك التنوع المائل في طبيعة تلك الاماكن ، وطبائع اهلها واشكال حياتهم المختلفة . وقد استغرقت هذه الفترة من حياة شاعرنا ما يقرب من عشرين عاما ، حيث توفي والده سنة ١٩٢٩

بدأ شاعرنا أبو القاسم حياة التحصيل منذ صباه الباكر ، حيث ألحقه ابوه بالكتاب لحفظ القرآن الكريم . وفي سن التاسعة كان قد حفظ القرآن كله ، فقرت به عين والده ، ولعله - اي الوالد - قد رغب في أن يوجهه الى دراسة من نوع دراسته ، فتعهد بنفسه على مدى عامين ، يلقنه علوم العربية ومبادئ العلوم

الدينية ، ويرشده الى ما يطالع من الكتب التي كانت تحتويها مكتبته .

وفي مستهل عامه الثاني عشر قدم شاعرنا الى تونس لكي يستأنف دراسته بجامع الزيتونة . وبعد مضي ما يقرب من تسع سنوات حصل أبو القاسم على نفس الاجازة التي حصل عليها أبوه من قبل ، لكن استعداداه كان مخالفا لابيه ، حيث استأثرت باهتمامه دواوين الشعر العربي التي اتيح له أن يقرأها ، سواء منها القديم والحديث ، وحيث بدأت موهبته الشعرية تتفتق وتتفتح ، فاذا به يكتب الشعر وهو بعد لم يتم عامه الخامس عشر . ومنذ ذلك الوقت عرف أبو القاسم طريقه وعرف قدره . لقد كان الشعر طريقه ، وكان قدره المقدر .

لقد وجد شاعرنا في بيئة مدينة تونس عوامل دفع لقدراته الخبيئة ، وانضاج لرؤيته لواقع الحياة وللكون من حوله ، واثراء وتعميق لتجربته الشعرية .

وقد ساعد ذلك كله على تحديد موقف الشاعر من القضايا والأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية التي كان ذلك الواقع يطرحها . وبتحديد هذا الموقف تحددت في ضوءه المضامين الفكرية والشعورية التي اكدها شاعرنا بأعماله الشعرية وكتاباتهِ النثرية على السواء . وبالوقوف على هذه المضامين يمكننا ان نقول ان شاعرنا قد شارك مشاركة ايجابية وفعالة في معركة التحول الحضاري التي كانت قد بدأت في بعض اقطار الوطن العربي خلال القرن التاسع عشر ، وخاصة في مصر والشام ، حتى وصلت الى قمة احتدامها خلال الربع الاول من القرن العشرين . وهي المعركة التي اصطرت فيها الثقافة العربية السلفية مع الثقافة العصرية الوافدة من بلدان الغرب . ولقد اختار الشابي موقفه في هذا الصراع الى جانب تلك الثقافة العصرية، على أسس موضوعية محددة ، دون التجني على ما في تلك الثقافة السلفية من قيم ، وعلى الدور التاريخي الذي قامت به في العصور الماضية . وبمشاركة الشابي في هذه المعركة ، وباختياره لموقفه هذا ، يمكن ان يقال

انه كان – بالنسبة لبيئته التونسية – صوتا يوشك أن يكون متفردا بين مثقفي زمانه، وهو متفرد بين معاصريه من الشعراء التونسيين . لقد كانت دعوته الى مراجعة الميراث الحضاري وتجديده وتطويره عن طريق تدارك وجوه النقص فيه دعوة صادمة للأغلبية العظمى ممن يمثلون الوجه الثقافي لتونس في الثلث الاول من القرن العشرين .

وقد يبدو غريبا على الشابي ان يكون هذا هو موقفه ، في حين كانت نشأته كنشأة الآخرين ، وتعليمه سلفيا كتعليمهم . ان الشابي لم يتعلم لغة اجنبية ، يستطيع من خلالها ان يطلع على الآداب الغربية والفكر الغربي ، بل كانت ثقافته عربية صرفا . لكن هذه الغرابة تزول عندما نعرف ان الظروف قد هيأت له – من خلال الترجمات – ان يطلع على جوانب وآفاق من التجربة الشعرية الغربية ممثلة في اشعار الرومنتيكيين امثال لامرتين ودي فيني وبيرون وشلي ، وأن يتعرف على مفهوم الشعر لدى هؤلاء من خلال

الكتاب العرب الذين كانوا يقودون حركة التجديد الشعري في الربع الاول من هذا القرن . لقد قرأ ما كتبه مدرسة الديوان في هذا الصدد ، وبخاصة ما كتبه العقاد عن مفهوم الشعر وطبيعة العمل الشعري ووظيفته ، معتمدا في هذا كله على اصول اكدها الشعراء والنقاد الرومنتيكيون الغربيون من قبل . وفي الوقت نفسه كان الشعراء العرب في المهجر الامريكي يؤكدون في أشعارهم وفي كتاباتهم نفس المفهوم . وقد اطلع شاعرنا على كتابات هؤلاء وهؤلاء . وكما كان العقاد بأفكاره اثرا لدى شاعرنا كان جبران بشعره اقرب الناس الى قلبه . وهكذا استعاض الشابي بما طرحه هؤلاء وهؤلاء من مفاهيم عصرية ومبدعات أدبية متأثرة في اصولها بالرومنتيكية الغربية ، عن القراءة المباشرة للرومنتيكية ، نظرية وأدبا .

وحين تذكر هذه الروافد التي رفدت ثقافة شاعرنا بحصيلة طيبة من الأدب الغربي والفكر الأدبي ينبغي أن تذكر كذلك صداقته للناقد التونسي الاستاذ

محمد الحليوي ؛ فقد كان هذا الناقد واسع الاطلاع في النقد وفي الأدب الغربيين ، وكانت له ملكة نقدية مرهفة ، وبصر موضوعي دقيق بضروب الفن الأدبي ، ولا بد أن شاعرنا قد أفاد كثيرا من صداقته لهذا الناقد. وفيما كتبه الاستاذ الحليوي ، وفي رسائل شاعرنا الكثيرة اليه ، ثم فيما كان يدور بينهما من نقاش أدبي – في كل هذا ما يسعف على تلمس ما كان لهذا الناقد في شاعرنا من تأثير .

ومن كل هذا نستطيع أن نقول أن الشابي قد تثقف ثقافة عربية واسعة ، وكان فيما يرى فيها من رأي انما يصدر عن معرفة كافية بها ، ولكنه كذلك قد ألم بأطراف مختلفة من الثقافة الادبية الغربية، بصورة مباشرة – عن طريق الترجمات – وبصورة غير مباشرة – عن طريق الكتاب والادباء العرب في مصر وفي المهاجر وفي تونس نفسها ، فهياً له هذا الاطلاع رؤية ادبية وفكرية أرحب وأعمق .

ولم يلجأ الشابي أمام هذين الطرازين من الثقافة

ضيع الدهر مجد شعبي ولكن
سترد الحياة يوما وشاحه

وأدرك الظلم الواقع على أبناء شعبه عن طريق
سنّ القوانين التي تسلبهم حقوقهم الانسانية وحرّياتهم
فصرخ في وجهه قائلاً :

الا ايها الظلم المصغر خده
رويدك ان الدهر يبني ويهدم

أغرك أن الشعب مفض على قدى
لك الويل من يوم به الشر قشعم

وفي هذا المعنى يقول الشابي قصيدته «المسماة»
«الى طفاة العالم» ، التي يستهلها بقوله :

الا ايها الظالم المستبدّ
حبيب الفناء عدو الحياة

وأدرك وقوف الاستعمار في وجه أي حركة
اصلاحية مستنيرة فقال :

كلما قام في البلاد خطيب
موقظ شعبه يريد صلاحه

أخمدوا صوته الإلهي بالعسف ،
أماتوا صداحه ونواحه

البسوا روحه قميص اضطهاد
فاتك شائك يرد جماحه

لكنه أدرك كذلك وقوع الشعب في خدعة
التمسك بالماضي وبالقوالب الجامدة والهيكل الفاقدة
الروح ، الأمر الذي يعوقه عن الانطلاق لتحقيق وجوده
الحي ، ويعطل طاقاته المبدعة :

انت دنيا يظلمها أفق الماضي
وليس الكآبة الأبدية

مات فيها الزمان والكون الا
أمسها الفابر القديم القصي

انت قلب لا شوق فيه ولا عزم ،
وهذا داء الحياة الدوي

الى البحث عن صورة جديدة يتم فيها التكامل والمواءمة بينهما ، بل كان موقفه الذي اختاره الى جانب الثقافة العصرية حاسما ونهائيا . وهو بهذا الموقف لم يكن يواجه في بيئته التونسية التخلف الفكري والادبي فحسب ، بل كان يواجه النزعة المحافظة في المجتمع في اشكالها وصورها المختلفة ، تلك النزعة المتشبثة بالماضي ، الواقعة في أسر قوالبه وأطره ، والغافلة عن الواقع الراهن ، فضلا عن استشراف المستقبل .

ولا شك في أن الاوضاع السياسية في تونس كان لها أثر في هذا التخلف . فقد وقعت تونس تحت الاحتلال الفرنسي منذ الثاني عشر من مايو ١٨٨١ ، وخضعت البلاد منذ ذلك الحين لسياسة خبيثة ، تستهدف ابقاء الشعب التونسي في حالة من التخلف الفكري عن طريق تشجيع الهياكل الثقافية التقليدية ، والحيلولة دون قيام أي حركة تنويرية او محاولة اصلاح مستنيرة . والهدف الاستعماري لهذه السياسة معروف . ومن ثم كان لحركة التجديد الفكري والادبي

في تونس ، كما كان الشأن في مصر وفي الشام وفي العراق ، وجهها السياسي بالضرورة ؛ فقد كانت الدعوة الى تحرير الأدب من قيوده التقليدية البالية هي في الوقت نفسه دعوة الى تحرير الانسان من الظلم السياسي والاجتماعي الواقع به . ومن ثم كان لأدب الشبابي، شعره وكتاباتهِ النثرية، وجهه الفكري والفني، كما كان له وجهه السياسي والاجتماعي ؛ فلم تكن التجربة الذاتية التي يعبر عنها هذا الادب بمعزل عن الواقع الجماعي الذي عاش الشاعر في اطاره . فالقيود التي يحس بها الانسان الفرد - الشاعر - مكبلة لروحه هي نفسها القيود التي تشل روح الجماعة وتعوقها عن الانطلاق وممارسة الحياة كما ينبغي للمجتمع الحر أن يمارسها .

لقد أدرك الشبابي كل هذه الحقائق وعبر عنها .
أدرك الظلام الذي شاء الاستعمار ان ينشر أطنابه على البلاد فقال :

أن ذا عصر ظلمة غير اني
من وراء الظلام شمت صباحه

انت لا شيء في الوجود ، فغادره
الى الموت ، فهو عنك غني

والشقي الشقي في الارض شعب
يومه ميت وماضيه حي

فلئن كان الاستعمار من شأنه ان يستخدم من
الاساليب الدنيئة والسياسة الخبيثة ما يحقق به
اهدافه ومطامعه كان على الشعوب نفسها ، الواقعة
تحت نيره ، الا تستسلم لواقعها التمس ، وأن تكافح
في سبيل تحقيق الحياة الحرة الكريمة . ومن ثم
اهتدى الشابي الى أن هذا الكفاح رهن بتلك الحقيقة
النفسية الإنسانية الرائعة : ارادة الحياة . فمن شان
طبيعة النفس الانسانية أن يتنازعها في كل وقت
دافعان ، دافع الحياة ودافع الموت . وتظل حياة
الانسان في عنقوانها ما دام لدافع الحياة في نفسه
الغلبة على دافع الموت . فاذا تضعض دافع الحياة في
نفسه كان الموت ، أو كانت حياته أشبه بالموت .

وقد نقل الشابي هذه الحقيقة الى الشعب بأسره، فنظر اليه من خلالها ، وادرك انه لن يخرج - أي هذا الشعب - من حالة الموات الى عنفوان الحياة الا اذا نشط فيه دافع الحياة ، الا اذا « أراد » حقا أن يكون شعبا حيا . وهذه الإرادة لا تتحقق بطريقة عفوية ، بل هي رهن بمدى حرارة « الأشواق » التي يستشعرها الانسان ازاء الحياة . فاذا اشتعلت في نفسه هذه الأشواق تولدت الإرادة ، وتغلب فيه دافع الحياة على دافع الموت ، وعند ذلك يصبح الطموح دليل الانسان الى المغامرة . فاذا خمدت أشواق الحياة في نفس الانسان فقد الطموح وكف عن المغامرة ، وصار حيا كأنه ميت ، أو ميتا كأنه حي . وفي هذا يقول الشابي أبياته المشهورة من قصيدته «إرادة الحياة» :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر

ومن لم يعانقه شوق الحياة
تبخر في جوها واندثر

فويل لمن لم تشقه الحياة
من صفة العدم المنتصر

ثم يعود في نفس القصيدة لكي يؤكد هذه المعاني
حين يقول على لسان الارض :

أبارك في الناس أهل الطموح
ومن يستلذ ركوب الخطر

والعن من لا يمشي الزمان
ويقنع بالعيش ، عيش الحجر

هو الكون حي يحب الحياة
ويحتقر الميت مهما كبر

فلا الأفق يحضن ميت الطيور
ولا النحل يلثم ميت الزهر

ولولا امومة قلبي الرؤوم
لما ضمت الميت تلك الحفر *
فويل لمن لم تشقه الحياة
من لعنة العدم المنتصر

ولكن كيف يمكن أن تتولد في النفس الذابلة تلك
الاشواق الحارة ؟ يجب الشابي بقوله :

افتح فؤادك للوجود ، واخله
لليم ، للأمواج ، للديجور
للثلج تنشره الزوابع ، للأسى ،
للهور ، للالام ، للمقدور
واتركه يقتحم العواصف هائما
في أفقها المتلبد المقرور

* لهذا البيت رواية اخرى هي :

ولولا امومة قلب رؤوم لفرت عن الميت تلك الحفر

ويخوض أحشاء الوجود مقامرا
في ليلها المتهيب المحذور
حتى تعانقه الحياة ويرتوي
من ثفرها المتأجج المسجور

انها اذن دعوة الى تجلية مرآة القلب وتخليصها
من الشوائب العالقة بها ، حتى تنعكس على صفحتها
صور الوجود المادي والمعنوي ، ودعوة الى المغامرة ،
بل المقامرة ، غير المأمونة العواقب ، بأقتحام العواصف،
والخوض في صميم الوجود .

وهذه الفلسفة لم تكن مجرد دعوة يتقدم بها مصلح
الى شعبه ، بل كانت تجربة حية يعيشها شاعر قبل
كل شيء . فقد كان الشابي مقبلا على الحياة منهمكا
فيها ، ولكنه كذلك لم يكن ليتوقف عند مظاهرها
السطحية العابرة ، بل كان يحاول تجاوز هذه المظاهر
الى الاعماق ، الى الحقيقة الكلية التي تستخفي وراء
الصور والاشكال المتعددة . وربما كان لقراءاته الصوفية

الباكرة اثر في هذه التجربة . وهي على كل حال تجربة عبر عنها الشعر المهجري وبخاصة شعر جبران الذي كان له موقعه من قلب الشابي . وهي كذلك – اعني هذه التجربة الصوفية – معلم من معالم النزعة الرومنتيكية . ومن ثم كان حديث الشابي عن «النشوة الصوفية القدسية» ، وكيف أنها «هي روح هذا العالم المنظور» ، كما كثر في شعره ترديد هذه العبارات : روح الطبيعة ، روح الكون ، روح الربيع ، صميم الحياة ، صميم الوجود ، ضمير الوجود .

اذن فمعانقة الحياة في صميمها من شأنه ان يولد هذه النشوة ، نشوة التعرف على حقيقة الكون وحقيقة الوجود . والمعرفة امتلاك ، وهي – من ثم – قوة . وعندما تتغلغل روح الانسان في أعماق الوجود فتعرفه على حقيقته تكون بذلك قد اكتسبت القوة التي تؤهلها لمواجهة الظواهر العارضة أو العرضية . وفي هذا الصدد يمكننا أن نفهم ونفسر دور شاعرنا في بعث حركة الشبان المسلمين ، حين كان ما يزال في مرحلة

الدراسة بالزيتونة ، فقد كان هدفه من هذا هو ايقاظ
الأرواح واعادة القوة اليها .

ولكننا نعود فنتساءل : كيف كانت تجربة
الشابي نفسه مع ظواهر الكون ومع حقائقه الجوهرية ؟
لقد فتح للحياة وللكون قلبه فهل لقي منهما استجابة
له ؟ وهل كشفنا له عن الحقائق المستورة ؟ :

كلما اسأل الحياة عن الحق تكف الحياة عن كل همس

لم أجد في الحياة نفما بديعا
يستيني سوى سكينه نفسي

هكذا تصمت الحياة في بلادة فلا تجيب الشاعر
عن اسئلته الحيرى . وكذلك تصمت ظواهر الكون :

وسألت الليل والليل كئيب ورهيب
شاخصا بالليل والليل جميل وغريب
أترى انشودة الرعد أنين وحنين

رئمتها بخشوع مهجة الكون الحزين ؟
أم هي القوة تسعى باعتساف واصطخاب
يتراءى في ثنايا صوتها روح العذاب ؟
غير أن الليل قد ظل ركودا جامدا
صامتا مثل غدير القفر من دون صدى

لكن الكون يسكت عن الجواب أحيانا ويجب
أحيانا . ففي قصيدة « ارادة الحياة » يسأل الشاعر
الليل عما اذا كانت الحياة تعيد الى ما أذبلته نضارة
الربيع ، أي تمنحه الحياة والنماء بعد ان صار مواتا ،
فيصمت الليل عن الجواب ، ولكن الغاب يجب
الشاعر عن سؤاله اجابة مسهبة ، فحواها انه بالامكان
عودة الروح والحياة الى الجسم الهامد . فالطبيعة لا
تعرف الموت المطلق ، بل تعرف فصولا للتحول . فاذا
جاء الشتاء وغطت الثلوج كل شيء ، وهوت الفصون
وتساقط الورق ، وبدا كل شيء في حالة موات ، فان
البدور تبقى :

معانقة وهي تحت الثلوج
وتحت الضباب وتحت المدر

لطيف الحياة الذي لا يمل وقلب الربيع الجميل العطر

فالبذرة هي الاصل ، وهي باقية وقادرة على
الكمون الى ان تنهيا لها ظروف التفتح والنمو ، اما
الأغصان والأوراق فعارضة ، قد تدبل وتسقط ، ولكن
اغصانا أخرى غضة ، وأوراقا أخرى مخضرة ، يمكن
ان تشق طريقها الى الحياة اذا ما لقيت البذرة
الظروف الملائمة .

هذه الحقيقة التي يستنبتها الشاعر من مظاهر
الكون الطبيعية انما تعكس لنا مرة اخرى المضمون
الروحي لرسائله الشعرية في مجتمعه خاصة ، وفي
المجتمع الانساني عامة ، وهو ان المجتمع قادر على
التجدد وامتلاك القوة اذا ما هيئت الظروف فيه للروح
كي تتفتح وتنمو وتنطلق .

واذا كان الانسان جوهرًا وعرضًا ، جوهره
الروح وعرضه البدن ، ففي المجتمع يكون الأفراد

عرضا والمجتمع جوهرًا . الأفراد الى انتهاء ولكن روح الجماعة شيء باق . ومن ثم كانت اهاية الشابى بروح شعبه أن تنفض عنها ركام الزمن ، وأن تنطلق ، كما تنفض البذرة عنها ركام التراب ، وتشق طريقها من ظلام الأرض وبرودتها الى نور الشمس ووهجها .

وتتلاقى أطراف تجربة الشابى وتتكامل فاذا به يحدثنا عن موقفه من الجمال حديثا يرفع فيه من شأن الروح ويقلل من قيمة الشكل . فالجمال الذى تقع عليه الحواس ليس جمالا حقيقيا ، لانه جمال متحول، ومتغير ، ونسبى . أما الجمال الذى تهتز له الروح فهو الجمال المعنوي ، الجمال الذى يقترن بالحق وبالخير .

ان الشابى لا ينكر على الحسان الفاتنات حسنهن وفتنتهن ، ولكنه - كدابه - ينظر الى هذا الحسن وهذه الفتنة بوصفهما عرضا ينبغى تجاوزه الى الجوهر ، الى الروح . فما قيمة الحسن والفتنة في جسم مظلم الروح معتم السريرة؟! :

قد رأينا الشعور منسدلات
كللت حسنها صباح الورود
ورأينا الخدود ضرجها السـ
حر ، فأها من سحر تلك الخدود
ورأينا الشفاه تبسم أو تحلم
سكرى بالشدو ، بالتفريد
ورأينا النهود تهتز كالأزهار
في نشوة الشباب السعيد
توقظ الوجد في القلوب ولكن
ليت شعري ماذا وراء النهود ؟
ما الذي خلف هذه الفتنة الفراء
في ذلك القرار البعيد ؟
انفوس جميلة كطيور الغاب تشـ
ـدو بمسترقّ النشيد
طاهرات كأنها أرج الأزهار
في مولد الربيع الجديد

وقلوب وضيئة كنجوم الليل
ضواعة كفصن الورود
ام ظلام كأنه قطع الليل و
هول يشيب رأس الوليد
وخضم يموج بالإثم والمنكر
والشر والضلال المديد ؟

هكذا يتساءل الشابي عما وراء كل مظاهر الفتنة
الجسدية المثيرة . يتساءل عما اذا كانت النفوس جميلة
طاهرة ، وعما اذا كانت القلوب وضيئة ، لأن الجمال
الحقيقي انما يتمثل في النفوس والقلوب ، لا في
الأشكال والاجسام . وهو - بعد - الجمال الأبدي
الباقى :

غير باق في الكون الا جمال الر
وح غصنا على الزمان الأبيد
ووقفه عند رائعة الشابي « صلوات في هيكل

الحب « تؤكد لنا هذا المنحى في انفعاله الخاص بجمال محبوبته ، حيث تتوارى كل القيم الشكلية في محبوبته ، فلا ينفل منها الا بجمالها المعنوي . يتضح لنا هذا منذ مطلع القصيدة :

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام ،
كاللحن ، كالصباح الجديد

فليس فيما وصف به محبوبته في هذا البيت صفة حسية واحدة . انها حقا عذبة ، ولكن لعذوبتها ابعادا معنوية جسمها الشاعر من خلال معطيات انسانية مختلفة، من خلال الطفولة والأحلام والموسيقى واشراق الصباح .

وحيثما تحركت في هذه القصيدة طالعتك أو صاف الجمال المعنوي يحسه الشاعر في محبوبته ، فهي « ملاك الفردوس » ، و « رسم جميل عبقرى » ، و « فجر من السحر » ، و « روح الربيع » ، الى غير ذلك من الأوصاف . حتى عندما يتوقف الشاعر عند

مظاهر الجمال الحسية فيها اذا به ينقلها من مستواها
الحسي الى المستوى المعنوي :

خطوات سكرانة بالاناشيد وصوت كرجع ناي بعيد
وقوام يكاد ينطق بالألحان في كل وقفة وقعود
كل شيء موقع فيك حتى لفظة الجيد واهتزاز النهود

ثم ننظر الى تجربة الشابي من زاوية أخرى
فيطالعنا منها وجه آخر ولكنه كذلك يتواءم ويتكامل
مع سائر الوجوه . وفي هذا الوجه يتحدد أمامنا
موقف الشاعر من العقل والعاطفة .

ان شاعرا يبحث عن الحقيقة الكلية المستخفية
وراء مظاهر التعدد ، وعن الروح الكامن في صميم
الأشكال والأجسام ، وعن الجمال المثالي الذي يكمن
في هذا الروح - هذا الشاعر الذي يرى سعادته في
معاينة النور ، لا يمكن ان يتخذ من العقل وسيلة للفهم
والتعرف على الأشياء ، لما يمثله العقل من صرامة
المنطق ، ولمجافاته لطبيعة التجربة الشعرية الحية .

ومن ثم رفع الشابي من قيمة الوجدان ، وجعله وسيلته التي يتلقى بها الحياة ، ورائده في البصر بها وادراك كنهها . انه فنان في المحل الأول، وليس للعقل ان يقحم نفسه بمنطقة البارد على تجربته الحيوية ، والا فقدت هذه التجربة حرارتها ، واستحال العمل الفني الذي يعبر عنها الى قوالب ومعادلات عقلية صارمة وجامدة . وانما ارتبط الفن في نفسه بالوجدان ، فكان شعره تعبيرا عن « وقع الحياة على وجدانه » ، بأوسع ما تدل عليه هذه العبارة . وهو في ايمانه بالوجدان يتفق مع نظرة مدرسة الديوان الى الشعر ، ومع شعراء المهاجر، بخاصة جبران ونعيمه .

لقد عاش الشابي بعواطفه حتى « كادت العواطف عنده تصبح مرضا ناهشا » - كما تقول نازك الملائكة . وقد توزعت هذه العواطف بين همومه الشخصية ومشكلات مجتمعه ، فكان العبء عليه ثقيلًا . فلم تتولد عن هذه العواطف المشبوبة الا الآلام والأحزان ، فكان « يحمل الوجود » - على حد تعبيره - على قلبه،

كأنه هو المسئول عن كل ما فيه . وربما تمرد الشاعر
على نفسه ، وندبها للتخلي عن هذه الهموم :

خل عبء الحياة عنك وهيا
بمحيًا كالصبح طلق أديمه
فكثير عليك أن تحمل الدنيا
وتمشي بوقرها لا تريمه
والوجود العظيم أقعد في الماضي
فما أنت ربه فتقيمه

ولكن هل كان في وسعه أن يستجيب لهذه
الدعوة ؟ لقد كان الشعر - كما قلنا في مستهل هذا
الحديث - هو قدره ، وما كان له أن يفلت من هذا
القدر وان تمرد عليه بين الحين والحين . ما كان له ان
يطرح عن نفسه رسالة الفن وأعباءها النفسية الثقال
وعذاباتها ، وأن يخمد في نفسه عواطفه المشبوبة ، وأن
يواجه الحياة بعقل عملي ، شأن الآخرين . ما كان له
أن يقول :

عسى بالشعور وللشعور فانما
دنياك كون عواطف وشعور

شيدت على العطف العميق وانها
لتجف لو شيدت على التفكير

– ما كان له ان يقول هذا ثم ينقلب على نفسه ،
فيجمد مشاعره ، ويحكم في كل شيء عقله .

لقد أفنى روحه في التفني للحياة وفي ايقاظ
الارواح الخامدة ، ولم يسع وراء منصب عملي او
كسب شخصي ، لأن هذه كانت هي رسالته المنوطة به،
التي لم يكن هناك سبيل الى الفكك منها ، شأنه في
هذا شأن أصحاب الرسالات من الانبياء والمصلحين .

وربما خيل لشاعرنا في وقت من الاوقات انه
يفني حياته عبثا ، وانه يحترق من أجل الآخرين دون
ان يلقي منهم الاستجابة المشجعة ، بل انهم ربما
انكروه . وانه ليحزن لذلك أشد الحزن ، ويألم غاية

الأم . وقد كان هذا الإنكار حرباً ان يصرفه عن طريقه،
وأن يردّه الى العقل ، ولكنه مع ذلك لا يملك الا ان
يستمر ، وان يجدد المحاولة . وانهم ليرمونه بالجنون
وفقدان العقل فما يابه بذلك ، ولكنهم يفلقون ارواحهم
وقلوبهم دونه ، بل يعبثون بقطع روحه التي يتقدم بها
اليهم ، فيحزن ، ويمعنون في ذلك الامتحان فيصيبه
اليأس اخيراً ، ويفر منهم الى الغاب ، يلتمس لروحه
السكينة :

في صباح الحياة ضمخت أكوابي
وأترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك فأهرقت رحي
قي ودست يا شعب كاسي
فتالت ثم اسكت ألامي
وكفكفت من شعوري وحسي
ثم نضدت من أزاهير قلبي
باقية لم يمسا أي انس

ثم قدمتها اليك فمزقت ورودي
ودستها أي دوس
ثم البستني من الحزن ثوبا
وبشوك الصخور توجت رأسي
ها أنا ذاهب الى الفاب يا شعبي
لاقضي الحياة وحدي بيأس
ها أنا ذاهب الى الفاب علي
في صميم الفابات أدفن نفسي

والعودة الى الفاب ليست مجرد انتقال من حياة
الناس بكل ما فيها من صخب وضجيج الى حياة
الهدوء والاستقرار ، فما كانت نفس الشابي بالنفس
الهادئة وان بدا في مظهره وديعا ، وما كان الهدوء
والاستقرار بالنسبة اليه الا ضربا من الجمود او الموت .
كلا ، فالغابة رمز نفسي ، واللجوء اليها يمثل الرغبة
الدفينة في العودة الى رحم الام . ومعطى هذه الرغبة
هو معطى شعوري في المكان الاول، يناقض المعطى

العقلي . فذهاب الشاعر اذن الى الغاب انما يمثل
تمسكه بمعطيات الشعور التي يرفضها المجتمع ،
ورفضه لمنهج العقل الذي يتمسك به هذا المجتمع .
وقد كشف لنا الشاعر نفسه عن هذا المضمون واكده
فيما وجهه الى مجتمعه الذي انكره من نقد حين قال :
انت روح غبية تكره النور وتقضي الدهور في ليل ملس
انت لا تدرك الحقائق ان طافت حوايك دون مس وجس

فهو اذن مجتمع لا يدرك الحقائق الشعورية ولا
يقدرها ، ولا يقتنع الا بما هو عياني ملموس .

وبدهي ان الشاعر لم يذهب حقا لكي يعيش في
الغاب ، ولكنه اضطر الى ان يتفوق داخل شرنقة
روحه ، يجتر آلامه وأحزانه ، ثم يفضي بها بين الحين
والحين .

وهنا يبرز امامنا وجه جديد من وجوه تجربة
الشابي ، يلتقي فيه مع كثير من الشعراء الرومنتيكيين ،

واعني بذلك الشعور بالفريبة . فقد اضطر هؤلاء الشعراء - امام اوضاع بلادهم السياسية والاجتماعية المنهارة ، ونتيجة لعجزهم عن القيام بدور ايجابي فعال في توجيه الحياة والناس - اضطروا الى الفرار من مجتمعهم . ولكن « اين المفر » ؟ انه فرار الى داخل النفس وان اتخذ من القرية في الريف او من الفاه ملاذا .

والشعور بالفريبة شعور اسيان وحزين ، يورث صاحبه الكآبة وان اجتمعت له كل اسباب الالهو والتسلي :

مهما تضحكت الحياة فانني ابدا كئيب
اصفي لاوجاع الكآبة والكآبة لا تجيب
في مهجتي تتاوه البلوى ويعتلج النحيب
ويضج جبار الاسى وتئن غمغمة الكروب
اني انا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب

ولا شك في أن هذه الغربة قد فرضت نفسها على شاعرنا فرضاً ، والا فان حبه لأبناء شعبه لم يكن يدانيه حب ، ورغبته في النهوض بهم كانت أكيدة . وانما فرضها عليه ذلك الصدع الذي فصل بين رؤيتهم ورؤيته ، وبين منهجهم في الحياة ومنهجه ، فصاروا لا يتجاوبون معه ، ولا يدركون مراميهِ البعيدة . واذا كانت هذه الغربة مفروضة عليه كان من الطبيعي ان تورثه الشقاء :

يا صميم الوجود كم أنا في الدنيا غريب أشقى بغربة نفسي
بين قوم لا يفهمون أناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي

ويرتفق بشعور الغربة عند الشبابي ويتولد عنه شعور بالملالة والسأم ، وذلك عندما تختزل تجربة الحياة ، على رحابتها وتنوعها وثرائها ، في مجرد صور مكرورة وأشكال معادة . وهذه الملالة وهذا السأم انما يتولدان في نفس الفنان عندما تقفر الحياة الاجتماعية من التجارب الجديدة المثيرة ، وتستبد الأعراف

والتقاليد الموروثة بسلوك الناس وعلاقاتهم بعضهم
ببعض . عندئذ يحس الفنان انه انما يعيش في سجن .
ولا غرابة عندئذ ان يقول الشابي :

سام هذه الحياة معاد
وصباح يكر في اثر ليل

ليتني لم اُفد الى هذه الدنيا
ولم تسبح الكواكب حولي

ليتني لم يعانق الفجر احلامي
ولم يلثم الضياء جفونسي

ليتني لم ازل كما كنت ضوءا
شائعا في الوجود غير سجين

ولقد تضافرت على تشكيل تجربة الشابي على
هذا النحو - الى جانب هذه الظروف الجماعية -

عناصر شخصية ، تتعلق بحياته الخاصة ، وعلاقته بأقرب الناس اليه ، بالفتاة التي أغرم بها في مستهل تفتحها الوجداني ثم اخترمها الموت ، وبأبيه الذي كان يسبغ عليه من عطفه ورعايته ويحمل عنه تكاليف الحياة ثم اذا به يودع الدنيا مخلفا له تركة من الأعباء والمسئوليات ، ثم بزوجه التي لم يكن - فيما يبدو - يرى فيها المثل الأعلى للمرأة ، الذي كان ينشده ، وأخيرا في العلة التي أصابت قلبه ، وهي العلة التي مات بها .

أما تجربة الحب الباكرة العنيفة فقد تركت في نفس شاعرنا ندوبا لعلها لم تندمل في يوم من الأيام . ومنذ ان اختطف الموت منه تلك المحبوبة تجسم الموت امامه بوصفه عدوا للحياة . وكان شاعرنا - كما عرفنا - يحب الحياة وتتحرك روحه بأشواقها . وانه

ليتذكر سعادته بتلك التجربة وما خلفه موت محبوبته
في نفسه من أشجان :

ثم اختفت ، اواه ! طائرة بأجنحة المنون
نحو السماء ، وها انا في الأرض تمثال الشجون
قد كان ذلك كله بالأمس ، بالأمس البعيد
والأمس قد جرفته مقهورا يد الموت العنيد
بالأمس قد كانت حياتي كالسماة الباسمة
واليوم قد امست كأعماق الكهوف الواجمة . الخ .

اما موت ابيه فقد خلف له لوعة جارفة وأسى
مستبدا ، ولكنهما لوعة وأسى من نوع آخر ، يستغرق
الانسان حقا ، حتى ان المرء ليعجز عن أن يعبر عن
شيء مما تضطرم به نفسه (وهو ما حدث لشاعرنا اثر
وفاة ابيه ، حيث ظل يحس بالعجز عن رثائه) ولكن
ما تلبث الحياة ان تغطي تلك اللوعة وذلك الأسى :

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي
ومشاعري عياء بالأحزان
اني سأظماً للحياة وأحتسي
من كأسها المتوهج النشوان
وأعود للعنيا بقلب خافق
للحب والأفراح والألحان
حتى تحركت السنون وأقبلت
فتن الحياة بسحرها الفتان
فاذا أنا طفل الحياة المنتشي
شوقاً الى الأضواء والألوان

هذا ما يقرره الشابى فى العام الذى توفى فىه،
بعد وفاة والده بحوالى خمس سنوات . ولكن اقباله
على الحياة لم يكن يعنى أن ظاهرة الموت بكل ما فىها
من عبثية وقسوة كانت قد توارت عن ضميره ، بل كان

دائم الاحساس بها ، وربما صرخ في وجهها صرخة
الإنكار والتمرد :

أيها الموت ، أيها القدر الأعمى ،
قفوا حيث انتم او فسروا

ودعونا هنا تغني لنا الأحلام
والحب والوجود الكبير

وإذا ما ابتم فاحملونا
ولهيب الفرام في شفتينا

وزهور الحياة تعبق بالعطر
وبالسحر والصبأ في يدينا

وهكذا يريد الشابي ان يظل معانقا للحياة حتى
اللحظة الأخيرة . وانه لتشتد عليه العلة ، وينصح له
الطبيب بالكف عن الانفعال والعمل حتى يبرأ ، ولكن
روحه المتوثب لم يستجب لذلك النصح ، وظل يرهق

قلبه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة . ومن الطريف أن نجد شاعرنا ، والموت يتسلل الى قلبه شيئا فشيئا ، قد أدرك نهايته ، ولكنه أمام بطلان الحياة وعيشتها ينظر الى الموت بوصفه تجربة جديدة ، ربما كان فيها خلاصه . وهو من أجل هذا يقبل عليه وكأن دافعا غامضا في أغوار نفسه يدوقه اليه سوقا . ان الشاعر الذي « أراد » الحياة ذات يوم يفسح الطريق لارادة الموت ولكنه في الوقت نفسه يحيل الموت الى تجربة انسانية حية :

جف سحر الحياة يا قلبي الدامي فهيا نجرب الموت هيا!

وهكذا استعجل هذا الشاعر موته ، فوافته المنية وهو بعد في صدر شبابه ، في التاسع من أكتوبر سنة ١٩٣٤ ، ففقدت به الحياة واحدا من القلائل الذين افنوا حياتهم في حبها والإخلاص لها .

ورغم قصر الفترة التي عاشها الشابي مبدا

ظفرت منه الحياة بشروة شعرية أصيلة تعد من أصدق الإضافات الجديدة القليلة الى الشعر العربي الحديث، التي أنتجها جيله والجيل السابق له . واذا لم يكن حجمه الحقيقي قد تحدد على المستوى الوطني والقومي في حياته فلقد أخذ صوته يتردد على مر الايام في شتى أرجاء الوطن العربي ، وبرزت قيمته بوصفه مناضلا خلاقا وفنانا مبدعا ، واثرا رومنتيكيا من الطراز الاول .

وبين يديك الآن – أيها القارئ الكريم – حصاد هذه الحياة القصيرة الخصبة المثيرة من الشعر ، يقدمه اليك الشابي نفسه فيقول :

هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير
هذا حصادي كله في يقظة العهد الأخير

فتجول فيه هونا ، وتأمله وتدبره بنفسك ، فما
تزال آفاق هذه النفس الزكية أرحب من أن يستوعبها
هذا التقديم .

بيروت في ١٦٧٢/٧/٢٢

د. عز الدين اسماعيل

Twitter: @ketab_n

الغزال الغادن

بذر الحب بذرة في فؤادي فأورقنا
بيلحاظ نوافث فجنى حظي الشقا
وسعى فيه مهره عاديا ، ثم أعنقنا

*

رب ظبي علقته بالبا قد تقرطقا

ثمّ من وصله الجميلِ غدا القلبُ مُمليقا
 سَحَرَ اللبُّ طرفُهُ مادها الريقَ لو رقى
 أو صبَّ الصبَّ صدّه والشفا لو ترفقا
 صار مُلقى بحبه مُوثقا ليس مطلقا
 صار ذا جنةٍ به ذا عذابٍ ، مُؤرّقا
 يرقبُ البدرَ جفنه ليُنّاجيه ما لقي
 هام في العينِ غرّبه وهَمَى ثم أغدقا
 وهَمَى صوبَ مه (١) فاستقى منه ما استقى

*

كم قلوبٍ تفتّرت ودمٍ صار مُهرّقا

(١) لعل صوابه « دمه »

ودموعٍ تسلست مثلَ غيمٍ تدفقا
دون أن تبلعَ النفوسَ رُضاباً مُروقا
وشقيقٍ بخده مهج الخلق شققا؟
ثغره من عقوده ودموعي تنسقا
خصره من نحافتي ونحولي تنطقا
مرشقا بخده ودمائي تخلقا (١)
من لظى جمرِ خده كيدي قد تحرقا
قده فوق ردِّفه غصنُ بانٍ على نقا

(١) أي تطيبا .

جِيدُهُ تَحْتَ فِرْعِهِ بَرَقُ غَيْمٍ تَأَلَّقَا
هَمَّتْ وَجَدًا بِجَبِّهِ قَد رَثَا لِي فَأَحْرَقَا
نَسِي فِي غَرَامِهِ نَسِبا صَار مُعْرِقَا

٧ رجب ١٣٤١

٢٣ فيفري ١٩٢٣

أيها الحب

أيها الحبّ ! أنت سرّ بلاني
ونحولي ، وأدمعي ، وعذابي
وهومي ، وروعتي ، وعنائي
وسقامي ، ولوعتي ، وشقائي

*

أيها الحبّ أنت سرّ وجودي
وشعاعي ما بين ديجور دهري
وحياتي ، وعزّاتي ، وإبائي
وألفي ، وقرّتي ، ورجائي

يا سلافَ الفؤادِ يا سَمَّ نفسي في حياتي يا شدّتي يا رخائي!
ألهيبُ يثور في روضة النفس فيطغى ، أم أنت نور السماء؟

*

أيا الحبّ قد جرعتُ بك الحُزْ ن كؤوساً، وما اقتنصتُ ابتغائي
فبحقّ الجمال ، يا أيا الح بّ حنانيك بي أو هوّن بلائي
ليت شعري أيا أيا الحبّ ، قل لي: من ظلامٍ خلقتُ ، أم من ضياء؟

٣٠ ذر الحجة ١٣٤٢

غرة اوت ١٩٢٤

غله للموت

كلُّ قلبٍ حمل الخسف، وما
كلُّ شعبٍ قد طغمت فيه الدما
خك الموت بطوبهٍ ... فما
ملّ من ذلّ الحياة الأردل
دون أن يشارَ للحقّ الجلي
حظّه غيرُ الفناء الأنكل

١ محرم ١٣٤٣

٢ اوت ١٩٢٤

النجوم

قِفْ قَلِيلًا ، أَيُّهَا السَّارِي الْقَمَرُ !
يَا سَمِيرِي ! فِي أَوْيَقَاتِ الْكَدْرِ
وَاسْقِنِي مِنْ جَدُولِ النُّورِ الْبَدِيعِ
عَلَّيْنِي أَفْهَمَ مَمْنُومَ الرِّبِيعِ
كَمْ فُؤَادٍ إِذْ تَوَلَّتْهُ الشُّجُونُ
وَاصْطَبِرْ
وَالضَّجْرُ
قَدْحًا
إِنْ صَحَا
وَالْهَمُومُ

بثّ أسلاكك ، والدمع هتون
 إن تكن تضحك سُخرا بالبشر
 فلکم أحزنك الدهرُ الخطير
 أها القاموسُ يا صوتَ الحياة
 وأغانيتها العذابَ الشاديدات
 ما لأمرجك يُطنفها الضور
 ثم تأوى نحوها تيك الصخور
 أتراها تذكر الأملَ الجميل
 فتحبّي ذلك الهدى النبيل
 وتفتني ، ثم لا تلبث أن
 لوعة اليوم ، فتبكي وتئن

ما يروم
 يا قمر!
 بالسكر
 وصداهها
 ونِداها
 فتشور
 كالكمير؟
 وسلامه
 بإبتسامه
 تحتويها
 لشقاها؟

٨ رمضان ١٣٤٣

٢ افريل ١٩٢٥

تونس الجميلة

لستُ أبكي لعسف ليلٍ طويلٍ ،

أو لربيعٍ غدا العفاءُ مراحةٌ

إنما عبثتني لخطبٍ ثقيلٍ ، قد عرانا، ولم نجد من أزاحه

كلّما قام في البلاد خطيبٌ موقظٌ شعبه يريد صلاحه

ألبسوا روحه قبصاً اضطهادٍ فانك شائكٍ يردُّ جماعه

أخمدوا صوتَه الإلهيَّ بالعسف، أماتوا صدأه ونواحه
وتوخَّوا طرائق العسف والإر هاق تَوًّا، وما توخَّوا سماحه
هكذا المخلصون في كلِّ صوبٍ رشقاتُ الردى إليهم مُتاحة
غير أننا تناوبتْنا الرِّزايا واستباحتْ حماة أي استباحه

*

أنا يا قونس الجميلةُ في ليجُ الهوى قد سبحت أي سباحه
شِرْعَتِي حُبُّكَ العميقُ وإنِّي
قد تذوقْتُ مُرَّه وقرَّاحه
لستُ أنصاع لِلتَّواحي ولو مت وقامت على شبابي المناحه
لا أبالي . . وإن أريقت دِمائي
فَدَمَاءُ العشاق دَوْمًا مُباحه

وبطول المَدَى 'تريكِ الليالي
صَادِقَ الحُبِّ والوَالَا وَسَجَاحَةَ
إِنّ ذَا عَصْرٍ ظَلَمَةٍ غَيْرِ أَنْتِي مِنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ شَمْتٌ صَبَاحَهُ
ضَيِّعَ الدَّهْرِ مَجْدَ شَعْبِي وَلَكِنْ سَتَرْدُ الحَيَاةُ يَوْمًا وَسَاحَةَ

١٠ ذُو القَعْدَةِ ١٣٤٣

٢ جَوَان ١٩٢٥

شعرو

شعري نَفَاةَ صَدْرِي إِن جَاشَ فِيهِ شَعُورِي
لَوْلَا مَا انْجَابَ عَنِّي غَمُّ الْحَيَاةِ الْخَطِيرِ
وَلَا وَجَدتَ اِكْتِسَابِي وَلَا وَجَدتَ سُرُورِي
بِهِ تَرَانِي حَزِينَا أَبْكِي بِدَمْعِ غَزِيرِ
بِهِ تَرَانِي طُرُوبَا أَجْرَ ذَيْلِ حَبُورِي

لا أنظم الشعرَ أرجو به رضاء الأمير
بمدحة أو رثاء تُهدى لربّ السرير
حبي إذا قلتُ شعراً أن يرتضيه ضميري

*

ما الشعر إلا فضاء يرف فيه مقالي
فيا يسرّ بلادي وما يسرّ المعالي
وما ينير شعوري من خافقات خيالي

*

لا أقرض الشعر أبغي به اقتناص نوال
الشعر إن لم يكن في جماله ذا جلال
فإنما هو طيف ينعى بوادي الظلال

يقضي الحياة طريدا في ذلّة ، واعتزال

*

يا شعرا أنت ملاكي وطارفي ، وتِلادي
أنا إليك مُراد وأنت نعم مرادي
قف، لا تَدْعِنِي وحيدا ولا أدعك تنادي
فهل وجدتُ حُساماً يُناط دون نجاد

*

كم حطّم الدهرُ ذا هِمّةٍ كثيرَ الرّمادِ
ألقاه تحت نعالٍ من ذلّةٍ وحدادِ
رفقا بأهل بلادِي ! يا مجنون العوادي !

٢١ ذو القعدة ١٣٤٣

١٣ جوان ١٩٢٥

الصيحة

يا قومُ ! عَيْنِي شامت
تتلو سحَابًا رُكَامًا
يُثِيرُ فِي الْأَرْضِ رِيحًا
تَلْفِي الشَّدِيدَ صَرِيحًا !
للجهل في الجوّ نارا
يتلو قَتَامًا مُثَارًا
يُهَيِّجُ فِيهَا غُبَارًا
تُبْقِي الْأَدِيبَ حِمَارًا !
والناسُ منها مُسْكَرَى !
منها الفُضَاءُ ظَلَامٌ !

قد أورثتهم ذوارا وأعقبتمهم خنارا!
لا يعرف المرء منها ليلاً رأى أم نهاراً!
يخال كل خيال سري ، تسربلَ فاراً!

*

يا قومٍ سرتم حثيثاً خطى ، وراء ، كبارا
تبدتُم العلم نبذ النوى قلبي ، وصغارا
لبستم الجهل ثوباً تخذتُموه شعارا
يا قومُ مالي أراكم قطنتُم الجهل داراً؟
أضعتم مجد قوم شادوا الحياة فآخارا
أبقوا سماء المعالي بما أضاءوا منارا
حاكوا لكم ثوبَ عزّ خلعتُموه احتقارا
ثم ارتديتم لسبوس خزي ، وعارا

*

يا ليت قومي أصاخوا لِمَا أقول جهاراً
يا شعراً! أَسَمَعْتَ لَكِنْ قومي أرام سكارى
فلا تُبالِ إذا ما أعطوا نِداك ازوِراً
واصبرِ على ما تلاقى واصلع، وُقِيتَ العِثارا

٢١ ذر القعدة ١٣٤٣

١٣ جوان ١٩٢٥

في الظلام

زمرة الأحلام
ملؤها الآلام

بعثة المُشاق
تسكب الأحراق

رفرفت في دُجية الليل الحزين
فوق سرب من غمامات الشجون

*

شخصت ، لما رأته ، عينُ النجوم
ورمتها من سماها برجوم

كنتُ إذ ذاك على ثوب السكون
والهوى يسكب أصداء النون
أنثر الأحرانُ
في فؤادِ فانُ

*

ساكتا مثل جميع الكائنات:
هائمٌ قلبي بأعماق الحياة
راكداً الألقانُ
تائهٌ ، حيرانُ

*

إنَّ للحبِّ على الناسِ بدأ
وله فجرٌ على طول المدى
تقصف الأعمارُ
ساطعُ الأنوارُ

وجمالُ النورِ
في العيونِ الحورِ

٥ ذو الحجة ١٣٤٣ هـ
٢٧ جوان ١٩٢٥

ثورة الشرِّ ، وأحلامُ السلامِ ،
وابتسامُ الفجرِ في حزنِ الظلامِ ،

جمال الحياة

سِرْتُ فِي الرُّوضِ، وَقَدْ لَاحَتْ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ
وَجَنَاحُ الْفَجْرِ يُومِي نَحْوَ رَبَّاتِ الْجَنَاحِ
وَالدَّجَى يَسْمَى زُوَيْدًا سَمِيَ غِيْدَاءَ رَدَّاحِ
وَنَسِيمُ الصَّبْحِ يَسْرِي سَجَسَجًا، فَوْقَ الْبِيْطَاحِ
وَخَرِيرُ النَّهْرِ سَكْرًا نَّ، وَزَهْرُ الرُّوضِ صَاحِ

فرنتُ نحو جلال الكون جوفاءُ اللِّياحِ (١)
ثم بانَتْ في سفورِ فاضحِ أيِّ افتضاحِ
فاحتستُ خرندي الدِّاءِ مِس من كأسِ الأفاحِ
واعتلتُ بلقىسُ عر شَ الليلِ في تلكِ النواحي
ثم مالتُ لغروبِ بعدِ إضرامِ الكفاحِ
واستوى الليلِ برغمِ الشمسِ في العرشِ الفُسَّاحِ

*

هكذا الدهرُ بأزياءِ غدوٍ ، ورواحِ
وضبائِ ، وظلامِ وسكونِ ، وصباحِ

(١) الجوفاءُ : الشمس ، واللياحُ : الصباح

ونشيدٍ ، وفَوَاحٍ وانقباضٍ ، وانسراح
إنما الدهرُ وميثا قُ الليالي كَشجَاحٍ

٢٧ ذر الحجة ١٣٤٣

١٩ جويلية ١٩٢٥

من حديث الشيوخ

ألا إن أحلامَ الشبابِ ضئيلةٌ تحطُّمها مثلَ الفصونِ المصائبُ
سألتُ الدياجي عن أمانِي شيبتي
فقال: «ترامتها الرِّيحُ الجوائبُ»
ولمَّا سألتُ الرِّيحَ عنها أجابني :
« تلقفها سيلُ القضا، والنوائبُ »

«قصارت عفاء»، واضمحلّت كذرة

على الشاطيء المموم، والموجُ صابخُ،

١٥ محرم ١٣٤٤

٥ اوت ١٩٢٥

نظرة هي الحياة

إنّ الحياة صراعٌ فيها الضعيف يُداسُ
ما فاز في ماضئِها إلاّ شديد المراسُ
للغيبِ فيها شجونٌ فكن فتى الاحتراسُ
الكونُ كونٌ كونٌ شقاءِ الكون كونُ التباسُ
الكونُ كونٌ اختلاقِ وضجّةِ واختلاسُ

سَيَانٌ عِنْدِي فِيهِ السَّرُورُ ، وَالابْتِئَاسُ

*

بين النواثب بونٌ	للناس فيه مزايا
البعض لم يدر إلاّ	البليّ ينادي البلايا
والبعض ما ذاق منها	سوى حقير الرزايا
إنّ الحياة سُباتٌ	سينقضي بالمنايا
وما الرؤى فيه إلاّ	آمالنا ، والخطايا
فإن تَبَقَّظَ كانت	بين الجفون بقايا

*

إنّ السكينة رُوح	في الليل ليست تُضام
والرُوح شمعة نور	من فوق كلّ نظام
لا تنطفي بريح	الأرهاقِ أو بالحمام

بل قد يعُجّ لظاها سيلاً، ويطغى الضرامُ
كلّ البلايا جميعاً تفر ويحيا السلام
والذلّ سبّة عار لا يرتضيه الكرام ا

*

الفجر يسطع بعد الدجى ، ويأتي الضياءُ
ويرقد الليل قسراً على مهاد العفاءُ
وللشعوب حياة حيناً وحيناً فناءُ
والياس موت ولكنْ موت يثير الشقاءُ
والجدُّ للشعب روح توحي إليه الهناءُ
فإن تولّتْ تصدّت حياته للبلاءُ

١٢ ربيع الاول ١٣٤٤

٣٠ سبتمبر ١٩٢٥

الحياة

إنّ هذي الحياةَ قيثارةَ الله، وأهلُ الحياةِ مثل اللّحونِ
نَفَمٌ يَسْتَبِيي المِشاعِر كالسحر،

وصوتٌ يُخِلُّ بالتلحينِ

والليالي مغاورٌ، تُلحِدُ اللّحن وتَقْضي على الصّدى المسكينِ

ه جمادي الثانية ١٣٤٤

٢١ ديسمبر ١٩٢٥

انهدمة الرعد

في سكون الليل لما عانق الكونَ الخشوعُ
واختفى صوت الأمانى خلف آفاق الهجوع

*

رقت الرعد نشيدا ردتة الكائنات
مثل صوت الحق إن صاح بأعماق الحياة

*

يتهادى بضجيج في خلايا الأودية
مثل جبار بني الجين بأقصى الهاوية

*

فألتُ الليل ، والليل كئيبٌ ، ورهيبٌ
شاخصا بالليل والليل جميلٌ ، وغريبٌ :

*

دأثرى أنشودة الرعد أنينٌ وحنينٌ
رنتمها بخشوع مهجة الكون الحزين ؟

*

أم هي القوة تسمى باعتساف واصطخاب

يتراى في ثنايا صوتها روحُ العذاب ؟ ،

*

غير أنَّ الليلَ قد ظلَّ ركُوداً ، جامداً
صامتاً مثلَ غديرِ القفر ، من دونِ صدى!

١٥ شعبان ١٣٤٤

٢٨ فيفري ١٩٢٦

٨١ ديوان أبي القاسم الشابي (٦)

غرفة من يمر

ضعفُ المزيمِ لحدِّ ، في سكينته
تقضي الحياةُ ، بنَاهُ اليأسُ والوجلُ
وفي المزيمِ قوَاتُ مُسَخَّرَةٌ
يخِرُّ دون مداها الشامخُ الجبلُ
والناسُ شخصان : ذا يسمى به قَدَمٌ
من القنوطِ ، وذا يسمَى به الأملُ

هذا إلى الموت، والأحداث ساخرة ،
وذا إلى المجد ، والدنيا كاله خول
ما كل فعلٍ يُجِئُ الناسُ فاعله
مجداً، فإنّ الورى في رأيهم خطل
ففي التاجد تمويه ، وشعوذة ،
وفي الحقيقة ما لا يدرك الدجل
ما المجد إلا ابتسامات يفيض بها
فمّ الزمان، إذا ما انعدت الحيل
وليس بالمجد ما تشقى الحياة به
فيحسدّ اليوم أمسا ، ضمه الأزل

فما الحروب سوى وحشية نهضت
في أنفُس الناس، فانقادت لها الدولُ
وأيقظت في قلوب الناسِ عاصفةُ
غام الوجودِ لها ، وارَبَدَّت السُّبُلُ
فالدَّهرُ منتعلٌ بالنارِ ، ملتحفٌ
بالهولِ ، والويلِ ، والأيتامُ تَشْتَعِلُ
والأرضُ داميةٌ ، بالإثم طامية ،
ومارِدُ الشرِّ في أرجائها ثَمَلُ
والموتُ كاللارد الجبَّار ، منتصبٌ
في الأرضِ ، يَخطفُ مَنْ قد خانَه الأجلُ

د وفي المهامِ أشلاء ممزقة
تتلو على القفر شعرا، ليس يُنتحل،

١٣ رمضان ١٣٤٤

٢٧ مارس ١٩٢٦

ماتم الحب

ليت شعري ا
أي طير
يسمع الأحزان تبكي بين أعماق القلوب
ثم لا يهتف في الفجر ، برنات النحيب
بخشوع ، واكتئاب ؟

*

لست أدري
أيُّ أمرٍ
أخرس المصفور عني ، أتري مات الشعورُ
في جميع الكون ، حق في حشاشات الطيور ؟
أم بكى خلف السحاب ؟

*

في الدياجي
كم أناجي
مَسْمَعِ القبرِ ، بفصّات نخيي ، وشجوني
ثم أصغي ، علي أسمع ترديد أنيني
فأرى صوتي فريد !

*

فأناذي :

« يا فؤادي »

« مات من تهوى ! وهذا اللحد قد ضمّ الحبيب »

« فابك يا قلب بما فيك من الحزن المذيب »

« ابنك يا قلب وحيد ! »

*

ذلّ قلبي ،

مات حبيبي !

فاذرفي يا مقلة الليل الدراري عبرات

حول حبيبي ، فهو قد ودّع آفاق الحياة

بعد أن ذاق اللهب

*

واندبیه ،
واغسلیه ،
بدموع الفجر ، من أكواب زهر الزنبقِ
وادفنيه يجلال ، في ضفاف الشفقِ
ليرى روحَ الحبيبِ

۲۳ محرم ۱۳۴۵

۲ اوت ۱۹۲۷

الكأبة المجهولة

أنا كئيب ،

أنا غريب ،

كأبتي خالفت نظائرها

غريبة في عوالم الحزن

كأبتي فكرة مفردة

مجهولة من مسامع الزمن

لكنني قد سمعت رنّتها
بمهجتي . في شبابي الثمّل
سمعتها . فانصرفتُ مكتئبا
أشدو بحزني ، كطائر الجبل

سمعتها أنتة يرجعها
صوتُ الليالي ، ومهجة الأزل
سمعتها صرخة مضغضة
كجدول في مضائق السبل
سمعتها رنة ، يعانقها
شوق إلى عالم يضمضها

ضعيفةً مثل أنتِ صعدتِ
من مهجةٍ هدّتها توجُّعها

كآبةُ الناسِ شعلَةٌ ، ومق
مرّت ليالٍ خبّتْ مع الأمدِ
أما اكنثابي فلوّعةٌ سكنتُ
روحِي ، وتبقى بها إلى الأبدِ

*

أنا كئيبٌ ، أنا غريبٌ ،
وليس في عالم الكآبة من
يحملُ معشارَ بعضِ ما أجدُ

كأبتي مُرّةً ، وإن صرختُ
روحي فلا يسمعتها الجسد

كأبتي ذات قسوةٍ صهرت
مشاعري في جهنّم الألم
لم يسمع الدهرُ مثل قسوتها
في يقظةٍ قَطُ ، لا ، ولا حلم

كأبتي 'شعلة' موجّجة ،
تحت رماد الكون تستعير
سيعلم الكونُ ما حقيقتها
ويطلع الفجر يوم تنفجر

*

كآبةُ الناسِ شعةٌ، ومق
مرّت ليالٍ خبت مع الأمد
أما اكتثابي فلوعةٌ، سكنت
روحي، وتبقى بها إلى الأبد

٢٧ محرم ١٣٤٥

٧ اوت ١٩٢٦

هكوى اليتيم

على ساحل البحر ، أنى يّضجُ صراخُ الصباحِ ونوحُ المساءِ
تنهدتُ من مهجةٍ أترعت بدمع الشقاء وشوك الأسى
فضاع التنهدُ في الضجّةِ
بما في ثناياه من لوعةٍ
فسرتُ وقاديتُ: «يا أمُّ اهبا

إليّ ! فقد سئمتني الحياة ،

وجئت إلى الغاب. أسكبُ أوجاعَ قلبي نحيباً ، كلفح اللهب
نحيباً تدافع في مهجتي ، وسالَ يرثُ بندب القلوب

فلم يفهم الغابُ أشجانتهُ

وظلَّ يُردّدُ ألحانهُ

فسرتُ وناديتُ : يا أمُّ هيتا

إليّ ! فقد عذبتني الحياة

وقتُ على النهرِ ، أهرقُ دمعاً تفجّر من فيضِ حزنني الأليمِ
يسيرُ بصمتٍ على وجنتيّ ويلمع مثل دموع الجحيمِ

فما خفف النهرُ من عدوهِ

ولا سكت النهرُ عن شدوهِ

فسرتُ ، وناديتُ : يا أمُّ هيتا

إلىّ! فقد أضجرتني الحياة ،

*

ولمّا ندبتُ ولم ينفِجِـ
وناديتُ أمّي فلم تسمعِـ
رجعتُ بحزني إلى وحدتي
وردّدتُ نوحِي على مسمعي
وعانقتُ في وحدتي لوّعتي
وقلت لنفسي: «ألا فاسكتي!»

٢١ صفر ١٣٤٥

٣١ اوت ١٩٢٦

الزنبقة الزاوية

أزنبقة السفح؟ مالي أراك
أفي قلبك الغض صوت اللهب،
أسمعك الليل ندب القلوب
أصبّ عليك شعاع الغروب
أوقفك الدهر حيث يفجّ
تعانقك اللوعة القاسية؟
يرتل أنشودة الهاوية؟
أرشفك الفجر كأس الأسي؟
نجيع الحياة ، ودمع المصا
رُ نوح الحياة صدوع الصدور؟

وَيَنْبْتُقُ اللَّيْلَ طَيْفًا ، كَثِيبًا رَهِيْبًا، وَيَخْفِقُ حَزْنُ الدَّهْوَرِ؟

*

إِذَا أَضْجَرْتِكِ أَغَانِي الظَّلَامِ ، فَقَدْ عَذَّبْتَنِي أَغَانِي الْوَجُومِ
وَإِنْ هَجَرْتِكِ بِنَاتُ الْغِيَوْمِ ، فَقَدْ عَانَقْتَنِي بِنَاتِ الْجَمِيمِ
وَإِنْ سَكَبَ الدَّهْرُ فِي مَسْمِعِكِ ، نَحِيْبَ الدَّجَى ، وَأَنْيْنَ الْأَمْلِ
فَقَدْ أَجَّجَ الدَّهْرُ فِي مَهْجَتِي شُوَاظًا مِنَ الْحَزَنِ الْمَشْتَمَلِ
وَإِنْ أَرَشَفْتِكِ شِفَاءَ الْحَيَاةِ رُضَابَ الْأَسَى ، وَرَحِيْقَ الْأَلْمِ
فَإِنِّي تَجَرَّعْتُ مِنْ كَفِّهَا كُؤُوسًا مُوَجَّجَةً ، تَضْطَرْمُ

*

أَصِيخِي ! فَمَا بَيْنَ أَعْشَارِ قَلْبِي يَرِفُ صَدَى نُوْحِكِ الْخَافَتِ

معيداً على مهجتي بجفيف جناحيه صوت الأسي المائت
 وقد أترع الليلُ بالحبِّ كأسِي وشعشعها بلهيب الحياة
 وجرّعتني من ثُمالاتِه مرارةَ حزنٍ، تُذيب الصفاة
 إليّ ا فقد وحدثُ بيننا قساوةُ هذا الزمانِ الظلومِ
 فقد فجّرتُ في هذِي الكلومِ كما فجّرتُ فيكِ تلكِ الكلومِ

*

وإن جرّفتني أكفُ المنونِ
 إلى اللحدِ أو سحقتكِ الخطوبِ
 فحزني وحزنكِ لا يبرخانِ
 أليفينِ رغم الزمانِ العصيبِ
 وتحتَ رواقِ الظلامِ الكئيبِ
 إذا شمل الكونَ روحُ السحرِ

يُسْمَعُ صَوْتٌ ، كَلْحَنِ شَجِيءٍ
تَطَايَرًا مِنْ خَفَقَاتِ الْوَتْرِ
يَرْدُدُهُ حُزْنُنَا فِي سَكُونٍ
عَلَى قَبْرِنَا الصَّامِتِ ، الْمَطْمَئِنِّ
فَنَرْقُدُ تَحْتَ التَّرَابِ الْأَصْمِ
جَمِيعًا عَلَى نَفْثَاتِ الْحَزَنِ

٩ جمادى الأولى ١٣٤٥

١٥ نوفمبر ١٩٢٦

يا شعر

يا شعرُ أنتَ فمُ الشعور ، وصرخةُ الروح الكئيبُ
يا شعرُ أنتَ صدى نحيب القلب ، والصَّبَّ الغريب

*

يا شعرُ أنتَ مدامعٌ علقتُ بأهداب الحياة
يا شعرُ أنتَ دمٌ ، تفجّرُ من كلِّوم الكائنات

*

يا شعر ! قلبي - مثلما تدري - شقي * مظلّم
فيه الجراحُ النجلُ ، يقطر من مفاورها الدمُ

*

جذت على شفتيه أرزاءُ الحياة العابسهُ
فهو التعيسُ ، يُذيبه نوحُ القلوب البائسهُ

*

أبدا ينوح بحرقه ، بين الأمانى الهاويهُ
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الداويهُ

*

كمّ قد نصحتُ له بأن يسلو ، وكمّ عزيتُهُ

فأبى ، وما أصغى إلى قولي ، فما أجديته

*

« كم قلت : « صبرا يا فؤادُ ! ألا تكفُ عن النحيب ؟ »
« فإذا تجلّدتِ الحياةُ تبدّدتْ شعلُ اللهبِ ،

*

« يا قلب ! لا تجزع أمامَ تصلّبِ الدهرِ المصورِ »
« فإذا صرختَ توجّعا هزأتُ بصرختكِ الدهورِ »

*

« يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديعُ ،

*

« يصفي لضجّات العواصف قبل أنغام الربيع ،

*

« يا قلب ا لا تقنعْ بشوك اليأس من بين الزهور ،
« فوراءَ أوجاع الحياة عذوبةُ الأمل الجور ،

*

« يا قلب ا لا تكبْ دموعَك بالفضاء فتندمِ ،
« فملى ابتسامات الفضاء قسوةُ المتكلمِ ،

*

لكنّ قلبي وهو - مُخضّلُ الجوانب بالدموع -

جاشتَ به الأحزانُ ، إذ طفعت بها تلك الصدوع

*

يبكي على الحلم البعيد بلوعةٍ ، لا تنجلي
غردًا ، كصدّاح الهواتف في الفلا ، ويقول لي :

*

« طهّرْ كلومكَ بالدموع ، وخلصها وسيلها ،
« إن المدامع لا تُضيع حقيرها وجليلها ،

*

« فَمِنْ المدامع ما تدفع جارفا حَسَك الحياه ،

« يرْمِي لهاوية الوجود بكل ما يبني الطغاة »

*

« ومن المدامع ما تألّق في الغياهب كالنجوم »
« ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الموم »

*

فارحَمَ تعاسته ، ونُحِّمَ معه على أحلامِهِ
فلقد قضى الحلمُ البديعُ على لظى آلامِهِ

*

يا شعر ! يا وحيَّ الوجود الحيّ ! يا لُغَةَ الملائك

غرّد ، فأيتامي أبا تبكي على إيقاع نايك

*

ردّد على سمع الدجي أناتِ قلبي الواهية
واسكب بأجفان الزهور دموعَ قلبي الدامية

*

فلعلّ قلب الليل أرحم بالقلوب الباكية
ولعلّ جفنَ الزهر أحفظُ للدموع الجارية

*

كم حرّكت كفاً الأسي أوتارَ ذبّاك الحنين
فتهاملت أحزان قلبي في أغاريد الأنين

*

فَلَاكُمُ أَرْقَتْ مَدَامِي ، حَقِ تَقَرَّحَتِ الْجَفُونَ
ثُمَّ التَفَتَا ، فَلَمْ أَجِدْ قَلْبًا يَقَاسِمُنِي الشَّجُونَ

*

فَعَسَى يَكُونُ اللَّيْلُ أَرْحَمَ ، فَهُوَ مِثْلِي يَنْدُبُ
وَعَسَى يَصُونَ الزَّهْرُ دَمْعِي ، فَهُوَ مِثْلِي يَسْكَبُ

*

قَدْ قَنَعْتُ كَفَّ الْمَاءِ الْمَوْتَ بِالصَّمْتِ الرَّهِيْبِ ،
فَقَدْ كَأَعْمَاقِ الْكَهْفِ ، بَلَا ضَجِيحٍ أَوْ وَجِيْبِ

*

يَأْتِي بِأَجْنَعَةِ السَّكُونِ ، كَأَنَّهُ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ

لكنّ طيفَ الموت قاسٍ، والدجى طيفٌ رحيم

*

ما للنية لا ترقُ على الحياة النائحه ؟
سيان أفئدةٌ تننّ ، أو القلوب الصادحه ؟

*

يا شعراً ! هل تُخلِقَ المنون بلا شعورٍ كالجماد ؟
لا رعشة تعرفو يدينه إذا تملّقه الفؤاد ؟

*

أرأيتَ أزهارَ الربيع ، وقد ذوتْ أوراقها

فهوت إلى صدر التراب ، وقد قضت أشواقها ؟

*

أرأيت شحورَ الفلا ، مترنما بين الغصون
جد النشيدُ بصدرة ، لما رأى طيفَ المنون ؟

*

فقضى ، وقد غاضت أغاريدُ الحياة الطاهرة
وهوى من الأغصان ، ما بين الزهور الباسرة ؟

*

أرأيتَ أمَّ الطفل تبكي ذلك الطفلَ الوحيدَ

لَمَّا تَنَاولَهُ بِعَنْفٍ سَاعِدُ الْمَوْتِ الشَّدِيدِ ؟

*

أَسَمِعْتَ نَوْحَ الْعَاشِقِ الْوَلْهَانِ ، مَا بَيْنَ الْقُبُورِ
يَبْكِي حَبِيبَتَهُ ؟ فَيَا لِمِصَارِعِ الْمَوْتِ الْجَسُورِ !

*

طَفَعْتُ بِأَعْمَاقِ الْوَجُودِ سَكِينَةَ الصَّبْرِ الْجَلِيدِ
لَمَّا رَأَى عَدْلَ الْحَيَاةِ يَضُمُّهُ اللَّحْدُ الْكَنُودِ

*

فَتَدَفَّقَتْ لَحْنًا يَرُدُّهُ عَلَى سَمْعِ الدَّهْوَرِ

صوتُ الحياة بضجة . . ، تسمى على شفة البحور

*

يا شعر ! أنتَ نشيدُ أمواج الخضمّ الساحرة
الناصعات ، الباسمات ، الراقصات ، الطاهرة

*

السافرات ، الصادحات مع الحياة إلى الأبد؟
كعرائس الأمل الضحوك ، يَومِن ما طال الأمد

*

هنا إنّه أزهارَ الربيع تبسّمت أكامها

ترنو إلى الشفق البعيد ، تقرأها أحلامها

*

في صدرها أملٌ ، يحدق نحو هاتيك النجوم
لكنه أملٌ ، ستلحده جبابرة الوجوم

*

فلسوف تغمض جفنها عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مخيمٌ في جو ذبائك السبات

*

ها إنها همت بأذان الحياة غريدها

قتلتُ عصافيرُ الصبحِ 'صداحا' ونشيدَها

*

يا شعرُ ! أنتِ نشيدُ هاتيكِ الزهورِ الباسمةِ
يا ليتني مثلُ الزهورِ ، بلا حياةٍ واجه

*

إن الحياةَ كثيبةٌ ، مغمورةٌ بدموعها !!
والشمسُ أضجرتها الأسي ، في صحوها وهجوعها

*

فتجرّعتُ كأساً دهاقا من 'مشعشة' الشفقِ

فتأملت ، سكرى إلى كهف الحياة .. ولم نبق

*

يا شعرُ ! أنتَ نحيبها لما هوتَ لسباتها
يا شعرُ ، أنتَ صداها ، في موتها وحياتها

*

أنظر إلى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجبال
بشعاعه الخلاب ، يغمرها بدسات الجمال

*

فيثير في النفس الكئيبة عاصفا لا يركد

ويؤجج القلب المذبذب شملة لا تخمد

*

يا شعرُ ! أنت جمال أضواء الغروب الساحره
يا همسَ أمواج المساء الباسماتِ الحائره

*

يا نايَ أحلامي الحبيبةِ ! يا رفيقَ صبابتي
لولاك متُّ بلوعي ، وبشقوتي ، وكآبتي

*

فيك انطوتُ نفسي ، وفيك نفختُ كلَ مشاعري
فاصدحْ على قم الحياة بلوعي ، يا طائري

١٤ رجب ١٣٤٥

١٨ جانفي ١٩٢٧

الى الطاغية

يقولون : « صوت المستذللين خافت »
وسمع طغاة الأرض [أطرش] أضخم ،
وفي صنعة الشعب المسخر زعزع
تَنخِرُ لها شمُ العروش ، وتُهْدَمُ
ولعَلَمَةَ الحقِّ الغَضوب لها صدى
ودمدمة الحرب الضروس لها فمُ

إذا التفّ حول الحقّ قوم فإنّه
يصرّمُ أحداثَ الزّمانِ ويُنبرم

*

لك الويل يا صرّحَ المظالم من غدٍ
إذا نهض المستضعفون ، وصمّوا !

إذا حطّمَ المستعبّدون قيودهم
وصبّوا حميم السخّط أيتان تعلم . . !

أغرّك أن الشعب مُغضٍ على قذى
وأنّ الفضاء الرّحّبَ وسنانُ ، مظلم ؟

ألا إنّ أحلامَ البلادِ دفينّةٌ
تجمجم في أعماقها ما تجمجم

وانكن سيأتي بعد لأي نشورها
وينبثق اليوم الذي يترنم
هو الحق يُغفي... ثم ينهض ساخطا
فيمهدُ ما شاد الظلام^(١) ويحطمُ
غدا الرثوع، إن هب الضعيفُ بيأسه،
ستعلم مَنْ مِننا سيحرفه الدّم
إلى حيث تجني كفته بذراً أمسه
ومزدرعُ الأوجاع لا بُدَّ يندم
ستجرع أوصابَ الحياة، وتنتشي
فتصفي إلى الحق الذي يتكلم

(١) الظلام بكسر الظاء : الظلم

إذا ما سقاك الدهر من كأسه التي

قرارتها صابٌ مَرَّيرٌ ، وعلقم

إذا صعق الجيتار تحت قيوده

يصيح لأوجاع الحياة ويفهم !!

١٥ شعبان ١٣٤٥

١٨ فيفري ١٩٢٧

السّامة

سُئِمْتُ الحَيَاةَ ، وما في الحَيَاةِ
وما إن تجاوزتُ فجر الشبابُ
سُئِمْتُ الليالي ، وأوجاعها
وما شعّعت من رحيق بصباب
فحطّمتُ كأمي ، وأقيمتها
بوادي الأسي وجحيم العذاب

فأنتت . وقد غمرتها الدموع
وقرّت . وقد فاض منها الحباب
وألقى عليها الأسي ثوبه
وأقبرها الصمت والاكئاب

*

فأين الأمانى وألحائها ؟
وأين الكؤوس ؟ وأين الشراب
لقد سحقتها أكف الظلام
وقد رشفتها شفاه السراب

*

فما العيش في حومةٍ بأسها
شديد ، وصدّاحها لا يُجاب

كئيبٌ ، وحيدٌ بآلامه
وأحلامه ، شدواه الانتحاب
وت في الربيع أزاميرها
فنيمن ، وقد مصهن التراب
سوين للشحور على ذلّة
ومثنى ، وأحلامهن العذاب
سجل الجدل ، وغاض المبير
وأذوى الردى سحرهن العجاب

١٥ رمضان ١٣٤٥

١٩ مارس ١٩٢٧

أغنية الأحرار

غَنِّي أنشودةَ الفجر الضحوكِ
أهـا الصـداحُ !
فلقد جرّعتني صوتُ الظلام
ألمأ علمني كره الحياة
إن قلبي صلّ أصداء النواحِ
غَنِّي ، يا صاحِب !

حطمت كف' الأسي قيثارتي
في يد الأحلام

فقضت صمتاً أناشيد الغرام
بين أزهار الخريف الداوية
وتلاشت في سكون الاكتئاب

كصدي الغريد

*

كُف عن تلك الأغاني الباسمة
أهيا العصفور ا

فحياتي ألفت لحن الأسي

من زمان قد تقضى . وعسى
أن يثير الشدو في صمت الفؤاد

أنت الأوتار ... !

*

لا تغتني أغاريد الصباح

بلبل الأفراح !

فؤادي ، وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه ألحان السرور

وأغاني النور

إنَّ مَنْ أَصْفَى إِلَى صَوْتِ الْمَسْنُونِ

وصدى الأجداث

ليس تستهويه ألحان الطيور
بين أزهار الربيع الساحرة
وابتسامات الحياة ، السافرة

عن جلال الله !

*

غنتي يا صاح . أنتات الجحيم

واسقني الآلام

أترع الكأمر بأوجاع الموم
واسقني إنسي كرهت' الانتسام

غنني نذبَ الأمانى الخائبة

والليالي السود

*

غنني صوت الظلام المكتئب

إنني أهواه

هاك كأس القلب فاملأها نواح
واسكب الحزن بها حتى الصباح!
إنها من طينة الحزن المرير

صاغها الخلاق

*

ديوان أبي القاسم الشابي (٩)

١٢٩

بثتِ الأفراحُ ، أفراح الحياة

إنها أحلام

تخلب اللبّ بألحانِ عذابِ
وأغاريِدَ كأملك السما
ثم لا تلبث أن تدوي كما

تذبل الأزهار

*

خبّرني. ما الذي خلف النجوم...؟

رَبَّةَ الأحلام

أفق الهولِ وجَبَّارِ الموم ؟
أم عروسُ الأملِ العذبِ الشroud

تتهادى بين لألاء الصباح ؟

كَمَلَاكُ ، النورُ

*

أنا في درب الحياة الغامضه

تائهٌ ، حيرانُ

بينما أبصر في وجه الحياة
ظلمةَ الأحزان في ظلّ الألم
إذ أرى في جفنها نورا بديعُ

باسمها ، فتانُ

*

ها أنا أسمع في قلب الحياة

صبيحة الألام

مُرّةً تنساب من قلب حطيم
ملاً الحزنُ أقاصيه دموعُ
ها أنا أسمع أصوات السرور

كسّفت الأيّام

٢٢ شوال ١٣٤٥

٢٦ افريل ١٩٢٧

الدموع

ينقضي العيش بين شوق ويأس
والمنى بين لوعة وتأس
هذه سنة الحياة ، ونفسي
لا تؤدّ الرحيق في كأس رجس
ملىء الدهر بالخداع ، فكم قد
ضللّ الناسَ من إمام وقَسّ

كلّما أسأل الحياة عن الحقّ
تكفّ الحياة عن كلّ همس
لم أجد في الحياة لحناً بديعاً
يستبيني سوى سكينه نفسي
فسمت الحياة ، إلاّ غراراً
تتلاشى به أناشيدُ ياسي

*

ناولتني الحياة كأساً دهاقاً
بالأمانى ، فما تناولتُ كأسى
وسقتني من التماسه أكوا
بأ تجرّعتها ، فيا شدّ تعسى !

إن في روضة الحياة لأشوا
كأبها مُزقت زفابق نفسي

*

ضاع أمسي وأين منيَ أمسي؟
وقضى الدهرُ أن أعيش بيأسي؟

وقضى الحبُّ في سكون مريعٍ
ساعةَ الموت بين سخط وبؤس

لم تُخَلِّفْ ليَ الحياة من الأم
س سوى لوعةٍ ، تهبُّ وترسي

تتهادى ما بين غصّات قلبي
بسكونٍ وبين أوجاع نفسي

كخيال من عالم الموت . ينما

ب بصمتٍ ما بين رسمٍ ورسم

تلك أوجاعُ مهجة ، عذبتُها

في جحيم الحياة أطيفاً نحس

١٩ ذر الحجة ١٣٤٥

٢٠ جوان ١٩٢٧

أيها الليل

أيها الليل ! يا أبا البؤس والهَوِّ
ل ، أيها هيكل الحياة الرهيب !
فيك تجثو عرائس الأمل العذ
ب . تُصلي بصوتها المحبوب
فيشير النشيدُ ذكرى حياة
حجبتها غيومُ دهر كئيب

وترفّ الشجون من حول قلبي
بسكون ، وهيبة ، وقطوب
أنت يا ليل ذرّةٌ ، صعدت للكون من موطنيء الجحيم الغضوب
أيها الليل ! أنت نغم شجيّ
في شفاء الدهور ، بين النحيب
إنّ انشودة السكون ، التي ترتجّ
في صدرك الركود ، الرحيب
تُسمع النفس ، في هدوء الأمان
رنة الحق ، والجمال الخُطوب
فتصوغ القلوبُ منها أغاريدا
تهزّ الحياة هزّ الخطوب

تتلوى الحياة ، من ألم البؤ
س فتبكي بلوعة ونجيب
وعلى مسمعك ، تنهل نوحا
وعويلا مرّا ، شجون القلوب
فأرى برقما شفيفا من الأو
جاع ، يلقي عليك شجوا الكئيب
وأرى في السكون أجنحة الجب
سار ، مخضلة بدمع حبيب
فلك الله ! من فؤاد رحيم
ولك الله ! من فؤاد كئيب
يهجم الكون ، في طمانينة العص
فور ، طفلا بصدرك القريب

وبأحضانك الرحيمة يستيقظ في
نَضْرَةَ الضحوكِ الطروب
شادياً كالطيور بالأمل العذ
ب ، جميلاً كبهجة الشؤبوب
يا ظلام الحياة ! يا روعة الحز
ن ! ويا معزف التعيس الغريب
إن في قلبك الكئيبِ لمرقا
دا لأحلام كل قلب كئيب
وبقيشارة السكينة في ك
فتيكَ تنهل رنة المكروب
فيك تنمو زقابق الحلم العذ
ب ، وتذوي لدى هيب الخطوب

خلف أعماقك الكثيبة تنسا
بِ ظلالِ الديمور ، ذاتَ قطوب
وبفؤديك ، في صفائك الس
ود ، تدبُ الأيامُ أيّ دبيبِ

*

صاحِ ! إن الحياة أنشودة الحز
ن ، فرتلْ على الحياة نحبي
إنّ كأس الحياة مترعة بال
دمع ، فاسكبْ على الصباح حبيبي
إنّ وادي الظلام يطفح بالهو
ل ، فما أبعد ابتسام القلوب !

لا يغرّنتك ابتسام بني الأَر
ض فخلف الشعاع لدعُ اللهب
أنت تدري أن الحياة قطوب
وخطوب ، فما حياة القطوب ؟

إنّ في غيبة الدهور تباعا
لخطيب يمرّ إثر خطيب

*

سدّدت في سكينة الكون، للأء
باق ، نفسي لحظا بعيد الرُسوب
نظرة مزّقت شفاف الليالي
فأرت مهجة الظلام الهَيوب

ورأت في صميمها لوعة الحزن
ن ، وأصفت إلى صراخ القلوب
لا تحاول أن تنكر الشجو ، إني
قد خبرت الحياة خبر لبيب
فتبرمتُ بالسكينة والضجّة
ة ، بل قد كرهتُ فيها نصيبي...

كن كما شئت السماء كئيبا
أبي شيء يسرّ نفس الأريب ؟
أنفوس تموت ، شاخصة بالهو
ل ، في ظلمة القنوط العصيب ؟
أم قلوب محطّات على سا
حل لُجّ الأسي ، بموج الخطوب؟

إنما الناس في الحياة طيورٌ
قد رماها القضا بوادٍ رهيب
يمصف الهولُ في جوانبه السو
د فيقضي على صدَى العندليب

*

قد سألت الحياة عن نعمة الفجر
ر ، وعن وَجْمة المساء القَطُوب
فسمعتُ الحياة ، في هيكل الأحزا
ن ، تشدو بلهجتها المحبوب
ما سكوتُ السماء إلا وجومٌ
ما نشيدُ الصباح غيرُ نجيب

ليس في الدهر طائرٌ يتغنى

في ضفاف الحياة غيرَ كئيب

خضب الاكتئابُ أجنحة الأيا

م ، بالدمع ، والدم المسكوب

وعجيبٌ أن يفرح الناس في كهف الليالي ، بجزنها المشبوب !

*

كنت أرنو إلى الحياة بلحظٍ

باسم ، والرجاءُ دون لغوب

ذاك عهد حسبه بسمة الفجر ، ولكنته شعاع الغروب

ذاك عهد ، كأنه رنة الأفرا

ح ، تنساب من قم العندليب

خَفَّفَتْ - ريثما أصختُ لها بالقلب، حيناً - وبُدِّلَتْ بنحيب
إن خمر الحياة وردية اللو
ن ، ولكنها سهام القلوب

*

جرفتُ من قرارة القلب أحلا
مي، إلى اللحد، جائراتُ الخطوب
فتلاشت على تخوم الليالي
وتهاوت إلى الجحيم الغضوب
وثوى في دُجُنَّة النفس، ومضُ
لم يزل بين جيئة ، وذُهوْب
ذكريات تَميس في ظلِّمة النفس ، ضالاً ، كرائعات المشيب

*

يا لقلب تجرّع اللوعة المرّة

ة من جدول الزمان الرهيب!

ومضت في صميمه شُعلةُ الحز

ن، فَعَشَّتْهُ من شماع اللهب...

٢٣ ذو الحجة ١٣٤٥

٢٤ جوان ١٩٢٧

المجد

يودُ الفتي لو خاض عاصفة الردى
وصدّ الخيس المجرّ والأسدَ الورّدا
ليدرك أجماد الحروب ، ولو درى
حقيقتَها ما رامَ من بينها مجدًا
فما المجدُ في أن تُسكِرَ الأرضَ بالدماء
وتركبَ في هيجائها فرسًا نهدًا

ولكنه في أن تصدّ بهمةٍ
عن العالم المرزومِ ، فيضَ الأسي صدًا

٢ صفر ١٣٤٦

غرة - أوت ١٩٢٧

الحب

الحبُ شعله نورٍ ساحرٍ ، هبّطتُ
من السماء ، فكانتُ ساطعَ الفلقِ
ومزقتُ عن جفون الدّهرِ أغشيّةً
وعن وجوه الليالي بُرقعَ الفسقِ
الحبُّ روحٌ إلهيٌّ ، مجنّعةٌ
أبامه بضياءِ الفجرِ والشّفقِ

يطوف في هذه الدنيا ، فيجعلها
نجمًا ، جميلًا ، ضحوكًا ، جدًّا مؤتلق
لولا ما سُمِعَتْ في الكون أغنيةُ
ولا تآلف في الدنيا بنو أفقِ
الحبِّ جدولُ خمرٍ ، مَنْ تذوقه
خاض الجحيم . ولم يُشْفِقْ من الحرقِ
الحب غاية آمال الحياة ، فما
خوفي إذا ضمّني قبيري؟ وما قرّقي؟

٢٩ صفر ١٣٤٦

٢٨ اوت ١٩٢٧

جدول الحب بين الأمس واليوم

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة
واليوم ، قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة
قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول
يجري به ماء المحبة طاهراً ، يتسلسل
تسمى به الأمواجُ باسمه كأحلام الصبا ،

بيضاء ، ناصعةً ضحوكاً مثل أزهار الربى
مياسة كعرائس الفردوس بين حُقولِهِ
تتلو أناشيد المُنَى في مَدَه وقُفولِهِ

*

هُوَ جَدُّ وَلِ الحُب الذي قد كان في قلبي الحَضِيلُ
بمِرافِش الأحلام منطلقاً ، يسير على مَهَلٍ
يتلو على سممي أغاريدَ الحياة الطاهرة
ويُثير في قلبي أناشيدَ الخلود الساحرة
تقف العذارى الخالداتُ... عرائس الشعرِ البديعِ
في ضفَّتَيْهِ ، مُردِّداتِ نغمةَ الحلمِ الوديعِ
يلمس من قَيْثارَةِ الأحلام أوتار الغزلِ
فتفيض ألحانُ الصباية عذبةً ، مثل الأمل
وتطير بالبَسَمَاتِ والأنغامِ أجنحةُ الصدى

في ذلك الأفق الجميل ، وذلك النَّسَمَ الرُّخا
وهناك ، حيث تُعَانِقُ البسَمَاتُ أنفَامَ الغزل
يتأيل الحلمُ الجميل ... كبسمة القلب التَّمِيلِ

*

هُوَ جَدولٌ ، قد فَجَّرَتْ يَنْبوعَهُ في مهجتي
أجفانُ فاتنة أرْتَنِيهَا الحِياةَ لشقوتي
أجفانُ فاتنة تراءتْ لي على فجرِ الشَّبَابِ
كعروسة من غاياتِ الشعرِ، في شَفَقِ الحِسابِ
ثمَّ اختفت خلفِ السماء ، وراء هاتيك الغيومِ
حيث العذارى الخالداتُ، يَمِيسُنَ ما بين النجومِ
ثمَّ اختفت أوَاهُ ! طائِرةٌ بأجنحة المنونِ
نحو السماء ، وها أنا في الأرض تَمثالِ الشجونِ

قد كان ذلك كله بالأمس! بالأمس البعيد...
والأمس قد جرفته مقهوراً يدُ الموت العتيد
قد كان ذلك تحت ظلّ الأمس، والماضي الجميل
قد كان ذلك في شعاع البدر من قبل الأفول
واليوم اذ زالت ظلال الأمس عن زَهْرِي البديع
وتجلببَ الزَّهْرُ الجميلُ بظُلمة الليل المريع
ذبلت مرأشفه، فأصبح ذاوياً، نِضْوَ الكلوم
وهوى لأنّ الليل أسمعُه أناشيد الوجوم...

*

بالأمس قد كانت حياتي كالسما والباسمة
واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة

*

إذْ أصبح النبع الجميل يسير في وادي الألم
متعثراً بين الصخور . يغور في تلك الظلم
جفّتْ به أمواجُ ذبّاك الغرام الآفيلِ
فتدفقتْ فيه الدموعُ بصوبها المتهاطلِ
قد حجّبتَه غيومُ أحزان الوجود القائمةُ
قد أخرسته مرارةُ القلب التعميس الظالمه
جمدتْ على شفتيه انغام الصباية والهوى
وقضتْ أغاني الحبّ، في أعماقه ، لمتاً هوى
وعدتْ به الأمواجُ ، جامدةً الملامح ، قائمه
قد أسكّنتها لوعة الرّوح الحزين الواجمه
غاضتْ أمانيتها . وغار بها الجمال الساحرُ
فأصابتها - لهفأ عليه - الاكئابُ الكافرُ
في ضِفْتَيْهِ عرائس الأشعار تنصبُ مأتما

يُهرقن فيه الدمعَ ، حق يلطم الدمعُ الدّما
فيسيل ذاك المدمعُ الدّامي لقلب الجدولِ
حيث المرارةُ ، والأسى ، بين الزهور الذُّبُلِ
وينثعن حتى يُفْنِمَ الآفاق صوت الإنتعابِ
فتسير أصداءُ النّياحة نحو أطباق الضّباب
وهناك ما بين الضّباب الأقم الساجي الكئيبِ
تهتزهُ آلامى ، وتختلج الكتابة بالنّحيب

٢ ربيع الأول ١٣٤٦

٣٠ اوت ١٩٢٧

سر مع الدهر

سر مع الدهر، لا تصدّئك الأهوال، أو تُفزعِ عنك الأحداثُ
سر مع الدهر ، كيفما شاءت الدنيا ، ولا يخذعنك النفاث
فالذي يرهبُ الحياةَ شقيٌّ ، سخرتُ من مصيره الأجداث

١٠ ربيع الاول ١٣٤٦

٧ سبتمبر ١٩٢٧

الذڪرو

كنا كزوجي طائر ، في دوحه الحبّ الأمين
تلاو أناشيدَ المنى بين الخائل والغصون
متغرّدَيْن مع البلابل في السهول وفي الحزون
ملأ الهوى كأس الحياة لنا ، وشعشعها الفتون
حتى إذا كدنا نرشفُ خمرها ، غضب المنون
فتخطّف الكأسَ الخَلوبَ ، وحطّم الجام الثمين

وأراق خمر الحبّ في وادي الكآبة والأنين
وأهاب بالحبّ الوديع ، فودّع العُشّ الأمين
وشدا بلحن الموتِ في الأفق الحزين المستكين
ثمّ اختفي خلف الغيوم ، كأنّه الطيف الحزين ...

* * *

يا أيها القلب الشجيّ ! إلام تخرسك الشجون
رحماك قد عذّبتني بالصمت والدمع الهتون
مات الحبيب ، وكلّ ما قد كنتَ ترجو أن يكون !
فاصبرْ على سخط الزّمان ، وما تصرفه الشؤون
فلسوف يُنقذك المنونُ ، ويفرح الروح السجين ...

* * *

ورّدُ الحياة مُرنّقٌ ، والموت مورده مّعين

ولربّما شاق الرّدى الداجي ، وأعماقُ المنون
قلبا ، تروّعه الحياة ، ولا تُهدّنه السنون
ومشاعرا حمرى ، يسيرُ بها القنوط إلى الجنون

٢٩ جمادى الاولى ١٣٤٦

٢٤ نوفمبر ١٩٢٧

١٦١ ديوان أبو القاسم الشابي (١١)

الطفولة

لله ما أحلى الطفولة ! إنها حلم الحياة
عهدٌ كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السبات...
ترنو إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمه
وتسير في عدواتِ وادها بنفس حامله . .

* * *

إنّ الطفولة تهتزُّ في قلب الربيع

ريانةٌ من ريتق الأنداء في الفجر الوديع
غنت لها الدنيا أغاني حبها وحبورها
فتأودت نَشوى بأحلام الحياة ونورها

* * *

إن الطفولة حقةٌ شعريّةٌ بشعورها
ودموعها ، وسرورها ، وطموحها ، وغرورها
لم تمس في دنيا الكتابةِ ، والتعاسةِ ، والعذابِ
فترى على أضوائها ما في الحقيقة من كذاب

١٢ رجب ١٣٤٦

٥ جانفي ١٩٢٨

قالت الايام

يا أيها السادر في غيِّه !
يا واقفا فوق حطام الجبَّاه !
مهلاً ! ففي أنات من دستهم
صوتٌ رهيبٌ سوف يدوي صداه ...

* * *

لا تأمنن الدهر ، إنما غفا

في كهفه الداجي ، وطالت رؤاه
فإن قضى اليومُ وما قبله
ففي الغد الحيُّ صباحُ الحياةُ

* * *

يا أيها الجبار ! لا تزدي
فالحق جبارٌ ، طويل الأناةُ
يفضي ، وفي أجفانه يقنطةُ
ترنو إلى الفجر الذي تراه ...

١٥ رجب ١٣٤٦

٨ جانفي ١٩٢٨

المساء الحزين

أظلمَ الوجودَ المساءُ الحزينُ ، وفي كفه مِعزف لا يُبينُ
وفي ثغره بسمات الشجون ، وفي طرفه حسرات السنينُ
وفي صدره لوعة لا تَقِرُّ ، وفي قلبه صعقات المنون
وقبله قُبلاً صامتاتٍ ، كما يلثمُ الموتُ ورَدَ الغصون
وأفضى إليه بوحى النجوم ، وسرَّ الظلام ، ولحن السكون
وأوحى إليه مزاميرَه ، ففنتتُ بها في الظلام الحزون

وعلمته كيف تأسى النفوس ، ويقضي يُؤوساً لديها الحنين
وأسمعه صرخاتِ القلوب ، وأنهله من سلاف الشؤون
فأغفى على صدره المطمئن ، وفي رُوحه حلمٌ مستكين
قويٌ ، غلوبٌ ، كسحر الجفون ، شجيٌ ، لعوبٌ كزهر حزين
ضعوك ، وقد بللته الدموع ، طروبٌ وقد ظللته الشجون
تعانقه سكرات الهوى . وتحضنه شهقات الأنين
يشابهُ رُوحَ الشباب الجميل إذا ما تالتق بين الجفون
أعاد لنفسي خيالاً جميلاً ... لقد حجبتة صروف السنين
فطافت بها هجسَاتُ الأسي ، وعادت لها خطوات الجنون

• • •

أظلّ الفضاءَ جناح الغروب ، فالقى عليه جمالاً كئيبٌ
وألبسه حلةً من جلالٍ . شجيٌ ، قويٌ جميل ، غلوبٌ

فنامت على العُشب تلك الزهورُ لمرأى المساء الحزين الرهيب
وآبت طيورُ الفضاء الجميل لأوكارها ؛ فرحاتِ القلوب
وقد أضرمت بأغاريدها خيالَ السماء الفسيح الرحيب
وولتِ رعاةُ السوامِ إلى الحيِّ يزجونها في صمات الغروب
فتشغُو ، حينئذٍ لحُملائها ، وتقطفُ زهرَ المروج الخصب
وهم ينشدون أهازيجهم بصوت ، بهيج ، فرُوحٍ ، طروب
ويستمنحون مزاميرهم ، فتمنحهم كلَّ لحنٍ عجيب
تطير به نسماتُ الغروب إلى الشفقِ المستطير الخلوب
وتوحي لهم نظراتُ الصبايا أناشيدَ عهد الشباب الرطيب
وأقبل كلُّ إلى أهله ، سوى أملي ، المستطار ، الغريب
فقد تاه في معسبات الحياة ، وسُدَّتْ عليه مناحي الدروب
وظلَّ شريداً ، وحيداً ، بعيداً ، يغالب عنف الحياة العصب
وقد كان من قبلُ ذا غبطةٍ ، يرفرف حول فؤادي الخصب

* * *

ولما أظلمت المساءُ السماءَ ، وأسكر بالحزن روحَ الوجودِ
 وقفتُ، وساءلته : « هل يؤوب لقلبي ربيعُ الحياة الشُّرود؟ »
 « فتخفقُ فيه أغاني الورود ويخضرُ فردوسُ نفسي الحصيد؟ »
 « وتختال فيه عروس الصباح، وتمرح نَشوى بذاك النشيد؟ »
 « ويرجع لي من عراص الجحيم سلامُ الفؤاد ، الجميلُ، المهيد؟ »
 « فقد كبَّلتَه بناتُ الظلام ، والقينَه في ظلام اللحد؟ »
 فأصغى إلى لَهْفِي المستمر ، وخاطبني من مكان بعيد :
 « تعودُ ادِّ كاراتُ ذاك الهوى ، ولكنَّ سحر الهوى لا يعودُ »
 فجاشتُ بنفسي مآسي الحياة ، وسخطُ القنوط القويُّ المرِيدُ
 ولما طغت عصفاتُ القنوط فمادتُ بكلِّ مكين ، عتيدُ
 أهبتُ بقلبي، الهلوع، الجزوع، وقد كان من قبلُ جلدا ، شديد :
 « تجلِّد ، ولا تستكن للبيالي ، فما فاز إلاَّ الصبور الجليد ،

« ولا تأسَ من حادّاتِ الدهورِ ، فخلفَ الدياجيرَ فجرٌ جديدٌ ،
« ولولا غيومُ الشتاءِ الغِضابُ لما نضدَ الرّوضُ تلكَ الورودُ ،
« ولولا ظلامُ الحياةِ العَبوسُ لما نسجَ الصّبحُ تلكَ البرودُ ،

٢٧ رجب ١٣٤٦

٢٠ جانفي ١٩٢٨

بقايا الخريف

كرهتُ القصورَ ، وقطّانها ، وما حولها من صرّاعٍ عنيفٍ
وكيدِ الضّعيفِ لسعي القويّ ، وعصفِ القويّ يجهد الضّعيفُ
وجاشت بنفسي دموع الحياة ، وعجبتُ بقلبي رياح الصروف
لقلب الفقير الحطيم الكسير ، ودمع الآيامي السفيح الذريف
ونوحِ اليتامى على أمهات ، توارينَ خلف ظلام الحُتوف
فسرتُ إلى حيث تأوي اغاني الربيع ، وتذوي أماني الخريف

وحيث الفضاء شاعر حالمٌ ، يناجي السهول بوحى طريف
 وقد دثرتُه غيومُ المساء بظلٍ حزينٍ ، ضريحٍ ، شفيف
 وبين الغصون التي جردتها ليالي الخريف القويّ ، العسوف
 وقفتُ ، وحوالي غديرٍ ، مواتٍ ، تمادتُ به غفوات الكهوف
 قضتُ في حفافيه تلك الزهور ، فكفتها بالصقيع الخريف
 سوى زهرةٍ شقيتُ بالحياة ، ومكثتُها بالمقام الخفيف
 يرونها فيه قصنُ الرعود ، ويحزنها فيه ندبُ الزفيف
 وينتابها في الصباح السديمُ ، وفي الليل حلمٌ ، مريعٌ مخيف
 وتسُرُّهيبها غاديات الغمام ، وتؤلمها كلُّ ربحٍ عصوف
 ترنُّو لما حولها من زهور ، وما ثمَّ إلا السحيقُ ، الجفيف
 فتبكي بكاء الغريب ، الوحيد ، بشجنٍ كظيمٍ ، ونوحٍ ضعيف
 تباكي به لبَّها المستطار ، وترثي به ما طوقته الحتوف
 وتشكو أساما بياض النهار ، وتندبُ حظَّ الحياة السخيف

ولكنّ لقد فقدت في الوجود رقيقاً مُصيخاً ، وقلبا رؤوف
فما ثمّ إلا الصخورُ القواسي ، وإلاّ الصدى المستطارُ الهتوف
فجادتُ بروح شقيّ ، شجيّ ، لقد عذبتَه الليالي صنوف
ومامت ، وقد غادرتُها بقاعٍ من الأرض ضنكٌ ، حياة الصروف
فبانَت حَيالَ الغديرِ الأصمّ ، وقد أخرس الموتُ ذاك الحفيف
وقد خضبتُها غيومُ المساء ، كغائبة ضرتُجتها السيوف
فسلها : « تُرى كيف غاض الأريجُ ؟

وكيف ذَوَى سحرُ ذاك الرفيف ؟ ،

« وكيف خَبَّتْ بِسَمَاتُ الحَيَاةِ

بأجفانها ، وعراها الكسوف ؟ ،

« وكيف لَوَّتْ جِيدَها الحَادِثَاتُ

وَأَلَوَّتْ بِذَاك القَوَامِ اللَطِيفِ ؟ ،

ذكرت بمضجها المطمئن
 ومرقدها في السفير الجفيف
 مصارعَ آماليّ القنابر
 وخببتّها في الصراع العنيف
 فقلّبتُ طرفي بهوىّ الزهور
 وصعدته في الفضاء الأسيّف
 وقلت: «هو الكون مهّدُ الجمال
 ولكن لكلّ جمالٍ خريف! ..»
 وأطرقتُ ، أصغى لهمس الأسي
 وقد غَشِيَ النفسَ همٌ كئيف
 وغازتُ ثمالة نور النهار
 وأرّخى ظلامُ الوجود السجوف

٦ رمضان ١٣٦٦

٢٧ فيفري ١٩٢٨

اغنية الشاعر

يا ربّة الشعرِ والأحلام ، غنّيني
فقد سئمتُ وجومُ الكونِ ، من حين
إن الليالي اللواني ضمّخت كيدي
بالسّعر أضحت مع الأيام ترميني
ناختُ بنفسي ما أسياها ، وما وجدتُ
قلبا عطوفا يُسلّيها ، فعزّيني

وهدّ من خلدي نوحٌ ، ترجّعه
بلّوى الحياة ، وأحزانُ المساكين
على الحياة أنا أبكي لشقوتها
فمن إذا متُ يبكيها ويبكيني ؟
يا ربّة الشعرِ ، غنّيني ، فقد ضجرت
نفسى من الناس أبناء الشياطين
تبرّمت ببني الدنيا ، وأعوزها
في معزف الدهر غرّيدُ الأرانين
وراحةُ الليلِ ملأى من مدامعه
وغادة الحب ثكلى ، لا تغنّيني
فهل إذا لذت بالظماء ، منتحبا
أسلو؟ وما نَسْفَعُ محزونٍ لمحزون ؟

يا ربة الشعر ! إنّي بائسٌ ، تعسٌ
عدمتُ ما أرتجى في العالم الدون
وفي يديكِ مزاميرٌ يخالجهما
وحي السماء ؛ فهاتيها ، وغنّيني
ورتلّي حولَ بيتِ الحزنِ أغنيةً
مجلّو عن النفسِ أحوانَ الأحايين
فإن قلبيَ قبرٌ ، مظلمٌ ، قُبِرتُ
فيه الأمانى ، فما عادت تناغيني
لولاكِ في هذه الدنيا لما لمتُ
أوتارَ روحيَ أصواتُ الأفانين
ولا تغنّيتُ مأخوذاً .. ، ولا عذبتُ
ليَ الحياةُ لدى غصنِ الرياحين

ولا أصغنتُ إلى الأصداء ، راقصةً
بين الكهوف ، على عزف الشياطين
ولا ازدهى النفسَ في أشجانها شفقٌ
يلوّنُ الغيّمَ لهواً أيّ تلوين
ولا استخفّ حياتي ، وهي هائمةٌ
فجرٌ الهوى في جفون الخُرْدِ العين

١٦ رمضان ١٣٤٦

٨ مارس ١٩٢٨

هو هجاج الالام

يا لابتسامة قلبٍ مطلولةٍ بدموعه
غاضت، فلم تبق إلاّ الدموع بين صدوعه
فظلّ يهتف من شجورٍ و ، وفرطٌ ولوعه
« وينح الحياة ! أما تنقضي لديها الرزايا ؟ ! »
« أما يكفكف هذا الزمانُ صوبَ البلايا ؟ ! »
« يا دهر ! رفقا ! فإنّ القلوب أمست شظايا، »

* * *

يا قلب نهته دموعَ الأمل ، ولوعة روعك
إنّ الدهور البواكي غنيّة عن دموعك
حسبُ الحياة أساها

فاطورِ الأمل في صدوعك
واحلم بفجر الليالي .. ، ففجرها في هجوعك
وإن غفوت فإن الحياة ليست تروغك
وسوف يمضي شتاء الأمل ، ويأتي ربيعك

* * *

بين القبور فتاة جارَ الزمان عليها
فافتك منها بعنف كفه الردي أوبها
تقول والليل ساج والقبر مصغ إليها :
(يا ليتني مت من قبل أن تسوء حياتي ،

« وَيَنْضَبُ الدَّمْعَ مِنْ لَوْعَتِي، وَمِنْ حَسْرَاتِي!،
« مَنْ لِي بِحُفْرَةِ قَبْرِ تَضْمُنِي وَشَكَاتِي!،

* * *

في الحيّ صبّ يعاني في الصدر داءً «فينا
وفي الفؤاد جوى كآ مناً وحساً مكينا
حتى دهنه الليالي وجرّعتهُ منُونهُ
فشيّع الميتَ جمعٌ من حيتهُ ، يندبونهُ
حقّ إذا ما أرادوا رصفَ الصفائحِ دونهُ
ناحت عليه فتاة : «ويلي، لمن تتركونه!»

* * *

كان الصبيّ يصيد الفراش بين الزهور
فدّاس زهراً نديّاً ألقى به في الغدير

فأخرجوه ، ولكن بعد القضاء الأخير .
فخرت الأم حوم الصبي ، تصرخ : «ويلي !»
فقلت - والقلب دام -
والناس يبكون حولي-:
« ما أسخف العيش تقضي عليه زلّة نعل !»

* * *

شيخ ، شاءَ دهر الأسي ، وحيدٌ شتيتُ
بين الخرائب يُصي على الطوى ، ويبيتُ
في ظلمة الليل فاضت على الوجود حياته
وطرفه يرمق النجمَ ملئوهُ عبراته
وما حوالبه إلا الخرابُ يُشجبي صماته
فما بكاه فتاه ولا بكته فتاته

يا زهرة سَامَهَا العابرون خسفا وهُونَآ !
لو كنتِ شوكَآ عَضُوضَا مَا دَاسَكَ العَابِرُونَآ
لَأَنتَهُم يَجْهَلُونَ الوَحْيَ الَّذِي تُضْمِرِينَا
هَمْ يَسْخَرُونَ بِهَمْسِ الزهورِ ، وَهُوَ بَدِيعُ !
وَيُنْصَتُونَ لِصَوْتِ الْأَشْوَاكِ ، وَهُوَ مُرِيعُ !
فَلَا تَبَالِ بِقَوْمِ الْحَقِّ فِيهِمْ صَرِيعُ

* * *

رَبَّاهِ كَمْ مِنْ فِتَاةٍ ، تَشْكُو الْحَيَاةَ وَتَبْكِي ،
وَمَعْدَمٍ ، بَوَّأَتْهُ الدَّهْرُ مَقْعَدَ ضَنْكَ
وَيَانِسِ مَا تِ فِي لُبِّهِ المَرَامِ الوَحِيدُ
وَتَائِهِ ، ضَاعَ بَيْنَ القَفَارِ ، وَهُوَ فَرِيدُ
حَقِ طَوْتِهِ مِنَ العَاصِفَاتِ رِيحُ شَرُودُ

ربّاه! رُحماكَ إن الزمانَ فضُّ شديدُ

* * *

يا طائرَ الشَّعرِ! رَوِّحْ على الحياة الكئيبةُ
وامسحْ بربشكَ دمعَ القلوبِ فهي غريبةُ
وعزّها عن أساها فقد دمتها المصيبةُ
وأنتَ روحٌ جميلٌ ، بين الهضابِ الجديدةُ
فانفخْ بها من لهيبِ السماءِ رُوحاً خضيبهُ
وابعثْ بسحركَ في قلبها ضرامَ الشيبهُ

١٠ شوال ٣٤٦

غرة افريل ١٩٢٨

مناجاة مصفور

يا أيها الشادي المفرد هنا
ثَمَلًا بَغْبَطَةً قلبه السرورِ
متنقلاً بين الخمائل ، تالياً
وخيِّ الربيع الساحر المسحور
غرَّدْ ، ففي تلك السهول زنابقٌ
ترنو إليك بناظرٍ منظور

غرّد ، ففي قلبي إليك مودّة^١
لكن مودّة طائرٍ مأسور
هجرته أمراب الحائم ، وانبرت
لعذابه جنّة^٢ الديجور
غرّد ، ولا ترهب يميني ، إنني
مثل الطيور بهجتي وضميري
لكن لقد هاض التراب ملاحمي
فلبثتُ مثلَ البلبل المكسور
أشدُّ برناتِ النياحه والأسى
مشبوبة^٣ بعواطفي وشعوري
غرّد ، ولا تحفل بقلبي ، إنّه
كالمزف ، التحطّم ، المهجور

* * *

رتلْ على سمع الربيع نشيدَه
واصدحْ بفيضِ فؤادك المسجور
وانشد اناشيد الجمال ، فإنها
روحُ الوجود ، وسلوة المقهور
أنا طائر ، متفرّدٌ ، متروّمٌ
لكن بصوت كآبتي وزفيري
يحتاجني صوت الطيور ، لأنّه
متدفّقٌ بحرارة وطهور
ما في وجود الناس من شيء
يرضى فؤادي أو يسرّ ضميري
فإذا استمعتُ حديثهم ألبتّه
غثًا ، يفيض بركةٍ وفتور

وإذا حضرتُ جوعهم أَلْفَيْتَنِي
ما بينهم كالبلبل المأسور
متوحدا بعواظي ، ومشاعري ،
وخواظري ، وكآبتي وسروري
بِنَقَابِنِي حَرَجُ الحَيَاةِ كَأَنِّي
مِنْهُمْ بِوَهْدَةِ جَنْدَلٍ وَصَخُورِ
فَإِذَا سَكَتُ تَضَجُّرُوا ، وَإِذَا نَطَقْتُ
تَذَمَّرُوا مِنْ فِكْرَتِي وَشِعُورِي
أَهٍ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ بَلَوْتُهُمْ
فَقَلَوْتُهُمْ فِي وَحْشَتِي وَحُبُورِي !
مَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْبٌ غَادِرٌ
مُتَرَبِّصٌ بِالنَّاسِ مَرَّةً مَصِيرِي

ويودُه لو ملك الوجودَ بأسره
ورمى الورى في جاحم مسجور
لِيُبَلِّغَ غَلَّتَهُ التي لا توتوي
ويكضُ تهمة قلبه المغفور
وإذا دخلتُ إلى البلاد فإنّ أفلا
ري ترفرف في سفوح الطُور
حيث الطبيعة حُلوة فتانةُ
تختال بين تبرُّج وسفور
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي غارقةُ
بموارِ الدّم المهدور ؟
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي لا
تَرَثي لسوت تفجّع الموتور ؟

ماذا أودُّ من المدينة ، وهي لا
تعنو لغير الظالم الشرير ؟

ماذا أودُّ من المدينة ، وهي مُرَّادٌ
لكلِّ دعاةٍ وفجور ؟

* * *

يا أها الشادي المغرّد هنا
ثملاً بغبطة قلبه المسرور ا

قبّل أزاهير الربيع ، وغنّتها
رنمّ الصباح الضاحك المهور

واشرب من النبع ، الجميل ، الملتوي
ما بين دَوْحِ صنوبرٍ وغدير

واتركُ دموع الفجر في أوراقها
حتى ترشفتها عروسُ النور
فلربما كانت أذينا صاعدا
في الليل من متوجع، مقهور
ذرفته أجفانُ الصباح مداماً
الألقة ، في دوحة وزهور ...

٢٧ محرم ١٣٤٧

١٦ جويلية ١٩٢٨

يا رفيقي

يا رفيقي ! وأين أنتَ ؟ فقد أعمت جفوني عواصف الأيتامَ
ورمتني بهممةٍ ، قائمٍ ، قفري ، تُفَشِّيه داجياتُ الغمام ..
خذُ بكفِّي ، وغنني ، يا رفيقي ، فسبيل الحياة وعرضُ أمامي
كلُّها سِرتُ زلَّ بي ، فيه مهوى ، تتضاغى به وحوشُ الحِمام
شعبته الدهور ، وانظمسَ النُّور ، وقامت به بناتُ الظلام
راقصاتٍ ، يَخْلُبْنَ في حلكِ الليل ، ويلعبن بالقلوب الدوامي

غثني ، فالغناء يدراً عنا الساحر الجن... ، ساكن الآجام .
 قد تفكرت في الوجود ، فأعياي ، وأدبرت آيساً لظلامي
 أنشد الراحة البعيدة ، لكن خاب ظنّي وأخطأت أحلامي
 فعي في جوانحي أبد الدهر فؤادٌ إلى الحقيقة ظامي
 ما تراخي الزمان إلا وألقى في طواياه قبضة من ضرام
 تلتظي ، يد الحياة ، وزادت معضلات الدهور والأعوام
 أظمات مهجتي الحياة ، فهل يوماً تبلى الحياة بعض أوامي؟
 يا رفيقي ! ما أحسب المنبع المنشود إلا وراء ليل الرجام
 غثني ، يا أخّي ، فالكون تسيهاً ، بها قد تمزقت أقدامي
 غثني ، علني أنيم همومي ، إنني قد مللت من تهيامي .

* * *

يا رفيقي ! أمّا تفكرت في الناس ، وما يحملون من آلام؟

ديوان ابو القاسم الشابي (١٣) ١٩٣

فلفقدُ حَزًّا في فؤاديَ ما يَلْتَقُونَ من صولةِ الأسيِّ الظلامِ
 فإذا سرّني من الفجرِ نُورٌ ساءني ما يُسرُّ قلبُ الظلامِ
 كم بقلبِ الظلامِ من أنثَةٍ تهفو بغصّاتِ صبيّةِ أيتامِ
 ونشيجِ مُضَرَّمٍ من فتاةٍ ، أبهظتها قوارعُ الأيتامِ
 ونوَّاحِ يفيضُ من قلبِ أمٍّ فُجعتُ في وحيدها البسامِ ،
 فَطَمَ الموتُ طفلَها ، وهو نورٌ في دجاها ، من قبل عهدِ القِطامِ
 وأنينٍ من مُعْدمِ ، ذي سقامِ ، عضهُ الدهرُ بالخطوبِ الجِسامِ
 ما إخالِ النُجومِ إلاّ دموعا ، ذرّفتها محاجرُ الأعوامِ
 فلقد ضرّمَ الشجونَ بنوها ، فإذا بالشتجونِ سيلٌ طامِ
 وإذا بالحياةِ في ملعبِ الدهرِ تدوسُ الرُّوسَ بالأقدامِ
 وإذا الكونُ فلذةٌ من جحيمِ ، تتغذى بكلِّ قلبٍ دامِ
 وهمٌ في جحيمهمِ يتناغونُ بما في الوجودِ من أنعامِ
 عجبا للنفوسِ ، وهي بواكِ ، عجبا للقلوبِ ، وهي دوامِ

كيف تشدو وفي محاجرها الدمع، وتلهوما بينَ سُودِ الموامي؟!

* * *

يا رفيقي ا لقد ضللتُ طريقي ، وتخطتُ مَحَجَّتِي أَقْدَامِي
خذ بكفتي ، فانتي تائهٌ ، أعمى ، كثيرُ الضلالِ والأوهامِ
وانفخِ النَّايَ ، فالحياةُ ظلامٌ ، ما لمرتابه من الهولِ حامِ
مِلْءُ آفاقه فحيحُ الأفاعي ، وعجيجُ الآثامِ والآلامِ
فانفخِ النَّايَ ، إنه هِبَةُ الأَمَلِكِ للمستعِينِ بالإلهامِ
واغذِزِ السَّيْرَ ، فالنهارُ بعيدٌ ، وسبيلُ الحياةِ جَمُّ الظلامِ...

٢٧ محرم ١٣٤٧

١٦ جويلية ١٩٢٨

إلى الموت

صبيّ الحياة ، الشقيّ العنيدُ ألا قد ضللتَ الضلالَ البعيدُ!
أَتُنشدُ صوتَ الحياةِ الرخيمِ ، وأنتَ سجينٌ بهذا الوجودِ؟!
وتطلبُ ورَدَ الصباحِ المخضّبِ من كَفِّ حقلٍ ، جديبٍ ، حصيدٍ؟!
إلى الموتِ ! إن شئتَ هَوِّنَ الحياةَ ، فخلفِ ظلامَ الردى ما تريد..

* * *

إلى الموت! يا ابن الحياة التعيس، ففي الموت صوت الحياة الرحيم
إلى الموت؟ إن عذبتك الدهور، ففي الموت قلب الدهور الرحيم
إلى الموت أفا موت رُوحٌ جميل، يرفرف من فوق تلك الغيوم
فروحاً بفجر الخلود البهيج، وما حوله من بنات النجوم...

* * *

إلى الموت! فالموت جامٌ روي لمن أظمأته سمومُ الفلاة
ولست براوي - إذا ما ظميت - من المنبع العذب قبل المات
فما الدمع إلا شراب الدهور، وما الحزن إلا غذاء الحياة
إلى الموت! فالموت مهدٌ وثير، تنام بأحضانه الكائنات

* * *

إلى الموت إن حاصرتك الخطوب، وسدت عليك سبيل السلام
ففي عالم الموت تنضو الحياة رداءً الأسي، وقناع الظلام

وتبدو ، كما خُلِقَتْ غَضَّةٌ يفيض على وجهها الابتسام
تعيدُ عليها ظِلَالُ الخلود ، وتهفو عليها قلوبُ الأنام

* * *

إلى الموت ! لا تخشِ أعماقه ففيها ضياء السماء الوديعة
وفيها تيمس عذارى السماء ، عواري ، ينشدن لنا بديع ..
وفي راحن غصون النخيل يحرّكنها في فضاءٍ يوضع ..
تضيء به بسماوات القلوب ، وتخبو به حسرات الدموع

* * *

هو الموت طيفُ الخلود الجميل ، ونصف الحياة الذي لا ينوح
هنالك ... خلف الفضاء البعيد ، يعيش المنون القوي الصَّبوحُ
يضمُّ القلوب إلى صدره ، ليأسوا ما مضى من جروح
ويبعثَ فيها ربيعَ الحياة ، ويُبهِجَها بالصباح الفروح

٢٤ صفر ١٣٤٧

١٢ اوت ١٩٢٨

الى عازف اعمو

أدركتَ فجرَ الحياةِ أعمى وكنْتَ لا تعرفُ الظلامُ
فأطبقتِ حولكِ الدِّياجي وغمام من فوقك الغمام
وعشتَ في وحشةٍ ، تقاسي خواطرا ، كلَّها ضرام
وغربةٍ ، ما بها رفيق وظلمةٍ ، ما لها ختام
تشقُّ تيبهَ الوجودِ فرداً قد عضَّك الفقر والسقام

وطاردت نفسك المآمي وفرّ من قلبك السلام

* * *

هون على قلبك المعنى إن كنت لا تبصر النجوم
ولا ترى الغاب ، وهو يلفو وفوقه تخطر الفيوم
ولا ترى الجدول المغني وحوله يرقص الغيم
فكلنا بائس ، جدير برأفة الخالق العظيم
ولنا في الحياة أعمى يسوقه زعزع عقيم
وحوله تزعق المنايا كأنها جينة الجحيم :

* * *

يا صاح ! إن الحياة قفر مروع ، ماؤه سراب
لا يجتني الطرف منه إلا عواطف الشوك والتراب

وأسعدُ الناس فيه أعمى لا يبصر الهول والمصاب
ولا يرى أنفَسَ البرايا تذوب في وقدة العذاب
فاحدِ إلهَ الحياة ، واقنعْ فيها بألحانك العذاب
وعِشْ ، كما شئت الليالي من آهة النَّاي والرُّباب

٢٨ صفر ١٣٤٧

١٨ اوت ١٩٢٨

صوت تائه

قضيتُ أدوارَ الحياة ، مفكراً
في الكائنات ، معدّياً ، مهموماً
فوجدتُ أعراسَ الوجود مآتماً
ووجدت فردوسَ الزمان جحيماً
تدوي مخارمه بضجة صرصرٍ ،
مشبوبة ، تذرُّ الجبال هشياً

وحضرتُ مائدةَ الحياة فلم أجد
إلا شراباً أجناً مسموماً
ونفضت أعماق الفضاء فلم أجد
إلا سكوناً ، مُتَعَباً محموماً
تتبخَّرُ الأعمارُ في جَنَبَاتِهِ
وتموتُ أشواقُ النفوسِ وجُوماً
ولست أوتار الدهور ، فلم تُفِضْ
إلا أنيناً ، دامياً ، مكلوماً
يتلو أقاصيص التعاسة والأسى
ويُصيرُ أفراح الحياة هموماً
شُرِّدْتُ عن وطني السماوي الذي
ما كان يوماً واجماً ، مغموماً
شُرِّدْتُ عن وطني الجميل ..أنا الشقي ،
فعمت مشطورَ الفؤاد ، يتياً ...

في غربه ، روحية ، ملعونة
أشواقها تقضي ، عطاشاً ، هيا ...
يا غربة الروح المفكر ! إنه
في الناس يحيا ، سائماً ، مسثوما
شردتُ للدنيا ... ، وكلّ قائم
فيها يروّعُ راحلاً ومقياً
يدعو الحياة ، فلا يُجيبُ سوى الردى
ليدسه تحت التراب رمياً
وتظلّ سائرة ، كأنّ فقيدهما
ما كان يوماً صاحباً وحمياً !

* * *

يا أيها الساري ! لقد طال الشرى
حتّامَ ترقب في الظلام نجوما .. ؟

أتحالُ في الوادي البعيد المُرتَجَى؟

هيات ! لن تلقى هناك مَرُوما

سرُما استطعت، فسوف تُلْفِي- مثلها

خَلْفَتَ - مَمَشُوقَ الفصون حطيا

٣ ربيع الاول ١٣٤٧

٢٠ اوت ١٩٢٨

قبضة من ضباب

مها تأملتُ الحياةَ ، وجئتُ مجهلاً الرهيبُ
ونظرتُ حولي ، لم أجد إلا شكوكَ المستريب
حقّ دَهشتُ ، وما أفدتُ بدمشتي رأياً مُصيب
لكنني أجهدتُ نفسي ، وهي باديةُ اللغوب
ودفعتُها وهي الهزيلةُ في مُغالبةِ الكُروب
في مَهْمَةٍ متقلّبٍ ، تُخشى غوائله ، جديب

فإذا أصابت من مناهله شرابا تستطيب
أروت جوائنحها ، وذلك حسبها كَيْمَا تُووب
ومَن ارتوى في هذه الدنيا تسنمها خطيب؟
أولا فقد ركبت من الأيام مركبها العصيب .
رقضت كما شاء الخلود ، وفي جوائنحها اللهب !.

ه جمادي الاولى ١٣٤٧

٢٠ اكتوبر ١٩٢٨

نشيد الأسى

يا ليت شعري ! هل لليل النفس من صبح قريب ؟
فتقرّ عاصفةُ الظلام ، ويهجعُ الرعدُ الغضوب
ويرتلُ الانسان اغنيةً مع الدنيا طروب

* * *

ما للرياح تهبُّ في الدنيا ، ويدركها اللثغوبُ
إلاّ رياحي ، فهي جامحةٌ ، ترُدُّها عصب ؟

مالي تعذبني الحياة كأنني خلقتُ غريب ؟
 وتهدُّ من قلبي الجميل ؟ فهل لقلبي من ذنوب ؟
 وإذا سألتُ : « لِمَ الوجود ، وكلُّهُم مذبذب ؟ »
 قالت : « نواميسُ السماء قضتْ ، وما لك من هروب ؟ »
 آهِ على قلبي ا وإن شقيتْ كشقوته قلوب
 أنقى من الموج الوضيء ، ومن نشيد العندليب
 لم تقترفْ إثمَ الحياة ، وكان مأواها اللهب

* * *

يا مهجة الغاب الجميل ألم يصدعكِ النحيب ؟
 يا وجنة الورد الأنيق ألم تشوهكِ الندوب ؟
 يا جدول الوادي الطروب ألم يرتقكِ القطوب ؟
 يا غيمة الأفق الخضيب ألم تمزقكِ الخطوب ؟

يا كوكبَ الشفقِ الضحوكِ أما ألمَ بك الشعوب ؟
ها أنت ذا في الأفقِ تضحكُ ، لا تُهمُّ ، ولا تحبُّ
تلقني على قُننِ الجبالِ رداءِ الألامِ قشيب
لتنامَ أوراُدُ الجبالِ الشَّمِّ ، في مَهْدِ عَجيب
ولكي تغنيكِ الجداولُ لحنها العذب الحبيب
وترى جمالكِ من بناتِ الغابِ معطَّارٌ ، لَعوب
ممشوقةٌ ، في فرعها تاجٌ من الوردِ الخضيب
تتلو أناشيدَ الربيعِ كأنها نجوى القلوب
يا كوكبَ الشفقِ الضحوكِ ! وأنتِ مُبتَهَلُ الكئيب
لُح في السماء ! وغنِّ أبناءَ الشقاوةِ والخطوب
أنشودةً تَهَبُ العزاءَ لكلِّ مُبتسِّ غريب
فالطيرِ قد أغفتُ ، وأسكتَ صوتها الليلُ الهَيوب

وابسطَ جناحكَ في الوجودِ ، فإتته عذبٌ ، خلُوبٌ
متألِّقٌ بينَ النجومِ ، كأنه حلُمٌ طروبٌ
وانشَرَ ضياءكَ ساطعاً ، ليُنيرَ أعماقَ القلوبِ
فعلَى جوانبها من الأحرانِ ديجُورٌ رهيبٌ

* * *

ما للمياهِ نقيّةٌ حولي ، وينبوعي مَشُوبٌ ؟
ما للصباحِ يعودُ للدنيا ، وصُبْحِي لا يؤوبُ ؟
ما لي يضيّقُ بيَ الوجودُ ، وكلُّ ما حولي رحيبٌ ؟
ما لي وَجِمتُ وكلُّ ما في الغابِ مفتردٌ طروبٌ ؟
ما لي شقيتُ ، وكلُّ ما في الكونِ أخاذٌ عجيبٌ :
في الأرضِ أقدامُ الربيعِ تلامسُ السهلَ الجديبِ

فإذا به يحيا ، وينبت رائق الزهر الرطيب
وهناك أنوار النهار تطلُّ من خلف الغروب
فتخضب الأمواج ، والآفاق ، والجبل الخصب
إنّ الوجودَ الرحبَ ، والغاباتِ ، والأفقَ الخصب
لم تحبُّ أشواق الحياة بها ، فغادرها القطوب
أما أنا ففقدتها ، والليل مرُبدٌ ، رهيب
والريحُ تعصفُ بالورود..، فعِشتُ سُخريةَ الخطوب..

* * *

مها تضحكت الحياة فإنني أبدا كئيبُ
أصغي لأوجاع الكتابة ، والكتابة لا تجيب

في مهجتي تتأوهُ البلوى ، ويعتلج النّحيب
ويضجُ جبارُ الأسي ، وتجيش أمواج الكروب
إنّي أنا الرّوحُ الذي سيظللّ في الدنيا غريب
ويعيش مضطلماً بأحزان الشّيبة والمشيب .

١٣ جمادي الأولى ١٣٤٧

٢٨ أكتوبر ١٩٢٨

قلت للشعر

أنت يا شعر ، فِلْدَةٌ من فؤادي
تتغنّي ، وقطعةً من وجودي
فيك ما في جوانحي من حنينٍ
أبديّ إلى صميم الوجود
فيك ما في خواطري من بكاء
فيك ما في عواطفي من نشيد

فيك ما في مشاعري من وُجومِ
 لا يُغْنِي ، ومن سرور عهيد
 فيك ما في عوالي من ظلامِ
 سرمدِي ، ومن صباحِ وليد
 فيك ما في عوالي من نجوم
 ضاحكات خلف الغمامِ الشرود
 فيك ما في عوالي من ضباب
 وسراب ، ويقظة ، وهجود
 فيك ما في طفولتي من سلامِ ،
 وابتسامِ ، وغبطةِ ، وسعود
 فيك ما في شببتي من حنينِ ،
 وشجون ، وبهجة ، وجود

فيك - إن عانتق الربيع فؤادي -
تلتفتي سنابلي وورودي
ويغني الصباح أنشودة الحب ،
على مسمع الشباب السعيد
ثم أجنبي في صيف أحلامي
الساحر ما لذّ من ثمار الخلود
فيك يبدو خريف نفسي مكلّولاً ،
شاحب اللون ، عاري الأملود
جلتته الحياة بالحزن الدّا
مي وغشته بالقيوم السود
فيك يمشي شتاء أيامي البا
كي ، وترغي صواعقي ورعودي

وتجفُّ الزهور في قلبي الدا
جي وتهوي إلى قرار بعيد
انت يا شعر قصة عن حياتي
أنت يا شعر صورة من وجودي
أنت يا شعر- إن فرحتُ- أغار يدي
- وإن غنت الكأبة - عودي
أنت يا شعر كأسُ خمرٍ عجيبِ
ألهي به خلال الاحود...!
الحماة في الصباح ، لأنسى
ما تقضى في أمسيَ المفقود
وأناجيه في المساء ، ليُلنِّهيني
مرآةُ عن ظلام الوجود

أنا لولاك لم أطق عنتَ الدهر،
ولا فرقة الصباح السعيد
أنت ما نلتُ من كهوف الليالي
وتصفحت من كتاب الخلود
فيك ما في الوجود من حلكِ دا
جٍ ، وما فيه من ضياء بعيد
فيك ما في الوجود من نغم
حلو ، وما فيه من ضجيج شديد

فيك ما في الوجود من جبل وعري ، وما فيه من حضيض وهيد
فيك ما في الوجود من حسك ، يُدْمِي ، وما فيه من غضيض الورود
فيك ما في الوجود .. حَبَّ بنو الأرض قصيدي ، أم لم يُحِبُّوا قصيدي
فسواءٌ على انطيور - إذا غنَّتْ - هُتافُ السُّؤومِ والمستعيد
وسواءٌ على النجوم - إذا لاحت - سكونُ الدجى وقصفُ الرعود
وسواء على النسيم أفي القفر تغنى ، أم بين غضِّ الورود
وسواء على الورود أفي الغيران فاحت ، أم بين نهدٍ وجيد .

١٣ جمادى الأولى ١٣٤٧

٢٨ أكتوبر ١٩٢٨

يا ابن آدم

'خلقتَ طليقاً كطيف النسيم ، وحرراً كنور الضحى في سماء'
تفرّد كالطير أين اندفعت ، وتشدو بما شاء وحي' الإله
وتمرحُ بين ورود الصباح ، وتنعم بالنور ، أنسى تراه
وتمشي - كما شئتَ - بين المروج ، وتقطف ورد الرُبى في رباه

* * *

كذا صاغك الله يا ابن الوجود، وألقنتك في الكون هذي الحياة

فمالك ترضى بذلّ القيود ، وتحنى لمن كبلوك الجباه ؟
 وتُسكتُ في النفس صوت الحياة القويّ إذا ما تغنّى صداه ؟
 وتطبق أجفانك النيمرات عن الفجر ، والفجرُ عذبٌ ضياه ؟
 وتقنع بالعيش بين الكهوف ، فأين النشيد ؟ وأين الإياه ؟
 أتخشى نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور الفضا في ضحاه ؟
 ألا انهضُ وسر في سبيل الحياة ، فمن نام لم تفتنّظِرهُ الحياة ؟
 ولا تخشَ ممّا وراء التلاع ... فما تسمّ إلاّ الضحى في صباه ...
 وإلاّ ربيعُ الوجود الغريرُ ، يطرزُ بالوردِ ضافي ردها ...
 وإلاّ أريجُ الزهور الصّباحِ ، ورقصُ الأشعةِ بين المياه ...
 وإلاّ حمامُ المروج الأنيقُ ، يغرّدُ ، منطلقاً في غناه ...
 إلى النور ! فالنور عذبٌ جميلٌ ، إلى النور ! فالنور ظلُّ الآله .

١٠ رمضان ١٣٤٧

٢٠ فيفري ١٩٢٩

اغاني التائه

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ ،
وبحارٌ ، لا تُغشّيها الفيومُ
وأناشيدٌ ، وأطيّارٌ تحوم
وربيعٌ ، مشرقٌ ، حلوىٌ ، جميلٌ
كان في قلبي صباحٌ ، وإياه
وابتساماتٌ ، ولكن... وأساء!

آه ! ما أهولَ إعصارَ الحياة !

آه ! ما أشقى قلوب الناس ! آه !

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ ،

فإذا الكلُّ ظلامٌ وسديمٌ ... ،

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟

قد تقضى العمرُ والفجرُ بعيدُ

وطغى الوادي بمشبوبِ النُوحِ

وانقضتْ أنشودة الفصل السعيد

أين نايي ؟ هل ترامته الرياح ؟

أين غابي ؟ أين محراب السجود .. ؟

خبروا قلبي - فما أقسى الجراح ! -

كيف طارت نشوة العيش الحميد ؟

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟

أوراء البحر ؟ أم خلف الوجود ؟

يا بني أمي ! ترى أين الصباح !

* * *

ليت شعري ! هل ستليني الغداة

وتُعزّيني عن أمس الفقيّد

وتُربيني أن أفراح الحياة

'زمر' تمضي ، وأفواج تمود

، فإذا قلبي صباح ، وإياه .. ،

، وإذا أحلامي الأولى ورود .. ،

وإذا الشعرور حلو النغمات . ،

وإذا الغاب ضياءً ونشيد .. ؟

ليت شعري ! هل ستسليني الغداة

أم ستنساني ، وتبقيني وحيد ؟

ليت شعري ! هل تعزّيني الغداة ؟

١٥ شوال ١٣٤٧

٢٧ مارس ١٩٢٩

ديوان ابو القاسم الشابي (١٥) ٢٢٥

الو قلبو العاده

ما لآفاقك يا قلبي سوداً ، حالكات ؟
ولأورادك بين الشوك صُفراً ، ذاويات ؟
ولأطسارك لا تلفو ؟ فأين النغمات ؟
ما لمزمارك لا يشدو بغير الشبهات ؟
ولأوتارك لا تخفق إلا شاكيات

ولأنغامك لا تنطق إلاّ باكيات
ولقد كانت صباحَ الأمس بين النسمات
كعذارى الغاب ، لا تعرف غير البسات ؟
هو ذا يا قلبيَ البحر ، وأمواج الحياة !
هو ذا القارب مشدودا إلى تلك الصفاة !
هو ذا الشاطئ ! لكنّ أين ربّانك ؟ مات !
أين أحلامك يا قلبي ؟ لقد فات الفوات !
تلك أطيّارٌ أنيقاتٌ ، طرابٌ ، فرحات
غرّدت ، ثم توارت في غيابات الحياة

* * *

أنت يا قلبيَ قلبٌ ، أنضجته الزفرات
أنت يا قلبيَ عُشٌّ ، نفرت عنه القطاة

فأطارته إلى النهر الرياحُ العاتيات
فهو في التيار أوراق ، وأعواد عُرَاة
أنت حقلٌ مُجَدَّبٌ ، قد هزأت منه الرعاة
أنت ليلٌ مُعْتَمٍ ، تندب فيه الباكيات
أنت كهف مظلمٌ ، تأوي إليه البائسات
أنت صَرَّحٌ ، شاده الحبُّ على نهر الحياة
لِبِنَاتِ الشمر .. ، لكن قوَضْتَهُ الحادِثَات
أنت قَبْرٌ ، فيه من أيامِي الأولى رُفَات
أنت عودٌ ، مزقتْ أوتارَه كَفُّ الحِياة
فهو في وحشته الخرساء بين الكائنات
صامتٌ كالقبر ، إلا من أنينِ الذكريات
أنت لَحْنٌ ساحرٌ ، يخبط في التَّيْبِ المَوَات

أنت أنشودة 'فَجْرٍ.. ،رتلتها الظلمات...

* * *

أيها الساري مع الظلمة ، في غير أناة
مُطرقا ، يخبطُ في الصحراء ، مكبوحَ الشِّكَاةِ
تَهْتَفُ في الدنيا ، وما أُبْتَبَ بغير الحسرات
صلِّ يا قلبي إلى الله ، فإنَّ الموت آت
صلِّ فالنَّازِعُ لا تبقى له غير الصلاة

١٠ ذو القعدة ١٣٤٧

٢٠ افريل ١٩٢٩

أكثرت يا قلبي فماذا تروم

يا قلبي الدامي ! إلامَ الوُجُومُ ؟
يكفيك ! إنَّ الحزنَ فظٌ ، غَشُومٌ
هذي كؤوسي مرَّةً كالردي
ما ملئُها إلاَّ عصيرَ الهموم
وذاك نابي صامتٌ ، واجمٌ

يُصْغِي إِلَى صَوْتِ الْغَرَامِ الْقَدِيمِ
يَا قَلْبِي الْبَاكِي الْإِلَامَ الْبُكَاءَ ؟
مَا فِي فِضَاءِ الْكُونِ شَيْءٌ يَدُومُ
فَانْتَشِرْ غُبَارَ الْحَزَنِ فَوْقَ الدَّجَى
وَاسْمِعْ إِلَى صَوْتِ الشَّبَابِ الرَّخِيمِ
وَانْقُرْ عَلَى دَفِّ الْهَوَى لِحَنِهِ
وَارْقِصْ مَعَ النُّورِ الضَّعُوكِ الْوَسِيمِ
يَا قَلْبِي الدَّاجِي ! الْإِلَامَ الْوَجُومِ ؟
إِنْ أَسْمُ أَلْسُنِ قَلْبِي فَسَمِّنْ ذَا الْوَمِ ؟
مَالِكَ لَا تُصْغِي لِغَيْرِ الْأَسَى ؟
مَالِكَ لَا تَتَرَنَوْا لِغَيْرِ الْكَلُومِ ؟
مَالِكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَا تَصْرِفُ الْآيَاتِمَ

إلا في شعاب الجحيم ؟
أما ترى البلبل في غابه
يشدو وفوق الغاب تحطو النجوم ؟
أما ترى الأسحار تبده بها للغابات
كالأحلام - خلّت السديم
أما ترى الآمال في سحرها ؟
أما ترى الليل يناغي النجوم ؟
يا قلبي الداجي ! إلام الوجوم ؟
أكثر يا قلبي ، فماذا تروم ؟
هل تحسب الأيام في زحفها
ترثي لمن قد هدّمته الرجوم ،
كلا ! فإنّ الدهر يمضي ولا

يلوي على ما خلفه من كليم
واليم لا يرثي لمن طمه
والسيل لا يبكي لنوح الهيم
والعاصف الجبار في سخطه
لا يرحم الفصن ، الرشيق ، القويم
هذي هي الدنيا فاذا الأسي
يا قلبي الدامي ، وماذا الوجوم ؟

١٢ صفر ١٣٤٨

٢٠ جويلية ١٩٢٩

يا موت

هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة
بالاحزان والذكريات ، وشظية من شظايا هذا
القلب المحطم على صخور الحياة ، قلتها في أيام
الأسى التي تلت نكبتني بوفاة الوالد ، رحمه الله .

يا موتُ ! قد مزقتَ صدري
وقصمتَ بالأرزاءِ ظهري
ورميتني من حالي ، وسخّرتَ منّي أيّ سخر

فلبثتُ مرضوضَ الفؤادِ أجرهُ أجنحتي بذُعرٍ ...
وقسوتَ إذ أبقيتني في الكونِ أذرعُ كلِّ وعُرٍ
وفجعتني فيمن أحبّ ، ومَن إليه أبثُّ سري
وأعدّه ، فجري الجميلَ ، إذا ادلهمّ علي دهرِي
وأعدّه ، وردي ، ومزماري ، وكاساتي ، وخري
وأعدّه ، غابي ، ومحراي ، وأغنيي ، وفجري ...
ورزأتني في عمدي ، ومشورتي في كل أمرٍ
وهدمتَ صرحاً ، لا ألوذ بغيره ، وهتكت سدي
ففقدتُ روحاً ، طاهراً ، شهماً ، يبش بكلّ خيرٍ
وفقدتُ قلباً ، مه أن يستوي في الأفقِ بدري
وفقدتُ كفاً ، في الحياة يصدُّ عنّي كلّ شرّ
وفقدتُ وجهاً ، لا يُعبّسه سوى حزني وضرتي

وفقدتُ نفساً، لا تنسي عن صون أفراحي وبشري
وفقدتُ رُكني في الحياة ، ورايتي ، وعمادَ قصري

* * *

يا موت ! قد مزقتَ صدري
وقصمتَ بالأرزاءِ ظهري
يا موت ! ماذا تبغني مني وقد مزقتَ صدري ؟
ماذا تودُّ ، وأنت قد سودتَ بالأحزانِ فكري
وتركتني في الكائناتِ أئنُّ ، منفرداً بإضري
وأجوبُ صحراءِ الحياة، أقول : «أينَ قرأه قبري؟»
ماذا تودُّ من المذبذبِ في الوجودِ بغيرِ وزرٍ؟
ماذا تودُّ من الشقيِّ بعيشه ، النكيدِ ، المضرِّ؟
إن كنتَ تطلبني فهاتِ الكأسَ ، أشربها بصبر

أو كنتَ توقّبي فهاكِ السّهمَ ، أرشقهُ بنحري
خذني إليك ، فقد تبخّرَ في فضاءِ الهمِّ عمري ...
وتهدّلتُ أغصانُ أيّامي ، بلا ثمرٍ وزهر
وتناثرتُ أوراقُ أحلامي على حسكِ المر ...
خذني إليك! فقد ظمّنتُ لكأسك ، الكدرِ ، الأمر ...
خذني فقد أصبحتُ أرقبُ في فضاءِ الجوّنِ فجري
خذني ، فما أشقى الذي يقضي الحياةَ بمثلِ أمري ...

* * *

يا موت ! قد مزقتَ صدري
وقصمتَ بالأرزاءِ ظهري

يا موت ! قد شاع الفؤاد، وأقفرت عَرَصَاتُ صدري
وغدوتُ أمشي مطرقاً من طول ما أثقلت فكري
يا موت ! نفسي ملّت الدنيا ، فهل لم يأت دوري ؟

٢٦ ربيع الثاني ١٣٤٨

غرة أكتوبر ١٩٢٩

الو الله

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تفتحي أطواره أزمات نفسية فائرة ، يعصف فيها الألم والقنوط بكل حقائق الحياة ، وتزعزع معها كل قواعد الإيمان والحق والجمال ، فيشمر المرء كأنما انبت ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرحم والقربى ، فأصبح غريباً في هاته الدنيا الغريبة في نفسه ، وكأنما الحياة فنّ من العبت المرعب الملّ الذي لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء . ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم إلا كما تدوم عاصفة البحر . تكدر صفاءه ، وتحيل جماله إلى شناعة ، وأنغامه إلى عويل ، وانسجامه إلى فوضى ، ثم تفر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية ، وألحانه المنزنة ، وجماله الساحر الأبدي . وتحت تأثير هذه الحالة النفسية الجارحة نظمت القصيد التالي ، ونفسي سكري بأحزانها الدامية وآلامها المتشحة بالهيب .

يا إله الوجود ! هذي جراح
في فؤادي، تشكو إليك الدواهي
هذه زفرةٌ يُصعّدها الهمُّ
إلى مسمع الفضاء الساهي
هذه مهجة الشقاء تناجيك
فهل أنت سامع يا إلهي ؟
أنتَ أنزلتني إلى ظلمة الأرض
وقد كنتُ في صباحِ زاه
كالشعاع الجميل، أسبحُ في الأفق
وأصغي إلى خرير المياه
وأغثني بين الينابيع للفجر
وأشدو كالليلبب التيساه

أنتَ أوصَلتني إلى سبيل الدنيا
وهذي كثيرة الاشتباه
ثم خلَّفْتَنِي وحيدا ، فريدا
بين داعٍ من الرياح وناه
أنتَ أوقفتني على لُجَّةِ الحزن
وجرَّعتني مرارة (آه !)
أنتَ أنشأتني غريبا بنفسي
بين قومي ، في نشوتي وانتباهي
أنتَ كرهْتَنِي الحياةَ وما فيها
وحبَّبْتَنِي جُمُودَ الساهي
أنتَ جبَّلتَ بين جنبي قلبا
سرمدِيّ الشُّعُورِ والانتباه

عبقرى الأسمى : تعذبه الدنيا
 وتُشجيه ساحرات الملهي !
 أنت عذبني بدِقَّةِ حسي
 وتعقبتني بكلِّ الدواهي
 بالأسمى ، بالقام ، بالهم ، بالوحشة ،
 بالأس ، بالشقا المتناهي
 بالنايا تغتال أشهى أماني
 وتُدوي محاجري ، وشفاهي
 فإذا من أحب حفة تُرَب
 ناقة ، من ترائب وجباه
 وإذا فتنة الحياة وسحر الكون
 ضُرب من الغمام الزاهي

يتلاشى فوق الحضم : ويبقى اليم^ه
كالعهد مُزْبِيدَ الأمواه. .

* * *

يا إله الوجود ! مالك لا ترثني
لحزن المذبذبة الأواه ؟

قد تأوّهتُ في سكون الليالي
ثم أطبقتُ في الصباح شفاهي

وتغزّلتُ بالحياة ، وبالحب ، وغنّيتُ كالسعيد اللاهني
وزرعتُ الأحلام في قلبي الدامي ، وحوطتها بكلّ انتباهي
ثمّ لما حصّدتُ لم أجنّ إلاّ الشوك ، ماذا ترى فعلتُ؟ إلهي !

* * *

يا رياح الوجود ! سيري بعنفٍ
وتغنّي بصوتك الأواء
وانفحيني من روحك الفخّم ما يُبلِّغُ
صوتي آذانَ هذا الإلاه
فهو يُصغي إلى القويّ ، ولا يُصغي لصوتِ بين العواصفِ راه
وانثري الوردَ للثلوجِ بداداً
واصعقي كلّ بلبل تيّاه
فالوجود الشقيّ غير جدير
بالأغاني ، وبالجمال الزاهي
واسحقي الكائناتِ كونا بكونٍ ، قبلَ أن تتهي أذلّ تناء
فالإلاه العظيم لم يخلق الدنيا
سوى للفناء تحت الدواهي

* * *

يا ضمير الوجود ! يا عالم الأرواح ! يا أيها الفضاء السامي !
يا خضم الحياة ، يزخر في الآفاق في التراب ، في قرار المياه
خبروني ، هل للورى من إله ، راحم - مثل زعمهم - أو آه
يخلق الناس باسماء ، ويواسيهم ، ويرنو لهم بعطف إلهي
ويرى في وجودهم روحه السامي ، وآيات فنه المتناهي
إنني لم أجد في هاته الدنيا ، فهل خلف أفقها من إله ؟ !
ما الذي قد أتيت يا قلبي الباكي ؟ ! وماذا قد قلت يا شفاهي
يا إلهي ؟ قد أنطق لهم قلبي بالذي كان .. ، فاعتذر يا إلهي !
قدم اليأس والكآبة داس قلبي المتعذب ، الغريب ، الواهي
فتشظي ، وتلك بعض شظايا .. ، فسامح قنوطه المتناهي
فهو يا رب معبد الحق ، والإيمان والنور والنقاء الإلهي
وهو ناي الجمال ، والحب ، والأحلام ، لكن قد حطمته الدواهي

٢٥ جمادي الاول ١٣٤٨

٢٩ أكتوبر ١٩٢٩

النبي المجهول

أيا الشعب ! ليتني كنتُ حطّاباً
فأهزبي على الجذوع بفأمي !
ليتني كنت كالسيول ، إذا سالت
تهدُّ القبورَ : رمساً برمس !
ليتني كنت كالرياح ، فأطوي
كلّ ما يخنق الزهور بنحسي !

ليتني كنت كالشّاء ، أُغَشِّي
كلّ ما أذبلَ الحَريفُ بقَرسِي !
ليت لي قوّةَ العواصف ، يا شعبي
فأُلقِي إِلَيْكَ ثورَةَ نَفسي !
ليت لي قوّةَ الأعاصير ، إن ضجّتْ
فأدعرك للحياة بنبسي !
ليت لي قوّةَ الأعاصير ..! لكن
أنت حيّ ، يقضي الحياة برمس ..!
أنت رُوحٌ غَيبِيَّةٌ ، تكره النُّورَ ،
وتقضي الدهورَ في ليلٍ مَلَس ..
أنت لا تدرك الحقائق إن طافتْ
حوالكِ دونَ مَسِّ وجس ...

في صباح الحياة ضُمَّخْتُ أَكْوَابِي
 وَأَتَرَعْتُهَا بِخَمْرَةٍ نَفْسِي ...
 ثُمَّ قَدَمْتُهَا إِلَيْكَ ، فَأَهْرَقْتُ
 رَحِيقِي ، وَدَسْتُ يَاشَعْبُ كَأْسِي !
 فَتَأَلَّمْتُ .. ثُمَّ أَسَكْتُ الْآلَمِي ،
 وَكَفَفْتُ مِنْ شَعُورِي وَحَسْتِي
 ثُمَّ نَضَدْتُ مِنْ أَزَاهِيرِ قَلْبِي
 بَاقَةَ لَمْ يَمَسَّهَا أَيُّ إِنْسِي ..
 ثُمَّ قَدَمْتُهَا إِلَيْكَ ، فَمَزَقْتُ
 وَرُودِي ، وَدَسْتُهَا أَيُّ دَوْسِ
 ثُمَّ الْبَسْتَنِي مِنَ الْحَزَنِ ثُوبًا
 وَبَشُوكَ الْجِبَالِ تَوَجَّتَ رَأْسِي

* * *

إنّني ذاهبٌ إلى الغاب ، يا شعبي
لأقضي الحياة ، وحدي ، بيأس

إنّني ذاهبٌ إلى الغاب ، عليّ
في صميم الغابات أدفن بوّسي

ثم أنساك ما استطعتُ ، فما أنتَ
بأهلٍ لخرتي ولكأسي

سوف أتلو على الطيور أناشيدي ،
وأفضي لها بأشواق نفسي

فهي تدري معنى الحياة ، وتدري
أنّ مجدّ النفوس بقضةٌ حسّ

نمّ أقضي هناك ، في ظلمة الليل ،
وألقي إلى الوجود بيأسي

ثم تَحَدَّثُ الصَّنَوْبِرِ ، الناصر ، الحلو ،
تخُطُّ السيول حفرة رمسي
وتظَلُّ الطيور تلغُو على قَبْرِي
ويشدو النسيمُ فوقِي بهمس
وتظَلُّ الفصولُ تمشي حوَالِي ،
كما كُنَّ في غضارة أمسي
أيا الشعب ؟ أنتَ طفل صغير ،
لاعبٌ بالتراب والليلُ مُغْس . !
أنتَ في الكونِ قوَّةٌ ، لم تَسُسْهَا
فكرةٌ عبقريةٌ ، ذاتُ بأس
أنتَ في الكونِ قوَّةٌ ، كبَلَّتْهَا
ظلماتُ العصور ، من أمسِ أمس ..

والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلي
في حساسيتي ، ورقّةِ نفسي

* * *

هكذا قال شاعرٌ ، ناولَ الناسَ
رحيقَ الحياة في خير كأس
فأشاحوا عنها ، ومرّوا غضاباً
واستخفّوا به ، وقالوا بيأس :
« قد أضع الرشاد في ملعب الجن
فيأبؤسه ، أصيب بمسّ ،
« طالما خاطبَ العواطفَ في الليل
وتاجى الأموات في غير رمس ،
« طالما رافقَ الظلامَ إلى الغاب
وتنادى الأرواحَ من كلّ جنس ،

« طالما حدثَ الشياطين في الوادي ،
 وغنى مع الرياح يجرس ،
 « إنته ساحرٌ ، تعلّمهُ السحرَ
 الشياطينُ ، كلُّ مطلعِ شمس
 « فأبعدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكل
 إنَّ الخبيثَ منبعُ رجس ،
 « أطرده ، ولا تُصيخوا إليه
 فهو روحٌ شريرةٌ ، ذات نحس ،

* * *

هكذا قال شاعرٌ فيلسوف ،
 عاش في شعبه الغبيّ بتعس
 جهلَ الناس روحه ، وأغانيتها
 فساموا شعوره سوّمَ بنحس

فهو في مذهب الحياة نبي
وهو في شعبه مصابٌ بمسّ
هكذا قال ، ثمّ سار إلى الغاب ،
ليحيا حياةَ شعرٍ وقُدسٍ
وبعيداً.. ، هناك.. ، في معبد الغاب
الذي لا يُظِلُّه أيّ بؤسٍ
في ظلال الصنوبر الحلو ، والزيتون
يقضي الحياة : حرّماً بحرسٍ
في الصباح الجميل ، يشدو مع الطير ،
ويمشي في نشوة المتحمّسي
نافخاً نايه ، حوالبه ، تهتزّه
ورودُ الربيع من كلِّ فنسٍ

شَعْرُهُ مُرْسَلٌ ، تداعبه الريحُ
على منكبيه مثل الدمقس
والطيورُ الطَّرَابُ تشدو حوالبه
وتلغو في الدوح ، من كلِّ جنس
وتراه عند الأصيل ، لدى الجدول ،
يرنو للطائر المتحسّي
أو يفنّي بين الصنوبر ، أو يرنو
إلى سُدْفَةِ الظلام الممسي
فإذا أقبَلَ الظلامُ ، وأمستُ
ظلماتُ الوجود في الأرض تنفسي (١)
كان في كوخه الجميل ، مقبلاً
يسأل الكون في خشوع وهمس

(١) أغسَى الليل : أظلم .

عن مصبّ الحياة ، أين مداه ؟
وصميمِ الوجود ، أيتان يُرسي ؟
وأريجِ الورود في كلّ وادٍ
ونشيدِ الطيور ، حين تمسي
وهزيمِ الرياح ، في كل فجّ
ورسومِ الحياةِ من أمس أمس
وأغاني الرعاةِ أين نُوارِها
سكونُ الفضاء ، وأيتان تمسي ؟؟

* * *

هكذا يصرف الحياة ، ويُفني
حَلَقَاتِ السنين : حرساً بحرس
يا لها من معيشةٍ في صميم الغاب
تُضحى بين الطيور وتمسي !

يا لها من معيشة ، لم تُدَنَّسها
نفوس الوري بجبث ورجس
يا لها من معيشة ، هيَ في الكون
حياة غريبة ، ذات قُدس

٢٠ شعبان ١٣٤٨

٢١ جانفي ١٩٣٠

الابد الصغير

يا قلبُ ! كم فيك من 'دنيا محجبة'
كأنها ، حين يبدو فجرها «إرَم»^(١١)

(١) ارم : مدينة اسطورية احاطتها الخرافات بجو خيالي مسحور ،
فزعمت أنها بنيت على ضفة الجنة : أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب
واللؤلؤ والمرجان ، وسمائها من سحر مرصع بالأحلام ... ، وأنها لا زالت الى
يومنا هذا في صحراء العرب ، ولكنها محجوبة لا يراها أحد .

يا قلب! كم فيك من كونٍ، قد اتقنت
فيه الشمسُ وعاشت فوقه الأممُ

يا قلب! كم فيك من أفقٍ تتنقبه
كواكبٌ تتجلى ، ثمّ تنعدمُ

يا قلب! كم فيك من قبرٍ ، قد انطقات
فيه الحياةُ ، وضجت تحتها الرممُ

يا قلب! كم فيك من غابٍ ومن جبلٍ
تدوي به الريحُ أو تسمو به القممُ

يا قلب! كم فيك من كهفٍ قد انبجست
منه الجداولُ تجري ما لها لُجُمُ

تشي . ، فتحملُ غصنا مُزهرا نضرا
أو رردةً لم تشوّه حنّها قدّمُ

أو نَحَلَةٌ جَرَّهَا التَّيَّارُ مُنْدَقِمًا
 إلى البحارِ ، تُغْفِي فوقها الدَّيَمُ
 أو طائرًا ساحرًا مَينًا قد انْفجرتُ
 في مُقْلَتَيْهِ جراحُ جَمَّةٍ ودمُ
 يا قلبُ ! إنك كونُ مُدْهِشٍ عَجَبُ
 إنَّ يُسألُ الناسُ عن آفاقه يَجْمُوا
 كأنك الأبدُ المجهولُ .. ، قد عَجَزَتْ
 عنكَ النُّهى ، واكفَهَرَتْ حولك الظُّلَمُ

* * *

يا قلبُ ! كم من مسراتٍ وأخيلةٍ
 ولذَّةٍ ، يَتَحَامَى ظِلَّتْهَا الألمُ
 غَنَّتْ لِفَجْرِكَ صوتًا حالمًا ، فَرِحَا ،
 نَشْوَانًا ثم تَوارتُ ، وانقضى النغمُ

وكم رأى لَيْلِكَ الأَشْبَاحَ هائمةً
مذعورة تتهاوى حولها الرُّجْمُ
ورَفَرَفَ الأُمُّ الدَّامي ، بأجنحةٍ
من اللهب ، وأنَّ الحزنُ والنَّدَمُ
وكمُ مشت فوقك الدُّنيا بأجمعها
حتى توارت ، وسار الموتُ والعدمُ
وشيدتْ حولك الأَيَّامُ أبنيةً
من الأناشيد تُبْنِي ، ثم تنهدمُ

* * *

تمضي الحياةُ بماضيها ، وحاضرِها
وتذهبُ الشمسُ والشُّطَّانُ والقممُ

وأنت، أنت الخِضْمُ الرَّحْبُ ، لا فَرَحُ
يَبْقَى على سطحك الطَّاعِي ، ولا أَلَمُ

* * *

يا قلبُ ! كم قد تملّيت الحياةَ ، وكم
رَقَصْتَهَا مَرَّحًا ما مَسَّكَ السَّامُ

وكم توشّحتَ من ليلٍ ومن شَفَقِ
ومن صباحِ تَوْشِي ذَيْلَهُ السُّدُمُ

وكم نسجتَ من الأحلامِ أُرْدِيَةَ
قد مزقتَها الليالي ، وهي تَبْتَسِمُ

وكم ضفرتَ أكاليلًا مُورِدَةً
طارَتْ بها زَعزَعٌ تَدْوِي وتعتدِمُ

وكمّ رحمتَ رسوماً ، لا تُشابهها
هذي العوالمُ ، والأحلامُ ، والنظمُ
كانها ظللُ الفِرْدوسِ ، حافِلَةٌ
بالخُورِ ، ثم تلاشتُ ، واختفى الخِلْمُ

* * *

تبلو الحياةَ فتُبليها وتخلعها
وتستجدّ حياةً ، ما لها قِدمُ
وأنتَ أنتَ شبابُ خالدٍ ، نضِرُ
مثل الطبيعة : لا شيبُ ولا هَرَمُ

٢٠ رمضان ١٣٤٨

١٩ فيفري ١٩٢٠

صفحة من كتاب الدموع

غناه الأمل ، وأطربه
قد كان له قلب ، كالطفل ،
مذ كان له ملك في الكون
في جوف الليل ، يناجيه
وعلى الهضبات ، يغتبه

وشجاء اليوم ، فما غده ؟
يد الأحلام تهدئه
جميل الطلعة ، يعبه
وأمام الفجر ، يجده
آيات الحب ، ويُنشده

لولاہ لما عذُبْتُ في الكون مصادره وموارده
ولمّا فاضت بالشعر الحبيّ مشاعره وقصائده
تمشي في الغاب فتتبعه أفراح الحبّ ، وتنشده
ويرى الأفاقَ فيُبصِّرُها زمرأَ في النور ، تراصده
ويرى الأطيّارَ ، فيحسبُها أحلامَ الحبّ تفرّده
ويرى الأزهارَ ، فيحسبُها بَسَمَاتِ الحبّ تواددُه
فيخال الكونَ يناجيه ! وجمالَ العالم يسعده !
ونجومَ الليل تضاحكه ! ونسيمَ الغاب يطارده !
ويخال الوردَ يداعبه فرِحاً ، فتعابثه يده !..
ويرى ينبوعَ ، ونَضْرقتَه ، ونسيمُ الصُبْحِ يجمّعه
وخريرُ الماءِ له نغمٌ نسَمَاتُ الغاب تردّده
ويرى الأعشاب وقد سمقت بين الأشجار تشاهده

وَنِطَافُ الطِّفْلِ تُنَمِّقُهَا فَيَجِلُّ « الحُبُّ » وَيَحْمَدُهُ

* * *

يَا الْآيَاتِمْ ! فَكُم سِرَّتُ قَلْبِي فِي النَّاسِ لِتَكْدِهِ
هِيَ مِثْلُ الْعَاهِرِ ، عَاشِقُهَا تَسْقِيهِ الْحَمْرُ . . ، وَتَطْرُدُهُ !
يُعْطِيكَ الْيَوْمُ حَلَاوَتَهَا كَالشَّهْدِ ، لِيَسْلِبَهَا غَدُهُ !

* * *

بِالْأَمْسِ يِعَانِقُهَا فَرِحًا وَيَضَاجِعُهَا ، فَتُوسِّدُهُ
وَالْيَوْمَ ، يُسَايِرُهَا شَبْحًا أَضْنَاهُ الْحَزْنَ ، وَنَكَدُهُ
يَتَلَوُّ فِي الْغَابِ مَرَاثِيَهُ وَجَذْوَعُ السَّرْوِ تَسَانِدُهُ
وَيَمَاشِي النَّاسَ ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يَشْجِيهِ تَقْرُدُهُ
فِي لَيْلِ الْوَحْشَةِ مَسْرَاهُ وَبِكَهْفِ الْوَحْدَةِ مَرْقَدُهُ

أصوات الأمس تمذّبه وخيال الموت يُهدّده

* * *

بالأمس له شفقٌ في الكون يضيءُ الأفق تورّدُه
واليومَ ، لقد غشّاه الليلُ فما في العالمِ يُضمه
غشّاه الأمسُ وأطربه وشجّاه اليومُ ، فما غده؟

١٠ محرم ١٣٢٩

٧ جوان ١٩٣٠

إلى عذارى أفروديت

الجمال المنشود

يا عذارى الجمال، والحب، والأحلام،
بل يا بهاء هذا الوجود!
قد رأينا الشعورَ منسدلاتٍ
كَلَلتْ حَسَنَهَا صَبَاحُ الْوَرُودِ

ورأينا الجفون تبسم .. ، أو تحلم
بالتور ، بالهوى ، بالفشيد ...

ورأينا الحدودَ ، ضرجها السحرجُ ،
فأها من سحر تلك الحدود !

ورأينا الشفاءَ تبسم عن دنياً
من الورد غضةٍ ، أملود

ورأينا النهودَ تهتزُّ ، كالأزهار
في نشوة الشباب السعيد

فتنةٌ ، توقظ الغرام وتدكيه ،
ولكن ماذا وراء النهود ؟

ما الذي خلف سحرها الحالم ، السكران ،
في ذلك القرار البعيد .. ؟

أنفوس جميلةٌ ، كطيور الغاب
 تشدو بساحر التفريد
 طاهرات ، كأنها أَرَجُ الأزهار
 في مولد الربيع الجديد ؟
 وقلوبٌ مُضيئةٌ ، كنجوم الليل
 ضواعةٌ ، كفضء الورود ؟
 أم ظلامٌ ، كأنه قِطَعُ الليل ،
 وهولٌ يُشيبُ قلبَ الوليد
 وخِضَمٌ ، يمجج بالإثم والنكر ،
 والشرُّ ، والضلال المديد ؟
 لستُ أدري ، فرُبَّ زهرٍ مُذِيٍّ
 قاتل رغم حُسنِهِ المشهود

صانكنّ الإلاه من ظلمة الروح
ومن ضلّة الضمير المرید
إنّ لیلَ النفوس لیلٌ 'مربع'
سرمدی' الأسی ، شنیع الخلود
یرزح القلب فیہ بالألم المرّ ،
ویسقی بعیشہ المنکود
وربیع الشباب ینذبه الدهر ،
ویمضي بحسنه المعبود
غیر باق فی الكون إلاّ جمال
الروح غصّاً علی الزمانِ الأبیّد

۲۲ صفر ۱۳۴۹

۱۹ جوبلیة ۱۹۳۰

طريق الهاوية

يا عذارى الجمال ، والحب ، والأحلام ،
بل يا بهاءَ هذا الوجود !
خلق البلبيل الجميل ليشدو
وخلقتنَّ للفرام السعيد
والوجودُ الرحيبُ كالقبر ، لولا
ما تُجَلِّينَ من قُطُوب الوجود

والحياةُ التي تخِرُّ لها الأحلامُ
 ... موتٌ مثقلٌ بالقيود
 والشبابُ الحبيبُ شيخوخةٌ تسمى
 ... إلى الموت في طريق كؤو
 والربيعُ الجميلُ في هاته الدنيا
 . خريفٌ يُذوِي رفيفَ الورود
 والورودُ العذابُ في ضفّة الجدول
 ... شوكٌ ، مُصَفَّحٌ بالحديد
 والطيورُ التي تُغَنِّي ، وتفضي
 عَيْشَهَا في ترنمٍ وغريد ؟
 إنها في الوجود تشكو إلى الأيام
 ... عبءَ الحياة بالتفريد

والأناشيد ؟ إنها شَهَقَاتُ
تتشظى من كلِّ قلب عميد ...
صورةٌ للوجود شوهاه ، لولا
شفقُ الحسن فوق تلك الخُدود

* * *

يا زهور الحياة ، للحب أنتن
ولكنه مُخيفُ الورود
فسبيلُ الغرام جمُّ المهاوي
وافرُّ الهول ، مسترابُ الصعيد
رغمَ ما فيه من جمال ، وفنٍ
عبقريٍّ ، ما إن له من مزيد
وأناشيدَ ، تُسكِرُ الملائ الأعلَى ،
وتُشجِي جِوانحَ الجلود

وأريجٍ ، يكاد يذهب بالألباب
 ما بين غامضٍ وشديد
 وسبيلُ الحياةِ رُحْبٌ ، وأنْتُنَّ
 اللواتي تفرشنه بالورود
 إن أردتُنَّ أن يكون بهيجا
 رائع ، سحر ، ذا جمالٍ فريد
 أو بشوكٍ ، يدمي الفضيلةَ والحبَّ
 ويقضي على بهاء الوجود
 إن أردتُنَّ أن يكون شنيعا ،
 مظلم الأفقِ ميثَ التفريدِ

٢٢ صفر ١٣٤٩

١٩ جويلية ١٩٣٠

يا حماة الدين

لقد نام أهلُ العلمِ نوماً مغنطساً
فلم يسمّوا ما ردّدتُهُ العوالمُ
ولكنّ صوتاً صارخاً ، متصاعداً
من الروحِ يَدري كنهَه المتصامِمُ

سَيُوقِظُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ هُوَ نَائِمٌ
وَيُنْطِقُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ هُوَ وَاجِمٌ

* * *

سَكْتَكُمْ حِمَاةَ الدِّينِ ! سَكْتَةَ وَاجِمٍ
وَنِعْمَ بِلَهُ الْجَنَفِ ، وَالسَّيْلِ دَامَ

سَكْتُمْ ، وَقَدْ شِئْتُمْ ظُلَامًا ، غَضُوْنَهُ
عَلَانِمٌ كَفْرِيٌّ قَائِرِيٌّ وَمَعَالِمٌ

مَوَاكِبِ الْحَادِيِّ وَرَاءَ سَكْوَتِكُمْ
تَضِجُ ، وَهِيَ إِنِّ الْفَضَاءَ مَا تَمُّ

أَفِيقُوا فَلَئِلُ النُّوْمِ وَلِيَّ شِبَابِهِ
وَلَا حَتَّ لِلْآلَاءِ الصَّبَاحِ عَلَانِمٌ

فدونَ ضجيجَ الفاسقين سَكينةُ
 هي الموت ، ممَّا أورثته التَّهائمُ
 عوائدُ تحيي في البلاد نوابها
 تقدِّ قوامَ الدين ، والدينُ قائمُ
 أفيقوا ، وهبُوا هبةً ضَيْغَمِيَّةً
 ولا تُتَّجموا ، فالموتُ في الجُبْنِ جائمُ
 فدون نقابِ الصَّمْتِ تنمو ملامح
 تبرقعت الشرُّ الذي لا يقاومُ
 فقد فتَّ في زَنْدِ الديانةِ معشرُ
 آثاروا على الإسلامِ مَنْ قد يهاجمُ
 فوالحقُّ ، ما هذي الزوايا وأهلها
 سوى مصنعٍ فيه تُصاغُ السِّخائمُ

لحى الله من لم تستثره حمية
على دينه ، إن دأمته العظام

لحى الله قوما ، لم يُبالوا بِأَسْهُمِ
يُصَوِّبُهَا نَحْوِ الدِّيَانَةِ ظالم

١٦ جمادى الاولى ١٣٤ (١)

(١) هكذا بالأصل المكتوب بخط الشاعر .

شجون

عجبا لي اود ان افهم الكون، ونفسي لم تستطع فهم نفسي!
لم أفيد من حقائق الكون إلا

أنتي في الوجود مرّتا دُ رس

كل دهر يمرّ يفجع قلبي
ليت شعري أين الزمان المؤسّي

في ظلام الكهوف أشباحُ شؤمٍ
وبهذا الفضاء أطيافُ نحس
وخلالَ القصور أناتُ حزنٍ
وبتلك الأكوخ أنضاء بؤس !
والقضاء الأصم يعتسف الناسَ وَيَقْضِي ما بين سيف وقوس

* * *

هذه صورة الحياة ، وهذا
لونُها في الوجود، من أمس أمس
صورةٌ للشقاء دامعة الطرف
ولونٌ يسودُ في كلِ طرس

٥ جمادي الثانية ١٣٤٩

٢٨ أكتوبر ١٩٣٠

الأشواق العائبة

يا صميمَ الحياة ! إنَّني وحيدٌ
مدلجٌ ، تائه . فأين شروقك ؟
يا صميمَ الحياة ! إنَّني فؤادٌ
ضائع ، ظامٍ ، فأين رحيقك ؟
يا صميمَ الحياة ! قد وجَّمتَ النَّايُ
وغامَ الفضا . فأين بروقك ؟

يا صميم الحياة ! أين أغانيك !
فتحت النجوم يُصغي مَشوقك

* * *

كنتُ في فجرِكَ، الموشَّح بالأحلام، عِطراً، يَرِفُ فوق وِردِكَ
حالماً ، ينهل الضياءَ ، ويُصغي
لكَ ، في نشوةٍ بوحى نَشيدِكَ
ثمَّ جاء الدجى .. فأمسيتُ أوراقاً، بداداً، من ذابلات الورود
وضباباً من الشذى ، يتلاشى
بين هول الدجى وصمت الوجود
كنتُ في فجرِكَ المغلَّف بالسحر،
فضاءً من الشيد الهادي

وسحاباً من الرؤى ، يتهادى
في ضمير الآزال والآباد
وضياءً، يعانق العالمَ الرحب، ويسري في كل خافٍ وباد
وانقضى الفجرُ ..، فأنحدرتُ من الأفق تراباً إلى صميم الوادي

* * *

يا صميم الحياة! كم أنا في الدنيا غريبٌ! أشقى بغربة نفسي
بين قومٍ، لا يفهمون أناشيدَ فؤادي ، ولا معاني بؤسي
في وجودٍ مكبّلٍ بقيودٍ ، تائهٍ في ظلامٍ شكٍّ ونحسٍ
فاحتضنتني، وضمّنتني لك. كالماضي. فهذا الوجودُ علّةٌ يأسِي

* * *

لم أجد في الوجود إلا شقاءً
سرمدياً ، ولذّةً ، مضمحلّة

وأما نيتي، يُغرق الدمعُ أحلاها، ويُفني يمُّ الزمان صداها
وأنا شيد، يأكل اللهبُ الدامي مسراتها، ويُبقني أساها
وورودا، تموت في قبضة الأشواك. ما هذه الحياة المُملة؟!

سأمٌ هذه الحياة مُعادٌ
وصباحٌ، يكوُّ في إثر ليل
ليتني لم أفدُ إلى هذه الدنيا، ولم تسبح الكواكب حولي!
ليتني لم يعانق الفجر أحلامي، ولم ياتم الضياءُ جفوني!
ليتني لم أزل - كما كنت - ضوءً، شائعاً في الوجود، غيرَ سجين!

٥ شعبان ١٣٤٩

٢٦ ديسمبر ١٩٣٠

احلام هاجر

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا
سعيداً بوحدي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال، وفي الغابات ،
بين الصنوبر الميَّادِ
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف
نفسي عن استماع فؤادي

أرقتُ الموتَ ، والحياةَ ، وأصغيتُ
لحديث الأزال والآباد
وأغنتني مع البلبل في الغاب ،
وأصغيتني إلى خرير الوادي
وأناجي النجومَ والفجرَ ، والأطيَّارَ
والنهرَ ، والضياءَ الهادي
عيشةً للجمال ، والفن ، أبغيتها
بعيدا عن أمّتي وبلادي
لا أعنتني نفسي بأحزانٍ شعبي
فهو حيٌّ ، يعيش عيشَ الجماد !
وبجسي من الأسى ما بنفسي
من طريفٍ مُستحدثٍ ، وتلاد

وبعيدا عن المدينة ، والناس ،
بعيدا عن لغو تلك النوادي
فهو من معدن السخافة والإفك
ومن ذلك الهراء العادي
أينَ هُوَ من خريِرِ ساقية الوادي
وخفقِ الصدى ، وشدوِ الشادي
وحفيفِ الغصون ، نَمَقها الطلُّ
ومسِ النسيمِ للأوراد ؟
هذه عيشةٌ تقدسها نفسي
وأدعو لجدها ، وأنادي

١٦ ذر القعدة ١٣٤٩

٤ افريل ١٩٣١

قيود الأحلام

وأوردُ أن أحيا بفكرة شاعر
فأرى الوجودَ يضيق عن أحلامي
إلاّ إذا قطعتُ أسبابي مع الدنيا
وعشتُ لوحدتي وظلامي
في الغاب، في الجبل البعيد عن الوري
حيث الطبيعة، والجمال السامي

وأعيشُ عيشةَ زاهدٍ مُتَنَسِّكٍ
ما إنْ تُدَنِّسَهُ الحياةُ بدام
هَجَرَ الجماعةَ للجبال ، تورُّعا
عنها وعن بطش الحياة الدامي
تمشي حواليه الحياة كأنها
الحلمُ الجميل ، خفيفة الأقدام
وتخِرُ أمواج الزمان بهيبةٍ
قدسيَّةٍ ، في يَمِّها المترامي
فأعيش في غابي حياةً ، كلتها
للفنِّ للأحلام ، للإلهام
لكنني لا أستطيع ، فإنَّ لي
أما ، يصدُّ حنانها أوهامي

وصِغَارَ إِخْوَانٍ ، يرون سلامهم
في الكائنات معلقًا بسلامي
فقدوا الأب الحاني، فكننت لضعفهم كهنايَ صِدْغِ غَوَائِلِ الأيَامِ
ويَقِيمُهُمْ وَهَجَّ الحَيَاةِ ، ولفحها
ويَذود عنهم شِرَّةَ الألامِ
فأنا المكبَّلُ في سلاسلَ ، حَيَّةٍ ،
ضعَّيْتُ من رَأْفِي بها أحلامي
وأنا الذي سَكَنَ المَدِينَةَ ، مُكْرَمًا
ومشى إلى الآتي بقلبٍ دام
يصفني إلى الدنيا السخيفةِ راعمًا
ويعيش مثلَ الناسِ بالأوهامِ

وأنا الذي يجيأ بأرض ، قفرةٍ
مدحورةٍ للشكِّ والآلام ...
هجمتُ بيَ الدنيا على أهوالها
وخضمتها الرعب ، العميق الطامي
من غير إنذارٍ فأحملَ عُدتِّي
وأخوضه كالسباح العوام
فتعطمتُ نفسي على شطآنه
وتأججتُ في جوهه آلامي

* * *

الويل في الدنيا التي في شرعها
فأسُ الطعام كريشة الرسام ؟

٧ صفر ١٣٥٠

٢٤ جوان ١٩٣١

(؟)

أرى هيكلاً الأيتام يعلو ، مُشيداً
ولا بدّ أن يأتي على أسسه الهدمُ
فيُصبحُ ما قد شيّد اللهُ والورى
خراباً ، كأنّ الكلّ في أمسه وهم !
فقل لي : «ما جدوى الحياةِ وكرّبيها ،
وتلك التي تذوي ، وتلك التي تنمو؟»

« وفوُجٍ ، تغذّيه الحياةُ لِبَانِهَا ،
وفوُجٍ ، يُرى تحت التراب له ردم ؟ »
« وعقلٍ ، من الأضواء ، في رأس نابغ
وعقلٍ ، من الظلماء ، يحمله قَدَمٌ ؟ »
« وأفئدةٍ حسرى ، تذوب كآبة
وأفئدةٍ سكرى ، يَرِفُ لها النجم ؟ »
لِتَعْسِ الورى ، شاء الإلاه وجودهم
فكان لهم جهلٌ ، وكان لهم فهمٌ !!

٢٥ ربيع الأول ١٣٥٠

١٠ اوت ١٩٣١

دُثَاءُ فَجْرٍ

يا أيها الغاب ، المُنَمَّقُ بِالْأشْعَةِ وَالرُّودُ
يا أيها النُّورُ النَّقِيُّ ! وأيُّها الفجرُ البعيدُ !
أين اختفيتَ؟ وما الذي أقصاك عن هذا الوجودِ
أهٍ ! لقد كانت حياتي فيك حاملةً تميد
بين الخائل ، والجداول ، والترنم ، والنشيد
تُصَفِّي لِنَجْوَاكَ الْجَمِيلَةِ ، وهي أغنيةُ الخلودِ

وتعيش في كونٍ من الغفلات، فتسانٍ، سعيد
آهٍ لقد غنتي الصباحُ، فدَمَدَمَ الليلُ العتيد
وتألقَ النجمُ الوضيءُ، فأعتمَ الغيمُ الركود
ومضى الرّدى بسعادتي، وقضى على الحب الوليد

١ جمادي الأولى ١٣٥٠

١٤ سبتمبر ١٩٣١

أنا أبكيك للحب

لستُ يا أمسيَ أبكيك لِجَدِّ أو لِجَاهٍ
سلبته منِّي الدُّنيا ، وبزَّتني رداهُ
فأنا أحتقرُ الجَدَّ وأوهامَ الحياةِ

* * *

أو لعُمُرٍ ، بلفتُ منه اللَّياليَ منتهاهُ

وتلاشت في خضمّ الزّمنِ الطّاعي قواه
فأنا ما زلت في فجر شبّابي أو ضُعا

* * *

لا ، ولا أبكيك يا أمسي ، إذا ما قلت : « آه » ،
لنعيمٍ ، لم ينلْ قلبي منه مُشتمها
فبنو الأيّام في الدنيا كما شاء الإلاه

* * *

إنّما أبكيك للحبِّ ، الذي كان بهّا
يملأ الدنيا فأنّي سرتُ في الدنيا أراه
فإذا ما لاحَ فجَبرُ ، كان في الفجر سناه
وإذا غرّد طيرٌ ، كان في الشدو صده
وإذا ما ضاع عِطرٌ ، كان في العطر شذاه

وإذا ما رفّ زهرٌ ، كان في الزهرِ صباهُ
فهو في الكونِ جمالٌ ، يملأ الأفقَ ضياءُ
وتوشّي هذه الأكوانَ بالسّحرِ رؤاهُ
وهو في قلبي - الذي عانقه الفجرُ - إلهٌ !
عبقريّ السّحرِ ، مراحٌ وديعٌ في سماه
يَنسجُ الأحلامَ في قلبي بأضواءِ الحياه
ويُغنيّني ، فأنسى في مسراتِ غناه
كلّ ما في الكونِ من حزنٍ وأفراحٍ ، عداه

٨ جمادي الأولى ١٣٥٠

٢١ سبتمبر ١٩٣١

ابناء الشيطان

أيُّ ناس هذا الوري؟ ما أرى إلاّ برايا ، شقيّة ، مجنونه
جبلتُها الحياةُ في ثورة اليأسِ من الشرِّ ، كيّ "تجنّ" جنونه
فأقامتْ له المعابدَ ، في الكونِ ، وصلّتْ له وشادتْ حصونه

* * *

كم فتاةٍ ، جميلةٍ ، مدحُوها وتغنّوا بها لكيّ يُسقطُوها
فإذا صانت الفضيلةَ عابوها ، وإن باعت الخنا عبدوها

أصبحَ الحسنُ لعنةً ، تهبطُ الأرضَ ، ليفوَى أبناؤُها وذووها

* * *

وشقيِّ ، طاف المدينةُ ، يستجدي ليحيا ، فخيَّبوه احتقارا
أيقظوا فيه نزعةَ الشرِّ ، فانقضَّ على الناسِ فاتكا جبارا
يمذر الرُّعبَ في القلوبِ ، ويذكي - حيثما حلَّ - في الجوانحِ نارا

* * *

ونبيِّ قد جاء للناسِ بالحقِّ ، فكالوا له الشتائمَ كيلا
وتنادوا به : « إلى النار ! فالنار

بروح الخبيثِ أحرى وأولى ،
ثمَّ ألقوه في اللهبِ ، وظلُّوا
يمأون الوجودَ رُعبا وهولاً

* * *

وشعوبٍ ضعيفَةٍ تلتظئى
في جعيم الآلامِ عاماً فعاماً
والقويُّ الظلومُ يَعْصِرُ من
آلامها السُّودِ لَذَّةً ومُدَاماً
يتحسَّاهُ ضاحكاً . ، لا يراها
خُلِقَتْ في الوجودِ إلاّ طعاماً !

* * *

وفتاةٍ حسبتُها مَعْبَدَةَ الحبِّ ، فألفيت قلبها ماخُوراً !
ونبيلٍ وجدته في ضياءِ الفجرِ قلباً مُدَنَساً شَريراً !
وزعيمٍ أجهلُهُ النَّاسُ حقّ ظنٍّ في نفسه إلهاً صغيراً !

* * *

وخبيثٍ ، يعيشُ كالفأسِ ، هدّاماً ، ليُهْلِكُنِي بينَ الخرابِ بناءً .

وقميء ، يُطاولُ الجبلَ العالِي ، فليلته ما أشدَّ غباءَه !
ودنيءٍ تاريخُه في سِجِلِّ الشرِّ : إفكٌ ، وقبحَةٌ ، ودناءةٌ

* * *

كان ظنِّي أنَّ النفوسَ كِبارٌ
فوجدتُ النفوسَ شيئاً حقيراً
لوثتهُ الحياةُ ثمَّ استمرتُ
تبذرُ العالمَ العريضَ شروراً
فاحصدوا الشوكَ . يا بنيهاوضِحُوا
وامتلأوا الأرضَ والسماءَ حبوراً

١٧ جمادى الأولى ١٣٥٠

٣٠ سبتمبر ١٩٣١

صلوات هي هيكل الحب

عذبة أنتِ كالطفولةِ ، كالأحلام
كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسما الضحوك كالليلة القمراء
كالورد ، كابتسام الوليد
يا لها من وداعةٍ وجمال
وشباب مُنعمٍ أمْلود !

يا لها من طهارةٍ ، تبعثُ التقدير
سَ في مهجة الشقيِّ العنيدِ ! ...
يا لها رقّةٌ تكادُ يَرفُ الوَرُ
دُ منها في الصّخرة الجلود !
أيُّ شيءٍ تُراكِ؟ هل أنتِ «فينيس»
تَهادتُ بين الوري من جديد
لِتُعيدَ الشبابَ والفرحَ المعسولَ للعالمِ التعيسِ العמידِ !
أم ملاكُ الفردوسِ جاء إلى الأَرْضِ
ض ليُعيِّدَ روحَ السلامِ العמידِ !
أنتِ ... ، ما أنتِ؟ رسمٌ جميلٌ
عبقريُّ من فنِّ هذا الوجودِ

فيك ما فيه من غموضٍ وعمقٍ
 وجمالٍ مُقدَّسٍ معبود
 أنتِ ما أنتِ؟ أنتِ فجرٌ من السحر
 تجلّسى لقلبي المعمود
 فأراه الحياةَ في مونيّق الحسن
 وجلّسى له خفايا الخلود
 أنتِ روح الربيع ، تحتال في الدنيا فتتهزّ رائعاتُ الورود
 وتهبُّ الحياةُ سكرى من العطر ، وبدوي الوجودُ بالتفريد
 كلما أبصرتكِ عيناى تمشين
 بخطوي موقّع كالنشيد
 خفقَ القلبُ للحياة ، ورفّ الزهرُ في حقل عمري المجرود
 وانتشتُ روحي الكئيبةُ بالحبّ
 وغنّتُ كالبلبل الغريد

أنتِ 'تَحْيِين' في فؤاديَ ما قد
مات في أمسيَ السعيدِ الفقيدِ
وتشيدن في خرائبِ روحي
ما تلاشى في عهديَ المجدود
من طموح إلى الجمالِ إلى الفنِ ،
إلى ذلك الفضاء البعيد
وتَبَيُّثين رَقَّةَ الشوقِ ، والأحلامِ
والشدرِ ، والهوى ، في نشيدي
بعد أن عانقتُ كآبةُ أيّامي
فؤادي ، وألجمتُ تغريدي
أنتِ أنشودةُ الأناشيدِ غنّاكِ
إلاهُ الغناءِ ، رَبُّ القصيدِ

فيكِ شبّ الشّبَابُ، وشحّه السّحْرُ
وشدوّ الهوى ، وعِطْرُ الورود
وتراءى الجمالُ ، يرقص رقصاً
قُدُسيّاً ، على أغاني الوجود
وتهدأت في أفقِ روميكِ أوزانُ
الأغاني ، ورقّة التفرّيد
فتمايلت في الوجود ، كلحنِ
عُبقرِيّ الخيالِ حلو النشيد :
خطواتٌ ، سكرانةٌ بالأناشيد ،
وصوتٌ ، كرجع نايٍ بعيد
وقوامٌ ، يكاد ينطق بالألحان
في كلّ وقفةٍ وقمود

كلُّ شيءٍ موقَّعٌ فيكِ ، حتَّى
لفتنةُ الجيدِ ، واهتزازُ النهودِ
أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ في قدسها السامي ، وفي سحرها الشجيّ الفريدِ
أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ ، في رِقَّةِ الفجرِ في روتقِ الربيعِ الوليدِ
أنتِ .. أنتِ الحياةُ ، كلُّ أوَانِ
في رُؤاٍ من الشبابِ ، جديدِ
أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ فيكِ وفي عينيكَ آياتُ سحرها الممدودِ
أنتِ دنيا من الأناشيدِ والأحلامِ
والسحرِ والخيالِ المديدِ
أنتِ فوقِ الخيالِ ، والشعرِ ، والفنِّ
فوقِ النهىِّ وفوقِ الحدودِ

أنتِ قُدُسي، ومَعبدي ، وصباحي
وربيعي ، ونَشْوَتِي ، وخلودي

* * *

يا ابنةَ النُّور ، إنني أنا وَحَدِي
من رأى فيكَ رَوْعَةَ المعبود
فدَعيني أَعِيشُ في ظِلِّكَ العذب
وفي قِربِ حُسْنِكَ المشهود
عِيشَةً للجِمال ، والفن ، والإلهام
والطُّهُرِ ، والسَّنْبِي ، والسجود
عِيشَةَ النَّاسِكِ البَتُولِ يَنْسَاجِي الرَّبَّ
بِ نَشْوَةِ الذُّهُولِ الشَّدِيدِ
وامنحيني السَّلامَ والفرحَ الرو
حيُّ يا ضَوْءَ فَجْرِي المَنشودِ

وارحميني ، فقد تَهَدَمْتُ في كوني
من اليأس والظلام مَشِيد
أنقذيني من الأسي ، فلقد أَمْسَيْتُ لا أستطيع حملَ وجودي
في شباب الزمان والموت أمشي
تحت عبءِ الحياة جَمَّ القيود
وأماشي الورى ونفسي كالقبرِ ، وقلبي كالعالم المهدود :
ظُلْمَةٌ ، ما لها ختامٌ ، وهولٌ
شائعٌ في سكونها الممدود
وإذا ما استَخَفْتِي عَبَثُ الناسِ
تبسَّمتُ في أسي وجُمُود
بسمةٍ مرَّةً ، كأنِّي أَسْتُ
من الشوك ذابلاتِ الورود

وانفخي في مشاعري مَرَحَ الدنيا
وشُدِّي من عزميَ المجهود
وابعثي في دمي الحرارةَ ، عَلَيَّ
أَتَغْنَى مع المُنَى مِن جديد
وأبْثُ الوجودَ أنغامَ قلبِ
بُلْبُلِيَّ ، مكبَّلِ بالحديد
فالصباحُ الجميلُ يُنْعَشُ بالدَّفءِ
حياةَ المُعْطَمِ المكْدودِ
أنقذيني ، فقد سئمتُ ظلامي !
انقذيني ، فقد مللتُ ركودي ؟

* * *

آه يا زهرتي الجميلة لو تدرين
 ما جدّ فؤادي في الوحيد
 في فؤادي الغريبِ تُخَلِّقُ أَكْوَانُ
 من السحر ذاتُ حسن فريد
 وشمسٌ وضاءٌ ونجومٌ
 تنثر النورَ في فضاءٍ مديد
 وربيعٌ كأنه حلْمُ الشعاعِ
 في سكرة الشباب السعيد
 ورياضٌ لا تعرف الحلكَ الداجي
 ولا ثورةَ الخريف العتيد
 وطيورٌ سحريةٌ تتناغى
 بأناشيدٍ حلوةٍ التفريد

وقصورٌ كأنّها الشَّفَقُ الخَضُوبُ
أو طلعةُ الصبّاحِ الوليدِ
وغيومٌ رقيقةٌ تتهادى
كأبّاديدَ من نَسَارِ الورودِ
وحياةٌ شعريّةٌ هي عندي
صورةٌ من حياةِ أهلِ الخلودِ
كلُّ هذا يشيده سحرُ عينيكِ
وإلهامُ حسنكِ المعبودِ
وحرامِ عليكِ أن تَهْدِمِي ما
شادهُ الحُسْنُ في الفؤادِ العميدِ
وحرامِ عليكِ أن تَسْحَقِي آمالَ نفسٍ تصبو لعيشٍ رعيدِ

منكِ تَرجو سعادةً لم تجدها
في حياة الوري وسحر الوجود
فالإلاه العَظيمُ لا يَرجمُ العَبْدَ
إذا كان في جلال السجود

٣٠ جمادي الأولى ١٣٥٠
١٣ أكتوبر ١٩٣١

أراك

أراكِ ، فتحلو لديّ الحياة
ويعلا نفسي صباحُ الأملِ
وتنمو بصدري ورودُ عذابِ
وتحنو على قلبي المشتعلِ
ويفتنني فيكِ فيضُ الحياة
وذاك الشّبابُ الوديعُ ، الثمّلِ

ويفتنني سحرُ تلك الشفاه
تترف من حولهن القُبَل
فأعبدُ فيكِ جمالَ السماء ،
ورقّةَ ورْدِ الربيع ، الخضيلِ
وطَهْرَ الثلوج ، وسِحْرَ المروج
مَوْشِحَةً بشعاعِ الطُّفَلِ

* * *

أراكِ ، فأخلقُ خلقاً جديداً
كأنّي لم أبْلُ حربَ الوجودِ
ولم أحتمل فيه عيبتنا ، ثقيلًا
من الذكريات التي لا تُبِيدُ

وأضغاثِ أياميَ ، الغابرات ،
وفيها الشقيُّ ، وفيها السعيدُ

ويغمُرُ رَوْحِي ضياءُ رفيقُ
تُكَلِّه رائعاتُ الورود

وتُسمِعُنِي هاته الكائناتُ
رقيقَ الأغاني ، وحلَّو النشيد

وترقص حولي أمانٍ ، طيرابُ
وأفراحُ عُمري خليِّ ، سعيد

* * *

أراكِ ، فتخفق أعصابُ قلبي
وتهتزُّ مثلَ اهتزاز الوترِ

ويُجْرِي عليها الهوى، في حُنُوءٍ
أناملَ ، لُدْنًا ، كرَطْبِ الزهرِ

فتخطو أناشيدُ قلبيَ ، سكرَى
تغرَّدُ ، تحتِ ظِلِّالِ القمرِ

وتلأني نشوةٌ ، لا تُحَدُّ
كأنِّي أصبحتُ فوقَ البشرِ

أودُّ بروحي عناقَ الوجودِ
بما فيه من أنفُسٍ ، أو شجرِ

وليلٍ يفرُّ ، وفجرٍ يكرُّ ،
وغَيْمٍ يُوشِّي رداءَ السحرِ

١١ جمادى الثانية ١٣٥٠

٢٤ أكتوبر ١٩٣١

فكرة الانان

عش بالشعور ، وللشعور ، فإنما
دنياك كون عواطف وشعور

شيدت على العطف العميق ، وإنها
لتجف لو شيدت على التفكير

وتظل جامدة الجمال ، كئيبه
كالهيكل ، المهتم ، المهجور

وتظَلّ قاسيةً الملامحِ ، جَهْمَةً
كالموتِ ، مُقْفِرَةً ، بغيرِ سرور
لا الحُبُّ يرقصُ فوقها متغنياً
للناسِ ، بينِ جداولِ وزهور
مُتَوَرِّدَ الوجَناتِ سكرانِ الخطي
يهتزُّ من مَرَّحٍ ، وفرطِ حُبور
متكلِّلاً بالوردِ ، ينثرُ اللوري
أوراقَ وردِ « اللّذة » المنصور
كلا! ولا الفنُّ الجميلُ بظاهري
في الكونِ تحتِ عمامةٍ من نور
مُتَوَشِّحاً بالسحرِ ، ينفُخُ نايَه المشبوبَ بينِ خمائلِ وغدير
أو يلمسُ العودَ المقدَّسَ ، واصفاً
لموتِ ، للأيامِ ، للديجور

ما في الحياة من المسرة ، والأسى ،
والسحر ، واللذات ، والتفجير
أبدا ولا الأملُ المُجَنِّحُ مُنْشِداً
فيها بصوت الحالم المهبور
تلك الأناشيد التي تهبُّ الوري
عزَمَ الشبابِ ، وغبطةَ المصفور

* * *

واجمل شعورك ، في الطبيعة قائدا
فهو الخبير بتيهها المسحور
صحيبَ الحياةَ صغيرةً ، ومشى بها
بين الجماجم ، والدم المهدور
وعداً بها فوق الشواهِقِ ، باسمًا
متفتنًا ، من أعصرِ ودهور

والعقل ، رغمَ مَشِيْبِهِ ووَقَارِهِ ،
ما زال في الأَيَّامِ جِدًّا صَغِيرِ
يَمْشِي .. ، فَتَصْرَعُهُ الرِّيحُ ، فَيَنْتَنِي
مُتَوَجِّعًا ، كَالطَّائِرِ الْمَكْسُورِ
ويظُلُّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ ، مُتَفَلِّسًا
مُتَنَطِّسًا ، فِي خِفَّةٍ وَغُرُورِ :
عَمَّا 'تَحَجَّبَتْهُ' الْكَوَاكِبُ خَلْفَهَا
من سرِّ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْتُورِ
وهو الْمَهْشَمُ بِالْعَوَاصِفِ .. يَا لَهُ
من سَادِجٍ ، مُتَفَلِّسٍ ، مَغْرُورِ !

* * *

وافتحْ فؤَادَكَ لِلوُجُودِ ، وَخَلِّهِ
لِلْمِيَّةِ ، لِلْأَمْوَاجِ ، لِلدِّيَّاجُورِ

للثلج تنشره' الزوابع' للأسى ،
للهول ، للآلام ، للمقدور
وأتركه يقتحم العواصف ، هائماً
في أفقها ، المتلبّد ، المقرور
ويخوض أحشاء الوجود ، مُغامِراً
في ليّها المتهبّب ، المهدور
حتّى تعانقه الحياة ، ويرتوي
من ثغرها المتأجّج ، المسجور
فتعيشَ في الدنيا بقلب زاخِرِ
يقظُ المشاعرِ ، حالمٍ ، مسحور
في نشوةٍ صوفيّةٍ ، قدسيّةٍ ،
هيَ خير ما في العالم المنظور

٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٠

٧ نوفمبر ١٩٣١

سر النهوض

لا ينهض الشعبُ إلاّ حين يدفعه
عزمُ الحياة ، إذا ما استيقظتْ فيه
والحبُّ يخترقُ الغبراءَ ، مندفعاً
إلى السماء ، إذا هبتْ تناديه
والقيدُ يالفهُ الأمواتُ ، ما لبثوا
أمّا الحياةُ فيبئليها وتبئليه

١ رجب ١٣٥٠

١٢ نوفمبر ١٩٣١

قلب الام

يا أيها الطفلُ الذي قد كان كاللّحن الجميلُ
والوردةِ البيضاءِ ، تعبّق في غيابات الأصيلِ
يا أيها الطفلُ الذي قد كان في هذا الوجودِ ،
فرِحاً ، يناجي فتنةَ الدنيا بمسول النّشيدِ
ها أنتَ ذا أطبقتْ جفنيكَ أحلامُ المنونِ
وطايرتْ زُمُرُ الملائكِ حولَ مضجِعِكَ الأمينِ

ومضت بروحكَ للسماءِ عرائسُ النُّورِ الحبيبِ
يحملنَ تيجاناً مذهبةً ، من الزَّهرِ الغريبِ
ها أنتِ ذا قد جَلَلْتِكِ سَكِينَةُ الأبدِ الكبيرِ
وبكتكِ هاتيكِ القلوبُ ، وضمكِ القبرُ الصغيرِ
وتفرَّقَ النَّاسُ الَّذينَ إلى المقابرِ شِعْوَكَ
ونسُوكَ من دنياهمُ ، حتَّى كأنَّ لم يعرفوكِ
شغلْتهمُ عنكِ الحياةُ ، وحرَبُ هذِي الكائناتِ
إنَّ الحياةَ - وقد قضيتَ قبيلَ معرفةِ الحياةَ -
بجرُّ ، قرارتُه الرّدى ، ونشيدُ لُجَّتِه شِكاةُ
وعلى شواطئه القلوبُ تئنُّ داميةً عِراةُ
بجرُّ ، تجيشُ به العواصفُ في العشيَّةِ والغداةُ
وتُظِلُّهُ سُحْبُ الظلامِ ، فلا سكونَ ولا إِياءةُ

نَسَيْتَكَ أمواجُ البُحَيْرَةِ ، والنجومُ اللامعةُ
والبلبلُ الشادي ، وهاتيكِ المروجُ الشاسعةُ
وجداولُ الوادي النضيرِ برقصها وخريرها
ومسالكُ الجبلِ الصغيرِ بعُشْبها وزُهورها
حتى الرفاقُ . ، فإنّهم لبثوا مدىّ يتساءلونُ
في حيرةٍ مشبوبةٍ : « أين اختفى هذا الأمين ؟ »
لكنّهم علموا بأنك في الليالي الداجيةِ
حملتكِ غيلانُ الظلامِ إلى الجبالِ النائيةِ
فنسوكَ مثلَ الناسِ .. ، وانصرفوا إلى اللّهُو الجميلِ
بينَ المخائلِ ، والجداولِ ، والروابي ، والشهولِ
ونسُوا وداعةَ وجهكِ الهادي ، ومنظرَكَ الوسيمِ
ونسُوا تغنيكِ الجميلِ بصوتكِ الحلوِ ، الرخيمِ

ومضوا إلى المَرَجِ البهيج ، يطاردون طيوره
ويُزحزحون صخوره ، ويعابثون زهوره
ويُشيّدون من الرمال البيض ، والحصب النضير
عُرفا ، وأكواخا تكللها الحشائش والزهور
ويُنضّدون من الرُبى ، بين التضاحك والحبور
طاقاتٍ وردٍ ، آبدٍ ، تُزري بأوراد القصور
يلقونها في النهر ، قرباناً لآلهة السرور
فتسير في التيار ، راقصةً على نغم الخريف
كلّ نسوك ، ولم يعودوا يذكرونك في الحياة
والدهر يدفن في ظلام الموتِ حتّى الذكريات
إلاّ فؤاداً ، ظلّ يخفق في الوجود إلى لقاءك
ويودّ لو بَدَلَ الحياة إلى المنيّة ، وافتتدك

فإذا رأى طفلاً بكاك ، وإن رأى شبحاً دعاك
 يُصغي لصوتك في الوجود ، ولا يرى إلا بهاك
 يصغي لنفمتك الجميلة في خريف الساقية
 في رنة المزمار ، في لغو الطيور الشادية
 في ضجة البحر المُجَلَجِل ، في هدير العاصفة
 في لجة الغابات ، في صوت الرعود القاصفة
 في نغمة الحمل الوديع ، وفي أناشيد الرعاة
 بين المروج الخضر والسفح المجلجل بالنبات
 في آهة الشاكي ، وضوضاء الجموع الصاخبة
 في شهقة الباكي يؤججها نواح النادبة
 في كل أصوات الوجود : طروبها وكثيبها
 ورخيمها ، وعنيفها ، وبغيضها ، وحبيها

ويراك في صُورِ الطبيعة حلوها ، وذميمةا
 وحزينةا ، وبهيجها ، وحقيرها ، وعظيمها
 في رقّة الفجرِ الوديعِ ، وفي الليالي الحاملة
 في فتنة الشفقِ البديعِ ، وفي النجوم الباسمة
 في رقصِ أمواجِ البُحيرة تحت أضواء النجوم
 في سحرِ أزهارِ الربيعِ ، وفي تهاويل الغيوم
 في لَمعة البرق الخفّوقِ ، وفي هويّ الصاعقة
 في ذلّة الوادي ، وفي كِبَرِ الجبال الشاهقة
 في مَشهدِ الغابِ الكئيبِ ، وفي الورودِ العاوية
 في ظلّمة اللّيلِ الحزينِ ، وفي الكهوفِ العارية
 أعرفتَ هذا القلبَ في ظمأِ هاتيك اللّحودِ ؟
 هو قلبُ أمّك ، أمّك السكّري بأحزانِ الوجودِ

(١) الورود : جمع ورد : الأسد .

هو ذلك القلب الذي سيعيشُ كالشادي الضربُ
يشدو وبشكنوى حزنه الداجي إلى النفس الأخير
لا ربّةُ النسيان ترحمُ حزنه وترى شقاء
كلا ! ولا الأيَّامُ تُبلي في أناملها أساه
إلا إذا ضفّرت له الأقدارُ إكليلَ الجنون
وغداً شقيّاً ضاحكاً ، تلهو بمرآه السنون
هو ذلك القلبُ الذي مها تقلبتِ الحياةُ
وتدفعَ الزمَنُ المُدمدمُ في شعابِ الكائنات
وتغنت الدنيا ، وغرد بلبلُ الغاب الجميل
سيظلُّ يعبدُ ذكرياتِك : لا يَمِلُ ، ولا يميلُ
كالأرض : تمشي فوق تربتها المسرّةُ ، والشبابُ
والليلُ ، والفجرُ المجنحُ ، والعواصفُ ، والسحابُ

والحُبُّ تَنَبْتُ في مواطِنه الشقائقُ ، والورودُ
 والموتُ تَحْفَرُ - أينا يخطو - المقابرُ واللحودُ
 وتمرُّ بين فجاجها اللذاتُ ، حاملةً ، تيمدُ
 سكرى ، وأشواقُ الورى ترنو إلى الأفق البعيد...
 وتظلُّ ترقصُ للأسى ، لِلتهوِ ، أشباحُ الدهورِ
 حتّى يوارىها ضبابُ الموتِ في وادي الدثورِ
 وتظلُّ تَورِقُ ، ثمَّ تَزْهَرُ ، ثمَّ ينشرها الصباحُ
 للموتِ ، للشوكِ المُمزَّقِ ، للجداولِ ، للرياحِ
 بَسَمَاتُ تَغْرِ حالمٍ ، يفتُرُ في سهوِ السرورِ
 وورودُ روضِ باسمٍ ، يُصنِي لألحانِ الطيورِ
 وتظلُّ تحفِقُ ، ثمَّ تشدُّو ، ثمَّ يطويها الترابُ
 قَبْلُ ، وأطيَارُ ، تُفردُ للحياةِ ، وللشبابِ

وتظلُّ تمسِّي في جِوَارِ الموتِ أفرأحُ الحياةُ !..
ويغرُدُ الشحرورُ ما بين الجماجمِ والرثفاتِ
والأرهُسُ حالةٌ : تغنّي بين أسرابِ النجومِ
أنشودةَ الماضي البعيد ، وسورةَ الأزلِ القديمِ ...

٥ شعبان ١٣٥٠

١٦ ديسمبر ١٩٣١

حديث المقبرة

«وهو حوارٌ فلسفيٌّ، مَدَارُهُ الحياة،
والموت ، والخلود والكمال ،»

في ليلة مظلمة ، من ليالي الصيف ، خرج الشاعر بنفسه
من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل ، وفي ذلك السكون
الشامل ، والظلام المركوم ، أخذ يمشي بين أشجار الزيتون
المزهرة في مسلك منفرد ، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة ،
حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت
الدهور .

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم ، حيث يتحدث كل شيء بحلال الموت ورفاهة الحياة، جلس الشاعر بأقدام متعبة، ونفس ثائرة، وأجفان قد أذبلتها الأحزان، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة ، وتناوبت أمامه رسوم الأيام الكثيرة ، ما تام منها في قلب الأزل وما لم يزل ينمو في أحشاء الأبد الكبير ، وجاشت في قلبه هاته المصور والخواطر ، وعجت في صدره عجيبيج الأمواج الثائرة ، فألقاها إلى الليل في النشيد التالي :

أتفنى ابتساماتُ تلك الجفون ؟
ويخبو توهُّجُ تلك الحدود ؟
وتذوي ورَبَداتُ تلك الشفاه ؟
وتهوي إلى الترب تلك النهود ؟

وينهدهُ ذاك القوامُ الرشيقُ
وينعلهُ صدرٌ بديعٌ ، وجيد
وتربدهُ تلك الوجوه الصُّباحُ
وفتنةُ ذاك الجمال الفريد
ويغبرهُ فرعٌ كجُنْح الظلام
أنيقُ الغدائر ، جعدٌ ، مديد
ويُصبحُ في ظلمات القبور
هباءً ، حقيراً ، وتُرْباً ، زهيد
وينجاب سحرُ الغرام القوي
وسُكْرُ الشباب الغرير ، السَّعيد

* * *

أتطوَى سمواتُ هذا الوجود ؟
ويذهب هذا الفضاء البعيد ؟

وتهلك تلك النجومُ القُدّامى ؟
وهرَمَ هذا الزمانُ العهيد ؟
ويقضي صباحُ الحياةِ البديعُ ؟
وليلُ الوجودِ الرهيبُ ، العتيد ؟
وشمسُ قوسي رداءَ الغمام ؟
وبدرُ يضيءُ ، وغيمُ يحود ؟
وضوءُ يرصعُ موجَ الغدير ؟
وسِحْرُ ، يطرزُ تلك البرود ؟
وبحرُ فسيحُ ، بعيدَ القرار
يضجُ ، ويَدوي دوي الرعود ؟
وريحُ تمرُّ مرورَ المَلّاك ،
وتخطو إلى الغابِ خطنوا الوليد ؟

وعاصفة ، من بنات الجحيم ،
كأن صداها زئيرُ الأسود
تعجُ ، فتدوي حنايا الجبال
وتمشي ، فتدوي صخورُ النُجود ؟
وطيرٌ ، تغني خلال الفصون
وتتف للفرح بين الورود ؟
وزهرٌ ينمق تلك التلالَ
وينهلُ من كلِّ ضوءٍ جديد ؟
ويعبّق منه أريجُ الغرام
ونفحُ الشباب الحبيّ ، السعيد ؟

* * *

أيسطو على الكلّ ليلُ الفناء
يلمّو بها الموتُ خلفَ الوجود ..

وينثرها في الفراغ الخيف
كما تنثر الورد ربح شروود
فينضب يم الحياة الخضم
ويحمد روح الربيع الولود
فلا يلثم النور سحر الخدود
ولا تنبت الأرض غض الورود؟

* * *

كبير على النفس هذا العفاء !
وصعب على القلب هذا الهمود !
وماذا على القدر المستمر
لو استمرأ الناس طعم الخلود

ولم يُخْتَفَرُوا بِالْحَرَابِ الْهَيْطِ
ولم يُفَجَّعُوا فِي الْحَبِيبِ الْوَدُودِ
ولم يَسْلُكُوا لِلْخُلُودِ الْمَرْجَى
سَبِيلَ الرَّدَى ، وظلامَ اللَّحُودِ
فدامَ الشَّبَابُ ، وسحرَ الْغَرَامِ ،
وفنَّ الرَّبِيعِ ، ولطفَ الْوَرُودِ
وعاش الْوَرَى فِي سَلَامٍ ، أَمِينِ
وعيشَ غَضِيرِ ، رُخِيٍّ ، رَغِيدِ ؟
ولكنَّ هُوَ الْقَدْرُ الْمُسْتَبِدُّ
يَلِدُ لَهُ نَوْحُنَا ، كَالنَّشِيدِ !

* * *

كانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول فجاءت
تزور جسمها الذي أصبح رمة بالية في أحشاء التراب ،
فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحيرته
الظامنة ، فأرادت أن تعلمه الحكمة وتسكب في قلبه برد
اليقين فخطبته بهاته الأبيات :

تبرمتَ بالعيش خوف الفناء
ولو دمتَ حيًا سئمتَ الخلود
وعشتَ على الأرض مثل الجبال
جليلاً ، رهيباً ، غريباً ، وحيد
فلم ترتشف من رُضاب الحياة
ولم تصطبِح من رحيق الوجود
وما نشوة الحب عند المحب
وما سحر ذاك الربيع الوليد

ولم تدر ما فتنة الكائنات
وما صرخة القلب عند الصدود

ولم تفتكر بالقد المستراب
ولم تحتفل بالمرام البعيد

وماذا 'يرجّي' ربيب الخلود
من الكون - وهو المقيم البعيد - ؟

وماذا يودُّ ، وماذا يخافُ
من الكون - وهو المقيم الأبد - ؟

تأملُ .. ، فإنّ نظام الحياة
نظام ، دقيق ، بديع ، فريد

فما حبّبَ العيشَ إلاّ الفناءُ
ولا زانه غيرُ خوف اللحد

ولولا شقاءُ الحياةِ الأليمِ
لما أدركَ الناسُ معنى السعودِ
وَمَنْ لم يُرَعه قطوبُ الدياجيرِ
لم يفتبِطُ بالصباحِ الجديدِ .

* * *

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف
والأشباح ، فقال مجاورها :

إذا لم يكن من لقاء المنايا
مناصٌ لمن حلَّ هذا الوجودِ
فأيُّ غنماءٍ لهذي الحياةِ
وهذا الصراع العنيف ، الشديد

وذاك الجمال الذي لا يُمَلِّ ،
وتلك الأغاني ، وذاك النشيد؟؟

وهذا الظلام ، وذاك الضياء ،
وتلك النجوم ، وهذا الصعيد

لماذا نمرُّ بوادي الزمان
سِراعاً ، ولكننا لا نعود

فنشرب من كلِّ نبعٍ شراباً
ومنه الرفيع ، ومنه الزهيد

ومنه اللذيذ ، ومنه الكريه ،
ومنه المشيد ، ومنه المتبديد

ونحمل عيبنا من الذكريات
وتلك العهود التي لا تعود

ونشهد أشكال هذي الوجوه
وفيها الشقيّ ، وفيها السعيد
وفيها البديع ، وفيها الشنيع ،
وفيها الوديع ، وفيها العنيد
فيُصبح منها الوليُّ الحميم ،
ويصبح منها العدوُّ الحقُّود
وكلُّ - إذا ما سألنا الحياةَ -
غريبٌ لعمرى بهذا الوجود
أتيناها من من عالمٍ ، لا نراه
فُرادي ، فما شأنُ هذي الحقُّود ؟
وما شأنُ هذا العداء العتيقِ ؟
وما شأنُ هذا الإخاء الودود ؟

* * *

روح الفيلسوف :

خَلَقْنَا لِنَبْلُغَ شَأْوَ الْكَمَالِ
وَنَصْبِحَ أَهْلًا لِمَجْدِ الْخُلُودِ
وَتَطَهَّرَ أَرْوَاحُنَا فِي الْحَيَاةِ
بِنَارِ الْأَسَى (١)
وَنَكْسِبَ مِنْ عَثْرَاتِ الطَّرِيقِ
قُوَى ، لَا تُهْدِي بِدَأْبِ الصُّعُودِ
وَمَجْدًا ، يَكُونُ لَنَا فِي الْخُلُودِ
أَكَالِيلَ مِنْ رَائِعَاتِ الْوُرُودِ

* * *

(١) بياض في الأصل والسودة .

ومر بالقبرة صرب من الأرواح ، في طريقها إلى العالم
المجهول ؛ فطارت معها روح الفيلسوف ، وخلفت عالم
الشك والكتابة لأبنائه البائسين . وظل الشاعر يردد بينه
وبين نفسه :

« خلقنا لنبلغ شأوَ الكمال
ونُصبح أهلاً لمجد الخلود »

ولكن أفكاره الثائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال تلح
عليه بالأسئلة الكثيرة المرهفة فقال يناجي روح الفيلسوف
التي حسبها ما زالت قريبة منه :

ولكن إذا ما لبسنا الخلود
ونلنا كال النفوس البعيد
فهل لا نَمَلُّ دوام البقاء ؟
وهل لا نودُّ كالا جديد

وكيف يكوننّ هذا « الكمال » :
 ماذا تراه ؟ وكيف الحدود ؟
 وإنّ جمالَ « الكمال » « الطُموحُ »
 وما دام « فكرا » يُرَى من بعيد
 فما سِحره إن غدا « واقعا »
 يُحَسُّ ، وأصبح شيئا شهيد ؟
 وهل ينطفي في النفوس الحنين
 وتصبحُ أشواقنا في خمود
 فلا تطمح النفس فوق الكمال
 وفوق الخلود لبعض المزيد ؟
 إذا لم يَزُل شوقها في الخلود
 فذاك لعمري شقاءُ الجدود

وحربٌ ضروسٌ، - كما قد عهدتُ -
ونصرٌ ، وكسرٌ ، وهمٌ مديد
وإنْ زال عنها فذاك الفناء
وإنْ كان في عرصاتِ الخلود

* * *

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف ، ولكنهما كانت
إذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه ، وكذلك
ضاعت أسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذي لا يسمع ولا
يجيب .

٢٦ ذر القعدة ١٣٥٠

٣ أبريل ١٩٣٢

في ظل وادي الموت

نحن نمشي ، وحولنا هاته الأكوام
نتمشي . . . ، لكن لأية غاية ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس ،
وهذا الربيع ينفخ نايه
نحن نتلو رواية الكون للموت

ولكن ماذا ختام الرواية
هكذا قلت للرياح فقالت :
« سَلْ ضميرَ الوجود : كيف البداية .؟ »

* * *

وتغشى الضباب نفسي ، فصاحت
في ملالٍ مُرٍّ : « إلى أين أمشي ؟ »
قلت : « سيري مع الحياة ... » فقالت :
ما جنينا ، تُرى ، من السير أمس ؟
فتهافتُ كالهشيم - على الأرض
وتأديت : « أين يا قلب رفشي ؟ »
« هاتِه ، علّتي أخطَ ضريحي »
« في سكون الدجى وأدفن نفسي »

* * *

« هاتِهِ فالظلام حولي كثيف ... »
« وضباب الأملِ مُنِخٌ عَلَيَا .. »
« وكؤوس الغرام أترعها الفجرُ ، »
« ولكنْ تحطَّمتْ في يدينا ... »
« والشباب الغرير ولئى إلى الماضي ، »
« وخلصى النحيبَ في شفتينا ، »
« هاته ، يا فؤادُ إننا غريبان ، »
« نصوغ الحياة فناً شجياً ... »

* * *

« قد رقصنا مع الحياة طويلاً ... »
« وشدوتنا مع الشباب سنينا ... »
« وعدوتنا مع الليالي حفاةً ... »

« في شِبابِ الحياةِ حتى دَمِينِنا ... »
« وأكلنا الترابَ حتى مللنا ... »
« وشربنا الدموعَ ، حتى رَوينا ... »
« ونثرنا الأحلامَ والحبَّ والآلامَ ،
« واليأسَ ، والأسى ، حيث سِينا ... »

* * *

« ثم ماذا؟ هذا أنا : صرتُ في الدنيا ،
« بعيدا عن هوها وغناها ،
« في ظلامِ الفناء ، أَدفنُ أيتامي ،
« ولا أستطيعُ حتى بكائها ؟
« وزهورُ الحياةِ تهوي ، بصمتِ ،

« مُخْزِنٍ ، مُضْجِرٍ عَلَى قَدَمِيَا ، »
« جَفَتْ سَحْرُ الْحَيَاةِ ، يَا قَلْبِي الْبَاكِي ، »
« فَهِيَا ، نُجْرَبِ الْمَوْتَ .. هَيْتَا .. ! »

٢٨ ذو القعدة ١٣٥٠

٥ أبريل ١٩٣٢

الساحرة

راعها منه صَعْتُهُ ووُجُومُهُ
وشجاما شُحُوبُهُ وسُهُومُهُ
فأمرتْ كَفًّا على شَعْرِهِ العاري
برفق ، كأنها ستْنِيمُهُ
وأطلتْ بوجهها الباسم الحلو على خدِّه وقالت تلومُهُ:

أهـا الطائر الكئيب كَفَرَدُ
إِنَّ شَدْوَ الطيور حلو رخيمة

« وأجبتني فدتك نفسي - ماذا ؟
أمصاب ؟ أم ذاك أمر ترومه ؟ »

« بل هو الفن واكتتابه ، والفنان
جم أحزانه وهوومه ،

« أبدا يحمل الوجود بما فيه
كأن ليس للوجود زعيمة : »

« خل عبء الحياة عنك ، وهيا
بحيا ، كالصبح ، طلق أديمه

« فكثير عليك أن تحمل الدنيا
وتشي بقرها لا تريه ،

« والوجود العظيم أُنْعَمِدَ في الماضي
وما أنت ربُّه فتقيمه ،

« وامش في روضة الشباب طَرُوبًا
فحواليك وَرَدُّه وكرومه ،

« واتلُ للعبِّ والحياة أغانيك
وخلِّ الشقاء تدمي كلومه ،

« واحتضني ، فأنتي لك ، حقّ
يتواري هذا الدجى ونجومه ،

« ودع الحُبَّ يُنشدُ الشعرَ لليل ،
فكم يُسكر الظلامَ رنيمه ... ،

« واقطف الورد من خدودي ، وجيدي
ونهودي ... وافعلْ به ما ترومه ،

« إِنَّ لِلْبَيْتِ لِهَوَاهُ النَّاعِمَ ، الْخُلُوعَ
وَالْمَذْكَونَ حَرْبُهُ وَهُومُهُ »

« وَارْتَشَفُ مِنْ فَمِي الْأَنَاشِيدَ سَكْرَتِي ،
فَالهُوَى سَاحِرُ الدَّلَالِ ، وَصَيْمُهُ »

« وَانْسَ فِي الْحَيَاةِ .. ، فَالْعَمْرُ قَفْرٌ ،
مَرْعَبٌ إِنَّ ذَوَى وَجْفَتِ نَسِيمُهُ »

« وَارْمِ لِلَّيْلِ ، وَالضَّبَابِ بَعِيدَا
فَتَنِّكَ الْعَابِسَ ، الْكَثِيرَ وَجُومَهُ »

« فَالهُوَى ، وَالشَّبَابُ ، وَالْمَرْحُ الْمَعْسُولُ
تَشْدُو أَفْنَانُهُ وَنَسِيمُهُ »

« هِيَ فَنُّ الْحَيَاةِ ، يَا شَاعِرِي الْفَنَّانِ
بَلْ لُبُّ فَنِّهَا وَصَيْمُهُ »

« تلك يا فيلسوف ، فلسفة الكون ،
 ووَحْيُ الوجودِ هذا قديمه ،
 « وهي إنجيليَّ الجميلُ ، فصدقته
 وإلا .. ، فليلغرام جحيمه .. »
 « فرماها بنظرة ، غَشِيَتِهَا
 سكرةُ الحُبِّ ، والأسى ، وغيومهُ »
 وتلاها ببسمة ، رشفتها
 منه سكرانةُ الشباب . رؤومهُ
 والتقتُ عندها الشفاهُ .. ، وغنَّتْ
 قبيلُ ، أجفلتُ لديها همومهُ
 ما تريد الهمومُ من عالمٍ ، ضاءت
 مسراتهُ ، وغنَّتْ نجومهُ ؟

* * *

ليلة أسبلَ الغرامُ عليها
سحرَه الزاعمَ ، الطريرَ نعيمه
وتغنى في ظلها الفرحُ اللاهي
فجفَ الأسي وخرَ هشيمه
أغرق الفيلسوفُ فلسفة الأحزان
في بحرِها .. ، فمن ذا يلومه

* * *

إن في المرأة الجميلة سحرا
عبقريًا ، يُذكي الأسي ، ويُنيمه

١٥ ربيع الأول ١٣٥١

١٩ جويلية ١٩٣٢

الجنة الضائعة

كَمْ من عُهودٍ عذبةٍ من عَدْوَةِ الوادي النضيرِ
فَضِيَّةِ الأسحارِ مُذهَبَةِ الأصائلِ والبُكورِ
كانت أرقّ من الزهور ، ومن أغاريد الطيور
وألذّ من سحر الصَّبَا في بَسْمَةِ الطفل الغريرِ
قَضَيْتُهَا ومعِي الحبيبةُ لا رقيب ولا نذيرِ

إلاّ الطفولةَ حولنا تلهو مع الحُبِّ الصّغير
أيّامَ كانت للحياة حلاوة الرّوض المطير
وطهارةُ الموج الجميل ، وسِحْرُ شاطئه المنير
ووداعة العصفور ، بين جداول الماء النّمير
أيّامَ لم نعرف من الدّنيا سوى مَرَحِ الشّرور
وتتبع النّحل الأنيقِ وقطف تيجان الزهور
وتسلّق الجبل المكلل بالصّنوبر والصخور
وبناء أكواخِ الطفولة تحت أعشاش الطيور
مسقوفةً بالورد ، والأعشاب ، والورق النّضير
نبني ، فتهدمها الرّيحُ ، فلا نضجُ ولا نور
ونعود نضحك للمروج ، وللزّنابقِ ، والغدير
ونخاطب الأصداء ، وهي تَرَفُّ في الوادي المنير
ونعيد أغنية السواقي ، وهي تلعغو بالخرير

ونظَّلُ نركض خلف أسراب الفَراشِ المستطير
 ونمُرُ ما بين المروجِ الخضرِ ، في سكرِ الشعور
 نشدو ، ونرقصُ - كالبلابلِ - للحياة ، وللحبور
 ونظلُّ ننتزُ للفضاءِ الرَّحْبِ ، والنهرِ الكبيرِ
 ما في فؤادينا من الأحلامِ ، أو حللِ الغرورِ
 ونشيدُ في الأفقِ المخضبِ من أمانينا قصور
 أزهى من الشفقِ الجميلِ ، وروثِ المَرَجِ الخضيرِ
 وأجلُّ من هذا الوجودِ ، وكلِّ أجدادِ الدهورِ
 أبدا ، تدلُّنا الحياةُ بكلِّ أنواعِ السرورِ
 وتبثُّ فينا من مراحِ الكونِ ما يُغوي الوقورِ
 فنسيرُ ، نَنشدُ لهوًا المعبودَ - في كلِّ الأمورِ
 ونظلُّ نعبثُ بالجميلِ من الوجودِ ، وبالحقيرِ :
 - بالسائلِ الأعمى ، وبالمعتوه ، والشيخِ الكبيرِ

بالقطة البيضاء ، بالشاة الوديعه ، بالحدير
 بالعشب ، بالفنن المنور ، بالسنايل ، بالسفير
 بالرمل ، بالصخر المحطم ، بالجداول ، بالغدير
 واللهو ، والعبث البريء ، الحلوى ، مطمحننا الأخير
 ونظّل نقفز ، أو نُسْرَثِرُ ، أو نغنّي ، أو ندور
 لانسام اللهو الجميل ، وليس يدركنا الفتور
 فكانتنا نحيا بأعصاب من المرح المثير
 وكانتنا نمشي بأقدام مجنحة ، تطير
 أيام كنا لبّ هذا الكون ، والباقي قشور
 أيام تفرش سُبُلنا الدنيا بأوراق الزهور
 وتمرّ أيام الحياة بنا ، كأسراب الطيور
 بيضاء لاعبة ، مُفردةً مجنحةً بنور

وترفرف الأفرحُ فوق رؤوسنا أنسى نسير

* * *

آه! توارى فجريّ القدسيّ في ليل الدهور
وفنى ، كما يفنى النشيدُ الحلوُ في صمت الأثير
أواه! لقد ضاعت عليّ سعادةُ القلب الغرير
وبقيتُ في وادي الزمان الجهمِ أدابُ في المسير
وأدوسُ أشواكِ الحياةِ بقلبي الدامي الكسير
وأرى الأباطيل الكثيرةَ ، والمآثمَ ، والشرور
وتصادمُ الأهواءِ بالأهواءِ في كلِّ الأمور
ومذلةُ الحقِّ الضعيفِ ، وعزّةُ الظلمِ القديرِ !
وأرى ابن آدمَ سائراً لي رحلةَ العمرِ القصيرِ
ما بين أهوالِ الوجودِ وتحتِ أعباءِ الضميرِ

متسلِّقا جَبَلَ الحِياةِ الوَعْرَ ، كالشَّيخِ الضَّريرِ
دامي الأَكْفُ ، مُمَزَّقَ الأَقْدَامِ ، مُغْبِرَ الشُّعورِ
مُتَرَنَّحِ الخُطواتِ ما بَينَ المِزالتِ والصُّخورِ
هالتهُ أشْباحُ الظلامِ ، وراعاهُ صوتُ القُبورِ
ودويُّ إعْصارِ الأَسى ، وناموت ، في تلكِ الوُعورِ

* * *

ماذا جَنيتُ من الحِياةِ ومن تَجارِيبِ الدُّهورِ
غَيرَ النَّدامةِ والأَسى والبِأسِ والدمعِ الغَزيزِ ؟
هذا حَصادي من حَقولِ العالَمِ الرَّحْبِ الخَظيرِ
هذا حَصادي كُلُّهُ ، في يَقطعةِ العَهْدِ الأخيرِ

* * *

قد كنتُ في زمنِ الطفولةِ ، والسذاجةِ ، والظهور
أحيا كما تحيا البلابلُ ، والجداولُ ، والزهور
لا نخفل ، الدنيا تدور بأهلها ، أو لا تدور
واليومَ أحيا مُرَهَقَ الأعصابِ ، مشوبَ الشعور
مُتَأَجِّجَ الإحساسِ ، أحفلُ بالعظيمِ ، وبالحقيرِ
تشي على قلبي الحياةُ ، ويزحفُ الكونُ الكبيرِ
هذا مصيري ، يا بني الدنيا فما أسقى المصيرُ ا

١٢ رمضان ١٣٥١

٩ جانفي ١٩٣٣

السعادة

ترجو السعادةَ يا قلبي ولو وُحِدَتْ
في الكونِ لم يشتعلْ حُزْنٌ ولا أَلَمٌ
ولا استعالتْ حياةُ الناسِ أجمعُها
وزُلزلتْ هاتِه الأكرانُ والنُظُمُ
فما السعادةُ في الدنيا سوى حُلْمٍ
نابٍ تَضَحِّي له أَيامها الأممُ

ناجتُ به الناسَ أوهامٌ مُعَرَّبِدَةٌ
لَمَّا تَغَشَّتْهُمُ الْأَحْلَامُ وَالظُّلَمُ
فَسَبَّ كُلٌّ يَنَادِيهِ وَيُنشُدُهُ
كَأَنَّمَا النَّاسُ مَا نَامُوا وَلَا حَلُمُوا^(١)

* * *

« خُذِ الْحَيَاةَ كَمَا جَاءَتْكَ مَبْتَسِمًا
فِي كَفِّهَا، الْفَارُ أَوْ فِي كَفِّهَا الْعَدَمُ »
وَارْقِصْ عَلَى الْوَرْدِ وَالْأَشْوَاكِ مُتَبَدِّدًا
غَنَّتْ لَكَ الطَّيْرُ، أَوْ غَنَّتْ لَكَ الرَّجْمُ

(١) حلم : كان ذا حلم ، أي ذا عقل

واعملْ كما تأمُرُ الدنيا بلا مَضَضٍ
والجِمْ شعوركَ فيها ، إنَّها صَنَمٌ

فَمَنْ تَأَلَّمَ لم تُرَحِّمْ مَضاضتُهُ
ومَنْ تَجَلَّدَ لم تَهْزَأَ بِهِ القِمْمُ

هذي سعادةُ دُنْيانا ، فكن رجلاً
إن شئتَها - أبداً الأبادِ - يبتسم !

وإن أردتَ قضاء العيشِ في دَعَةٍ
شعريَّةٍ لا يُغَشِّي صَفْوَهَا نَدَمٌ

فاتركْ إلى الناسِ دُنْيائهم وضجَّتْهم
وما بنوا لنظام العيشِ أو رَسَمُوا

واجعل حياتك دوحاً مزهراً نضيراً
في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم
واجعل لياليك أحلاماً مفردة
إن الحياة وما تدوي به حلُم!

٢٦ رمضان ١٣٥١

٢٣ جانفي ١٩٣٣

من اغاني الرعاة

حل الشاعر صيفاً بعين درام « من الشبال التونسي »
مستشفياً . وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة
والغابات الملتفة الهائلة ، والجبال الشم المجللة بالسنديان
قضى عهداً شعرياً ، وادعاً ، خالصاً للشعر ، والسحر
والاحلام . وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور
الحياة بين تلك الجبال ، والأردية والغابات .

أقبلَ الصُّبْحُ يُغْنِي للحياةِ الناعسة

والرُّبى تحلمُ في ظلِّ الفصون المائسة
والصَّبَا تُترَقِّصُ أوراقَ الزهور اليابسة
وتَهَادَى النُّورُ في تلك الفِجَاجِ الدامسة

* * *

أقبلَ الصبحُ جميلاً ، يملأ الأفقَ به ساءة
فتمطى الزهرُ ، والطيرُ ، وأمواجُ المياه
قد أفاقَ المسالمُ الحيُّ ، وغنى للحياة
فأفريقي يا خرافي ، واهلتي يا شياه

* * *

واتبعيني يا شياهي ، بين أسراب الطيور
واملاي الوادي ثغاءً ، وميراحا وحبور

واسمعي همس السواقي، وانشقي عطرَ الزهورِ
وانظري الوادي ، يفشّيه الضبابُ المستنيرُ

* * *

واقظفي من كلاً الأرض ، ومرعاها الجديدُ
واسمعي شبّابتي تشدو ، بمسول النشيدُ
تَنَمُّ يَصْعَدُ مِنْ قَلْبِي ، كأنفاسِ الورودِ
ثم يَسْمُو طائرا ، كالبلبل الشادي السعيدُ

* * *

وإذا جئنا إلى الغابِ ، وغَطَّانا الشجرُ
فاقظفي ماشئتِ من عُشبٍ ، وزَهْرٍ ، وثَمَرٍ

أَرْضَعَتَهُ الشَّمْسُ بِالضَّوْءِ ، وَغَدَّاهُ الْقَمَرُ
وَارْتَوَى مِنْ قَطَرَاتِ الطَّلِّ ، فِي وَقْتِ السَّحَرِ

* * *

وَامرَحِي مَا شَتَّ فِي الْوُدْيَانِ ، أَوْفُقَ التَّلَالِ
وَارْبِضِي فِي ظِلِّهَا الْوَارِفِ ، إِنْ خِفَتِ الْكِلَالُ
وَامْضِعِي الْأَعْشَابَ ، وَالْأَفْكَارَ فِي صَمْتِ الظَّلَالِ
وَاسْمَعِي الرِّيحَ تُغَنِّي ، فِي شِمَارِيخِ الْجِبَالِ

* * *

إِنَّ فِي الْغَابِ أَزَاهِيرًا ، وَأَعْشَابًا عَذَابًا
يُنْشِدُ النَّحْلُ حَوَالِيهَا ، أَهَازِيحًا طِرَابًا
لَمْ تُدَنَّسْ عِطْرَهَا الطَّاهِرَ أَنْفَاسُ الذَّنَابِ

لا، ولا طَافَ بِهَا الثعلبُ في بعض الصَّحَابِ!

* * *

وشدأ حلوا ، وسِحْرًا ، وسَلَامًا ، وِظْلَالٌ
ونسيمًا سَاحِرَ الخَطْوَةِ ، موفورَ الدلالِ
وغصونا يَرْقُصُ النورُ عليها ، والجمالِ
واخضرارا أبديًا ، ليس تَنحُوهُ الليالِ

* * *

لن تَمَلِّي ، يا خرافي ، في حمى الغابِ الظليلِ
فزمانُ الغابِ طفلٌ ، لَاعِبٌ ، عَذْبٌ ، جَمِيلٌ
وزمانُ الناسِ شَيْخٌ ، عَابِسُ الوجهِ ، ثَقِيلٌ
يتمشى في ملالِ ، فـوق هاتيك السهولِ

* * *

لكِ في الغابات مرعاك ، ومسعاكِ الجميل
وليّ الإنشادُ ، والعزف إلى وقت الأصيل
فإذا طالت ظلالُ الكلالِ الغض ، الضئيل
فهلتمّي نرجس المسعى إلى الحيّ النبيل

١٠ شوال ١٣٥١

٦ فيفري ١٩٢٣

ايتها الحاملة بين العواصف

أنتِ كالزهرةِ الجميلةِ في الغابِ ،
ولكنْ ما بين شوكٍ ، ودود
والرياحينُ تحسب الحسكَ الشريرَ
والدود من صنوف الورود
فافهمي الناس.. إنَّما الناسُ خلقُ
مفسدٌ في الوجود ، غيرُ رشيد

والسعيدُ السعيدُ من عاش كالليل
غريباً في أهل هذا الوحد
ودعيهم يميونَ في ظلمة الإثمِ
وعيشي في طهرِكَ الحمد
كالملاك البريء ، كالوردة البيضاء ،
كالموج ، في الخضمِّ البعيد
كأغاني الطيِّور ، كالشفق الساحر
كالكوكب البعيد السعيد
كنلوج الجبال ، يغمُرُها النور
وتسمو على غبار الصعيد
أنتِ تحت السماء روحٌ جميل
صاغه اللهُ من عبير الورود

وبنو الأرض كالقروود ، وما أضيّعَ عطرَ الورد بين القروود !
أنتِ من ريشة الإلاه ، فلا تُلقي بفنّ السما لجهل العبيد
أنتِ لم تخلفي ليقربكِ الناسُ ولكن لتُعبدني من بعيد . . .

١٥ شوال ١٣٥١

١١ فيفري ١٩٣٣

للغاريخ

البؤسُ لابنِ الشعبِ يأكلُ قلبه
والجهدُ والإثراءُ للأغراب
والشعبُ معصوبُ الجفونِ ، مقسّم
كالشاةِ ، بينِ الذئبِ والقصابِ
والحقُّ مقطوعُ اللسانِ مكبّل
والظلمُ يمرحُ مُذهَبُ الجلبابِ

هذا قليلٌ من حياةِ مُرّة
في دولة الأنصاب والألقاب

٢٠ شوال ١٣٥١

١٦ فيفري ١٩٣٣

صوت من السماء.

في الليل ناديتُ الكواكب ساخطا
متأججَ الآلام والآرابِ :
« الحقلُ يملكه جبابرة الدجى
والروض يسكنه بنو الأربابِ ،
« والنهر ، للغول المقدسة التي
لا ترتوي ، والغاب للحطّاب ،

« وعرائس الغاب الجميلِ هزيلةٌ
ظلمآى لكلّ جنّى وكلّ شرابٍ »
« ما هذه الدنيا الكريمةُ؟ وبلّها !
حقّتْ عليها لعنة الأحقّاب ! »
« الكونُ مُصنّعٌ ، ياكواكبُ ، خاشعٌ
طال انتظاري ، فانظقي بجواب ! »

* * *

فسمعتُ صوتاً ساحراً ، متموّجاً
فوق المروج الفيحِ ، والأعشاب
وحفيف أجنحةٍ ترفرف في الفضا
وصدّى يرُنُّ على سكّون الغاب :

« الفجرُ يولدُ باسمَا ، مُتَهَلِّلاً
في الكونِ ، بين دُجْنَتَيْ وُضْبَابِ ،

١١ ذر القعدة ١٣٥١

٨ مارس ١٩٣٣

٣٨٥ ديوان أبي القاسم الشابي (٢٥)

نكرو صباح

قدس الله ذكره من صباحِ
ساحرٍ ، في ظلال غابِ جميلِ
كان فيه النسيم ، يرقص سكرانا
على الورد ، والنبات البليلِ
وضباب الجبال ، ينساب في رفقِ
بديعٍ ، على مروج السهولِ

وأغاني الرعاة ، تخفقُ في الأغوارِ
والسهلِ ، والربى ، والتلول
ورحابُ الفضاء ، تعبقُ بالأحان ،
والعطرِ ، والضياء الجميل
والملاكُ الجميلُ ، ما بين ريجانِ
وعُشبِ ، وسِنديانِ ظلّيل
يتغنّى مع العصافير في الغاب ،
ويرنو إلى الضباب الكسول
وشعور الملاك ترقص بالأزهار
والضوء ، والنسيم العليل

* * *

'حلمٌ ساحرٌ' ، به حلمَ الغابِ
قواماً لحُلْمه المَسول !

مثل رؤيا تلوح للشاعر الفنان
في نشوة الخيال الجليل

قد تملّيتُ سحرَهُ في أناةٍ
وحنانٍ ، ولذبةٍ ، وذهول

ثمّ ناديتُ ، حينما طفح السّحر
بأرجاء قلبي المتبول

يا شعورٌ تميد في الغاب بالر
يحانٍ ، والنور ، والنسيم البليل

كَبَلّيني بهاته الخُصَلِ المرُخَاةِ
في فتنَةِ الدلالِ الملول

كَبِّلِي يَا سِلَاسِلَ الحُبِّ أَفكَا
ري ، وَأَحْلَامَ قَلِي الضَّلِيلِ
كَبِّلِي بِكَلِّ مَا فِيكَ مِنْ عِطْرِ
وسِحْرِ مَقْدَسٍ مَجْهُولِ
كَبِّلِي ، فَإِنَّمَا يُصْبِحُ الفَنَانُ
حرًّا ، فِي مِثْلِ هَذَا الكَبُولِ

* * *

لَيْتَ شعري ! كَمْ بَيْنَ أَمْوَاجِكَ السَّوِّ
دِ ، وَطَيِّبَاتِ لَيْلِكَ المَسْدُولِ
من غرامٍ ، مُنْذَهَبِ التَّاجِ ، مِينَتِ
وَفؤَادِ مُصَفِّدِ ، مَقْلُولِ

وزهورٍ من الأمانِي تَذوِي
في شحوبٍ ، وخيبةٍ ، وخمول
أنتِ لا تعلمين .. ، والليلُ لا يعلم
كم في ظلامِهِ من قَتيل
أنتِ أَرْجُوحةُ النسيمِ فيلي
بالنسيمِ السعيدِ كلَّ مَمِيل
والبَيْتي للوردِ والظِّلِّ ، والأضواءِ
في عُريِّكَ الجميلِ ، النبيلِ
ودعِي الشمسَ والسَّماءَ تُسَوِّي
لكِ تاجاً من الضياءِ الجميلِ
ودعِي مُزهراً الفصونِ يُغَشِّي
كِ بأوراقِ وَرْدِهِ المطالولِ

* * *

للشعاع الجميلِ أنتِ ، وللأنسا
 مِ ، والزهرِ ، فالعَبِي ، وأطيلي
 ودعي للشقيّ أشواقه الظمأى
 وأوهامَ ذهنِهِ المملول
 يا عروسَ الجبالِ ، يا وردةَ الآ
 مالِ ، يا فتنةَ الوجودِ الجليل
 ليتني كنتُ زهرةً ، تتثنى
 بين طيّاتِ شعركِ المصقول !
 أو فرأشا ، أحومُ حولكِ مسحورا
 غريقاً في نشوتي ، وذهولي !
 أو غصونا ، أحنو عليكِ بأوراقِ
 'حنو' المدلّه المتبول !

أو نسيماً ، أضمُّ صدركِ في رفقٍ
إلى صدريّ ، الحفوقِ ، النحيلِ

آه ! كم يُسعدُ الجمالُ ، ويُشقي
من قلوبِ شعريّةٍ ، وعقول ...

١٢ ذو القعدة ١٣٥١

٩ مارس ١٩٣٣

الرواية الغريبة

ضحكنا على الماضي البعيد، وفي غدٍ
ستجعلنا الأيامُ أضحوكةَ الآتي
وتلك هي الدنيا، روايةٌ ساحريّةٍ
عظيمٍ، غريب الفنِّ، مبدع آياتِ
يمثلها الأحياءُ في مسرح الأسمي
ووسط ضبابِ الهمِّ، تمثيل أمواتِ

ليشهدَ مِنْ خَلْفِ الضَّبابِ فَصُولَهَا
ويضحكُ مِنْهَا مَنْ يمثِّلُ مَا يَأْتِي
وكلُّ يُوَدِّي دَوْرَهُ...، وهو ضاحكٌ
على الغيرِ ، مضحكٌ على دوره العاتي

٢٠ ذر القعدة ١٣٥١

١٧ مارس ١٩٣٣

الصباح الجديد

واسكُتِي يا شجونُ
وزمانُ الجنونِ
مِن وراء القرونِ

* * *

قد دفنتُ الألمَ
لرياحِ العَدَمِ

اسكُتِي يا جِراحُ
ماتَ عهد النِّواحِ
وأطْلُ الصِّباحِ

في فِجاجِ الرّدى
ونثرتُ الدُّموعَ

واقْتَحَدْتُ الحَيَاةُ
أَتَغْنَى عَلَيْهِ
مِعْزَفًا لِلنَّغْمِ
فِي رَحَابِ الزَّمَانِ

* * *

وَأَذْبَتُ الأَسَى
وَدَحَوْتُ الفُؤَادُ
وَالضِّيَا وَالظَّلَالُ
وَالهَوَى وَالشَّبَابُ
فِي جَمَالِ الوجودِ
وَاحَةً لِلنَّشِيدِ
وَالشَّدَى وَالورودِ
وَالمُنَى وَالْحَمَانُ

* * *

اسْكُنِي يَا جِرَاحُ
مَاتَ عَهْدُ النَّوَّاحِ
وَأَطْلُ الصَّبَاحِ
وَأَسْكُنِي يَا شَجُونِ
وَزَمَانَ الجُنُونِ
مِنْ وَرَاءِ القُرُونِ

* * *

معبدٌ للجمال	في فؤادي الرحيب
بالرؤى والخيال	شيدته الحياة
في خشوع الظلال ...	فتلوتُ الصلاة
وأضأت الشموعُ ...	وحرقت البخورُ ..

* * *

خالدٌ لا يزول	إن سحرَ الحياة
من ظلام يحول	فعلام الشكاة
وتمرُّ الفصول ..؟	ثم يأتي الصباح
إن تقضى ربيع	سوف يأتي ربيع

* * *

واسكني يا شجون	اسكني يا جراح
وزمان الجنون	مات عهد النواح

وأطلّ الصّباح من وراءِ القرونِ

* * *

من وراءِ الظلامِ
قد دعاني الصّباح
يا له من دُعَاء
لَمْ يَعدْ لي بقاء
وهديرِ المياهِ
وربيعُ الحياهِ
هزّ قلبي صداهِ !
فوق هذي البقاعِ

* * *

الوداعِ ! الوداعِ !
يا ضبابِ الأسي !
قد جرى زورقي
ونشرتُ القلاعِ ..
يا جبالِ الهمومِ
يا فجاجِ الجحيمِ !
في الخضمِ العظيمِ ...
فالوداعِ ! الوداعِ !

١٣ ذو الحجة ١٣٥١

٩ افريل ١٩٣٣

الحانو السكرو

قد سكرنا بحبنا واكتفينا
يا مدير الكؤوسِ فاصرف كؤوسك
واسكب الخمرَ للعصافيرِ والنحلِ
وخلِ الثرى يَضُمُ عروسك

* * *

مالنا والكؤوس ، نطلب منها
نشوة والغرامُ سحرٌ وسُكرُ !
خللنا منك ، فالربيع لنا ساقٍ
وهذا الفضاءُ كأسٌ وخر !

* * *

نحن نحيا كالطير ، في الأفق الساجي
وكالنجل ، فوق غضّ الزهورِ
لا ترى غيرَ فتنةِ العالمِ الحيّ
وأحلامِ قلبها المسحور ...

* * *

نحن نلهو تحتَ الظلالِ ، كطفلين
سعيدين ، في غرورِ الطفولة

وعلى الصخرة الجميلة في الوادي
وبين المخاوفِ الجهولةِ

* * *

نحن نقدو بين المروج ونمسي
ونفسي مع النسيم المغني
ونناجي روح الطبيعة في الكون
ونُصفي لقلبها المتفني

* * *

نحن مثل الربيع : نمشي على أرضِ
من الزهر ، والبرؤى ، والخيالِ

فوقها يرقص الغرام ، ويلهو
ويغنّي في نشوةٍ ودلال

* * *

نحن نحيا في جنةٍ من جنانِ السحر
في عالمٍ بعيدٍ ... ، بعيدٍ ...

نحن في عُشنا المورّدِ ، نتلو
سورَ الحبِّ للشبابِ السعيد

* * *

قد تركنا الوجودَ للناس ، فليقضوا الحياةَ كيف أرادوا

وذهبنا بلبئه ، وهو روحٌ
وتركنا القشورَ ، وهي جمادُ

* * *

قد سَكِرْنَا بِحَبَّتِنَا ، واكتفينا
طَفَحَ الكَأْسِ ، فاذهبوا يا سُقَاةُ
نحن نحيا فلا نريد مزيدا
حسبنا ما منحنا يا حياةُ

* * *

حسبنا زهرنا الذي نتنشى
حسبنا كأسنا التي نترشفُ

إنّ في ثغرتنا رحيقاً سماويّاً
وفي قلبنا ربّما مفوّفٌ

* * *

أها الدهر ! أها الزمن الجاري
إلى غير وُجْهَةٍ وقرارِ !
أها الكون ! أها الفلك الدوّار
بالفجر ، والدجى ، والنهارِ !

* * *

أها الموت ! أها القدر الأعمى !
قَفِّوْا حيث أنْتُمْ ! أو فسِرُوا

ودعونا هنا : تُفَنِّي لنا الأحلامُ
والحبُّ ، والوجود ، الكبيرُ

* * *

وإذا ما أبيتُمُ ، فاحملونا
ولهيبُ الغرام في شفتينا
وزهورُ الحياة ، تعبقُ بالعطر
وبالسحر ، والصَّبَا في يدينا

٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٢

١٥ سبتمبر ١٩٣٣

إرادة الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ لليل أن ينجلي
ولا بدّ للقيد أن ينكسر
وَمَنْ لَمْ يَعاِنِقْهُ شوقُ الحِياةِ
تَبَخَّرَ في جَوْها ، واندر

فويل لمن لم تَشُقْهُ الحِياةُ
من صفْمةِ العدمِ المنتصرِ
كذلك قالت لي الكائنات
وحدثني روحها المستتر

* * *

ودمدت الرِّيحُ بين الفِجاجِ .
وفوق الجبال وتحت الشجرِ :
« إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ
ركبتُ المنى ، ونسيتُ الحذرُ ،
« ولم أتجنَّبَ وعورَ الشَّعابِ
ولا كُبَّةَ اللَّهَبِ المستمرِ »

«وَمَنْ لَا يَجِبُ صَعُودَ الْجِبَالِ
 يَعْشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَرِ ،
 فَمَجَّتْ بِقَلْبِي دَمَاءُ الشَّبَابِ
 وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيحٌ أُخْر . .
 وَأَطْرَقَتْ ، أَصْفَى لِقِصْفِ الرُّعُودِ ،
 وَعَزَفَ الرِّيَّاحِ ، وَوَقَعَ المَطَرِ

* * *

وقالت لي الأرض-لما سألت : «أيا أمُّ هل تكريهين البشر؟» :
 «أُبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطَّمُوحِ وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الحُطَرِ ،
 وَأَلْعَنُ مَنْ لَا يَمَانِي الزَّمَانَ ، وَيَقْنَعُ بِالْعَيْشِ عَيْشَ الحِجَرِ ،
 هُوَ الكُونُ حَيٌّ ، يَجِبُ الحَيَاةَ وَيَحْتَقِرُ المَيِّتَ ، مَهْمَا كَبُرَ ،
 فَلَ الأَفْتَى يَحْضُنُ مَيِّتَ الطَّيُورِ ، وَلا النِّحْلُ يَلْتَمُ مَيِّتَ الزَّهْرِ ،

« ولولا أمومة قلمي الرؤومُ لما ضمت الميْتَ تلك الحُفْر ،
« فويلٌ لمن لم تشقه الحياة ، من لعنة العدم المنتصر ! »

* * *

وفي ليلة من ليالي الخريف مثقلة بالأسى والضجر
سكرت بها من ضياء النجوم وغشيت للحزن حتى سكرت
سألت الدجى : هل تعيد الحياة لما أذبلته ربيعَ العمر ؟
فلم تتكلم شفاء الظلام ولم تترنم عذارى السحر
وقال لي الغاب في رقّةٍ محبّبةٍ مثل خفتى الوتر :
« يجيء الشتاء ، شتاء الضباب ، شتاء الثلوج ، شتاء المطر ،
« فينطفئ السحر ، سحر الغصون ، وسحر الزهور ، وسحر الثمر ،
« وسحر السماء الشجي ، الوديع ، وسحر المروج الشهي ، العطر ،

«وتهوي الغصون» ، وأوراقها ، وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نضر ،
«وتلهو بها الريح في كل وادٍ ، ويدفها السيلُ ، أنثى عَبْر ،
« ويفنى الجميعُ كحلْمٍ بديع ، تألَّقَ في مهجةٍ واندثر ،
« وتبقى البذورُ ، التي حَمَلَتْ ذخيرةَ عُمرٍ جميلٍ ، غَبْر ،
« وذكري فصولٍ ، ورؤيا حياةٍ ، وأشباحَ دنيا ، تلاشت زَمْر ،
« معانقةً - وهي تحت الضباب ، وتحت الثلوج ، وتحت المدر ،
« لِطَيْفِ الحياة الذي لا يُملُّ ، وقلبِ الربيعِ الشذي الخضر ،
« وحاملةً بأغاني الطيور ، وعِطْرِ الزهور ، وطعمِ الثمر ،

* * *

«ويمشي الزمان ، فتنمو صروف ، وتذوي صروف ، وتحيا آخر ،
« وتصبحُ أحلامها يقظةً ، مُوشَّعةً بغموضِ السحَر ،

«تسائل : أين ضباب الصباح ؟ وِسْحَرُ المساء؟ وضوء القمر؟»
« وأسرابُ ذاك الفَرَاشِ الأنيقِ ؟ ونحلٌ يغني؟ وغيمٌ يمر ؟»
« وأين الأشعةُ والكائناتُ ؟ وأين الحياة التي أنتظر ؟»
« ظمِئتُ إلى النور، فوق الغصون! ظمِئتُ إلى الظلِّ تحت الشجرا،
« ظمِئتُ إلى النبع ، بين المروج ، يغنّي ، ويرقص فوق الزهرا،
« ظمِئتُ إلى نغمات الطيور ، وهَمْسِ النسيمِ ، ولحن المطر،
« ظمِئتُ إلى الكون! أين الوجودُ وأنتى أرى العالمَ المنتظر؟»
« هو الكونُ، خلف سبات الجمود، وفي أفقِ اليقظات الكُبرى،

* * *

« وما هو إلاّ كخفق الجناح حتى نما شوقها وانتصر،
« فصَدَعَت الأرضَ من فوقها وأبصرت الكونَ عذبَ الصُّورِ،

« وجاء الربيعُ بأنعامه ، وألامه ، وصباه العطر ،
 « وقبلها قَبلاً في الشفاء ، تعيد الشباب الذي قد غبَر ،
 « وقال لها: قد مُنِحت الحياةَ ، وخُلِدتِ في نسلِك المدخَر ،
 « وبارككِ النورُ ، فاستقبلي شبابَ الحياةِ وخِصْبَ العُمُر ،
 « ومَن تعبد النورَ أحلامُه ، يُباركُه النورُ أنسى ظهر ،
 « إليكِ الفضاءَ ، إليكِ الضياءَ ، إليكِ الثرى الحالمَ ، المزدهراً ،
 « إليكِ الجمالَ الذي لا يَبِيدُ ! إليكِ الوجودَ الرحيبَ ، النضير ! ،
 « فيدي - كما شئتِ - فوق الحقول ، بجلو الثمار وعضّ الزهَر ،
 « وناجي النسيمَ ، وناجي الغيومَ ، وناجي النجومَ ، وناجي القمر ،
 « وناجي الحياةَ وأشواقها ، وفتنةَ هذا الوجود الأغر ،

* * *

« وشفّ الدجى عن جمالٍ عميقٍ ، يشبُّ الخيال ، ويُنذِكِي الفِكْرَ ،
« ومُدَّ عَلَى الكونِ سِحْرٌ غريبٌ ، يُصَرِّفُه ساحرٌ مقتدرٌ ،
« وضاءت شموعُ النجومِ الوضاء ، وضاع البَحْورُ ، بخورِ الزَّهْرِ ،
« ورفرف روحٌ ، غريبُ الجمالِ بأجنحةٍ من ضياءِ القمرِ ،
« ورنَّ نَشِيدُ الحَيَاةِ المقدَّسِ في هَيْكَلِ حَالِمٍ ، قد سُحِرَ ،
« وَأُعْلِنَ فِي الكونِ : أنَّ الطمُوحَ لَهيبُ الحَيَاةِ ، وروحُ الظفَرِ ،
« إذا طمحتُ للحياةِ النفوسُ فلا بدَّ أنْ يستجيبَ القدرُ ! »

٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٢

١٦ سبتمبر ١٩٣٣

تحت العصون

هنا ، في خمائل الغاب ، تحت الزان ،
والسنديان ، والزيتون
أنتِ أشهى من الحياة وأبهى
من جمال الطبيعة الميمون
ما أرق الشباب ، في جسمك الغض
وفي جيدك البديع ، الثمين !

وأدقّ الجمالَ في طرفكِ الساهي ،
وفي ثغركِ الجميلِ ، الحزين !
وألذّ الحياةَ حينَ تغتئين
فأصفي لصوتكِ المهزون
وأرى رُوحكِ الجميلةَ عطرًا
ضائعًا في حلاوةِ التلحين !
قد تغنّيتِ منذُ حينٍ بصوتِ
ناعمٍ ، حالمٍ ، شجيٍّ حنون
تغمّأ كالحياة . عذابًا عميقًا
في حنانٍ ، ورقّةٍ ، وحنين
فإذا الكون قطعاً من نشيدٍ
علويٍّ ، منغمٍّ ، موزون

فليمن كنتِ تُنشدين ؟ فقالت :
 « للضياء البنفسجي الحزين »
 « للضباب المورّد ، المتلاشي
 كخيالات حالم مفتون
 « للمساء المطل ، للشفق الساجي ،
 لسحر الأسي ، وسحر السكون »
 « للعبير الذي يرفرف في الأفق
 ويفنى ، مثل المنى ، في سكون »
 « للأغاني التي يرددها الراعي
 بمزمارة الصغير ، الأمين »
 « للربيع الذي يؤجج في الدنيا
 حياة الهوى ، وروح الحنين »

« ويوشّي الوجودَ بالسحر ، والأحلام
 ، والزهر ، والشذى ، واللشجون ،
 » للحياة التي تفتني حوالتي !
 « على السهل ، والربى ، والحزون ،
 » للينابيع ، للعصافير ، للظلمة
 لهذا الثرى ، لتلك الغصون ،
 » للنسيم الذي يضمخ أحلامي
 بعطر الأقاح والليمون
 » للجمال الذي يفيض على الدنيا ،
 لأشواق قلبي المشجون ،
 » للزمان الذي يوشح أيامي
 بضوء المئني ، وظلمة الشجون ،

« للشباب السكران ، للأمل المعبود ،
للأس ، للأسى ، للمنون »

* * *

فتنهدتُ ، ثم قلتُ : « وقلبي
مَنْ يَعْنِيهِ ؟ مَنْ يُبِيدُ شَجُونِي ؟ »

قالت : « الحُبُّ » ، ثم غنتُ لقلبي
« قَبْلًا عِبْقَرِيَّةَ التلحين

قَبْلًا ، علمت فؤادي الأغاني ،
وأنارت له ظلام السنينِ

* * *

قَبَلًا ، تَرَقُّصُ السَّعَادَةِ وَالْحُبِّ
 عَلَى لِحْيَا الْعَيْتِقِ الرَّصِينِ
 .. وَأَفْقِنَا ، فَقَلتْ كَالْحَالِمِ الْمَسْحُورِ :
 « تَوَلِي ، تَكَلَّمِي ، خَبِّرِينِي »
 « أَيُّ دُنْيَا مَسْحُورَةٌ ، أَيُّ رُؤْيَا
 طَالَعَتْنِي فِي ضَوْءِ هَذِي الْعَيْونِ :
 « زَمَرٌ مِنْ مَلَائِكِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى
 يَغْنَتُونَ فِي حُنُوءٍ حَنُونِ »
 : وَصَبَايَا رَوَاقِصُ ، يَتَرَاشِقْنَ
 « بَزْهَرِ التَّفْصَاحِ وَالْيَاسْمِينِ »
 « فِي فِضَائِهِ مُوَرِّدٍ ، حَالِمٍ ، سَاهٍ ،
 أَطَافَتْ بِهِ عِذَارِي الْفَنُونِ ،

« وجحيم تَوُجُّ تحت فراديسَ
كأحلام شاعر مجنون ،

« أيُّ خمرٍ مؤجَّجٍ ، ولهيبِ
مُسكِرٍ؟ أيُّ نشوةٍ ، وجنونٍ؟ »

« أيُّ خمرٍ رشفتُ ، بل أيُّ نارٍ
في شفاءِ بديعةِ التكوينِ »

« وردتها الحياةُ في لَهَبِ السَّحَرِ ،
ونُورِ الهوى ، وظلِّ الشجونِ »

« أيُّ إثمٍ مقدَّسٍ ، قد لبسنا
بُرْدَهُ في مسائنا الميمونِ؟ »

فبدًا طيفُ بسمَةٍ ، ساحرٌ ، عذبٌ ، على ثَغْرها ، قويُّ الفتونِ
وأجابتُ - وكلَّها فتنةٌ تُتَغْوِي ، وتُغْرِي بالحبِّ ، بل بالجنونِ - :

«أبدا ! أنتَ حالمٌ ، فاسأل الليلَ ، فعند الظلام علم اليقين ...»

* * *

وسكتنا ، وغردَ الحُبُّ في الغابِ ، فأصغى حتى حفيفُ الغصون
وبنى اللّيلُ والرّبيعُ حوالينا من السّحرِ والرّؤى والسكون
معبداً للجمال ، والحُبُّ شِريتا ، مَشِيداً على فِجاجِ السنين

تحتَه يزخرُ الزّمانُ ويجري

صامتاً في مَسِيهِ المَحزون

وتمرُّ الأيامُ ، والحزنُ ، والموتُ ، بعيداً عن ظلّه المأمون

معبداً ، ساحراً ، مباحرُهُ الزّهْرُ

على الصخرِ ، والثرى ، والغصون

كلُّ زَهْرٍ يَضُوعُ مِنْهُ أَرِيحٌ
من بَخُورِ الرِّبِيْعِ ، جَمُّ الفَتُونِ
وَنَجْمُ السَّمَاءِ فِيهِ شَمُوعٌ
أَوْقَدَتْهَا لِلْحُبِّ رُوحُ القُرُونِ
ومضتْ نَسْمَةٌ تَوَسَّوسُ للغَابِ ،
وتشدُّو في عُمُقِ ذاك السَّكُونِ
وطغى السَّحَرُ ، والغرامُ بِقلبي
فَتوسَّلتُ ضارِعاً يَجفوني :
« طهِّري يا شقيقةَ الرُّوحِ ثَغْري
بَلْهَبِ الحَيَاةِ ، بل قَبْليني ،
« إن نَارَ الحَيَاةِ وَالكَوْثَرَ المَنْشُودَ
في ثَغْرِكَ الشَّهِيِّ » ، الحزِينِ ،

« فهو كأسٌ سحريةٌ لرحيق الخلد
قد صاغها إله الفنون »

« قبّليني، وأسكّرني تسعري الصادي
وقلبي ، وفنتني ، وجنوني »

علّني أستطيع أن أتغنّي
لجمال الدجى بوحى الميمون »

« آه ! ما أجمل الظلام ! وأقوى
وحبّه في فؤادي المفتون ! »

« انظري الليل فهو حلّة الأحلام
يمشي على الذرى والحزون »

« واسمعي الغاب ، فهو قبشارة الكون
تغنّي لحبنا الميمون »

إنَّ سِحْرَ الضَّبَابِ ، وَاللَّيْلِ ، وَالغَابِ
بَعِيدُ الْمَدَى ، قَوِيُّ الْفَتُونِ
« وَجَمَالَ الظَّلَامِ يَعْبَقُ بِالْأَحْلَامِ
وَالْحَبِّ . . . فَابْسَمِي ، وَالشَّمِينِي ،
.

« آهٍ ! مَا أَعَذِبُ الْغَرَامِ ! وَأَحْلَى
رَنَّةَ اللَّثَمِ فِي خَشْوَعِ السَّكُونِ ! »

* * *

... وَسَكَرَانَا هُنَاكَ... فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ
تَحْتَ السَّمَاءِ ، تَحْتَ الْغُصُونِ . .

وتواری الوجود عننا بما فيه ...
وغبنا في عالم مفتون ...
ونسيدنا الحياة ، والموت ، والسكون
ومما فيه من مُنسى ومَنون

١ جمادى الثانية ١٣٥٢

٢١ سبتمبر ١٩٣٣

الى الشعب

- أين يا شعبُ قلبك الخافقُ الحساسُ ؟
أين الطموحُ ، والأحلامُ ؟
أين يا شعبُ ، روحك الشاعرُ الفنانُ ؟
أين الخيالُ والإلهامُ ؟
أين يا شعبُ ، فنك الساهرُ الخلاقُ ؟
أين الرسومُ والأنغامُ ؟

إِنَّ يَمَّ الحِياةَ يَدُوِي حِوَالِيكَ
 فَأَيْنَ المُفَامِرُ المَقْدَامِ
 أَيْنَ عَزَمَ الحِياةَ ؟ لا شِئاً إِلاَّ
 المِوتُ ، وَالصَّمْتُ ، وَالأَسَى ، وَالظُّلَامِ
 عُمُرُ مَيِّتٍ ، وَقَلْبُ خَوَاءٍ ،
 وَدَمٌ لا ثَبِيرَهُ الآلَامِ
 وَحِياةٌ تَنامُ فِي ظِلْمَةِ الوادِي
 وَتَنمو مِن فِوقِها الأَوهامِ
 أَيُّ عَيشٍ هَذا ، وَأَيُّ حِياةٍ ؟ !
 (رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمامِ^(١))
 قَد مَشَتْ حِوَالِكَ الفِصُولُ وَغَنَّتْكَ
 فَلَم تَبْتَهِجْ ، وَلَمْ تَتَرَنَّمْ

(١) عجز هذا البيت للمعني ، صدره :
 ذلٌّ من يغبط الذليلَ بعيثه

ودَوَّتْ فوقك العواصفُ والأنواءُ
 حتَّى أوْشكتَ أن تتعظّم
 وأطافتْ بكَ الوحوشُ وناشتك
 فلم تضطرب ، ولم تتألّم
 يا إلهي ! أما تحسُّ ؟ أما تشدو ؟
 أما تشتكي ؟ أما تتكلّم ؟
 ملّ نهرُ الزّمانِ أيامك الموتى
 وأنقاصَ عمركَ المتهدّم
 أنتَ لا مبيّت فيبلى ، ولا حيّ
 فيمشي ، بل كائنٌ ، ليس يُفْنَهُمْ .
 أبدا يرمق الفراغَ بطرفٍ
 جامدٍ ، لا يرى العوالمَ ، مُظْلِمٍ

أيُّ سِحْرٍ دهاكُ، هل أنتَ محجورٌ
شقيٌّ؟ أو ماردٌ يتهكّمُ؟

* * *

آهٍ! بل أنتَ في الشعوبِ عجوزٌ،
فيلسوفٌ، مُحطّمٌ في إهابِه

ماتَ شوقُ الشبابِ في قلبِه الداوي،
وعزمُ الحَيَاةِ في أعصابِه

فمضى ينشدُ السلامَ ..، بعيداً ...
في « قبورِ الزمانِ » خلفَ هضابِه

وهناكُ، اصطفى البقاءَ مع الأمواتِ،
في « قبرِ أمسه » غيرَ أبيه . .

وارتضى القبرَ مسكنًا ، تتلاشى
فيه أيامُ عُمرهِ المُتَشَابِهِ
وتناسى الحياةَ ، والزَّمنَ الدَّائِي ،
وما كان مِن قديمِ رِغَابِهِ
فَالزَّمِ القبرَ ... فهو بيتٌ شبيهٌ
بكَ في صمتِ قلبِهِ ، وخرابِهِ
واعبدِ «الأمس» واذكِرْ صُورَ المَاضِي
فدُنُوبًا العَجُوزِ ذِكْرِي شَبَابِهِ ..

* * *

وإذا مرّت الحياةُ حوَالَيْكَ
جميلًا ، كالزهر غَضًّا صَبَاها

تتغنى الحياة بالشوق والعزم
فيُحْيِي قلبَ الجمادِ غناها
والربيعُ الجميلُ يرقص فوق
الورد ، والعشب ، مُنْشِداً ، تباها
ومشى الناسُ خلفها ، يَتَمَلَّؤْنَ
جمالَ الوجودِ في مرآها
فاحذَر السَّحْرَ ! أيها الناسُ القَدِيسُ
إنَّ الحياةَ يُغْوي بهاها
والربيعُ الفَنِّانُ شاعِرُها المَفْتونُ
يُغْري بِحَبِّها وهواها
وتَمَلُّ الجمالَ في رَمَمِ الموتى !..
بعيدا عن سحرها وصداها

وتَغزَلُ بِسِحْرِ أَيْتَامِكَ الْأولى
وَحَلَّ الحَيَاةَ تَخْطُو خَطَاهَا

* * *

وإذا هبَّت الطيورُ مع الفجر ،
تُغني بين المروج الجميلة
وتحيي الحياة ، والعالم الحي ،
بصوتِ المحبّةِ المعسولة
والفراش الجميلُ رَفَرَفَ في الروض ،
يناجي زهوره المطولة
وأفاق الوجودُ لِلنعملِ المُجدي
وللسعي ، والمعاني الجميلة

ومشى الناس في الشّعب، وفي الغاب،
وفوق المسالكِ المجهولة
ينشدون الجمالَ، والنشورَ، والأفراحَ
والمجدَ، والحياةَ النبيلةَ
فاغضضِ الطرفَ في الظلامِ! وحاذِرِ
فِتنةَ النشورِ..! فهي رؤيا مهولةٌ
وصباحُ الحياةِ لا يُوقِظُ الموتى
ولا يرحمُ الجفونَ الكليّةَ

* * *

كلُّ شيءٍ يُعاطفُ العالمَ الحيَّ،
ويُذكي حياته، ويُفيدةُ

والذي لا يُجاوب الكونَ بالإحساس
عَبءٌ على الوجودِ وُجودُهُ
كلُّ شيءٍ يُسائِرُ الزمنَ الماشي
بعزمٍ ، حتى الترابُ ، ودودُهُ
كلُّ شيءٍ - إلاك - حيٌّ ، عطوفٌ
يؤنِسُ الكونَ شوقه ، ونَشيدُهُ
فليَماذا تعيش في الكونِ يا صاحِ ا
وما فيكَ من جنىٍ يستفيدُهُ
لستَ يا شيخُ للحياةِ بأهلٍ
أنت داءٌ يُبيدُها وتبيدُهُ
أنت قَفَرٌ جهنميٌّ لَعِينٌ ،
مُظلمٌ ، قاحلٌ ، مُريعٌ جمودُهُ

لا تَرَفُ الحَيَاةُ فِيهِ ، فلا طِيرُ
يُغْنِي ، ولا سَحَابٌ يَجُودُ

* * *

أنتَ يا كاهنَ الظلامِ حَيَاةُ
تَعْبِدُ المَوْتَ ..! أنتَ رُوحُ شَقِي

كافرٌ بالحَيَاةِ والنُّورِ ..، لا يُصْغِي
إِلَى الكونِ قَلْبَهُ الحَجَرِي

أنتَ قَلْبٌ ، لا شوقَ فِيهِ ولا عِزْمَ
وهذا داءُ الحَيَاةِ الدَّوِي

أنتَ دُنْيَا ، يُظِلُّهَا أَفْقُ المَاضِي
وَلَيْلُ الكِتابَةِ الأَبَدِي

مات فيها الزمانُ ، والكونُ إلا
أمسُّها الغابرُ ، القديمُ ، القصيُّ
والشقيُّ الشقيُّ في الأرضِ قلبُ
يَوْمُهُ مَيِّتٌ ، وماضيه حيُّ
أنتَ لا شيءَ في الوجودِ ، فغادره
إلى الموتِ فَهَوَ عَنْكَ غَنِيٌّ

٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٢

١٥ أكتوبر ١٩٥٣

الناس

ما قدسَ المثلَ الأعلىَ وجملكَ
في أعينِ الناسِ إلا أنتَ حلُمُ !
ولو مشى فيهمُ حيًّا لخطمه
قومٌ ، وقالوا بجنثٍ : «إنته صنمُ» !
لا يعبدُ الناسُ إلا كلَّ منعدمٍ
ممنوعٍ ، ولَمَن حابَاهُمُ العدمُ !

حتى العباقرة' الأفذاذ ، 'حُبهم'
يلقى الشقاءَ وتلقى مجدها الرّمم!

* * *

الناس لا ينصفون الحيّ بينهم'
حتى إذا ما توارى عنهم' ندموا!
الويل للناس من أهوائهم ! أبدا
يمشي الزمان' وريح الشر تحتم' ...

٢٠ شعبان ١٣٥٢

٨ ديسمبر ١٩٣٣

متاعب العظمة

إذا صغرت نفسُ الفقِّ كان شوقه
صغيرا ، فلم يتعب ، ولم يتجشم
وَمَن كان جبَّارَ المطامع لم يزل
يلاقِي من الدنيا ضراوةَ قَشعم

٢٣ شعبان ١٣٥٢

١١ ديسمبر ١٩٣٣

نهيذ الجبار

أو هكذا غنى بروميثيوس

سأعيش رغمَ الداءِ والأعداءِ
كالنسر فوق القِمَّةِ الشَّمَاءِ

أرنو إلى الشمسِ المضيئة .. ، هازئاً
بالسُّحُبِ ، والأمطارِ ، والأنواءِ ...

لا أرمقُ الظلَّ الكئيبَ... ولا أرى
ما في قرارِ الهُوَّةِ السوداء ...

وأسيرُ في دنيا المشاعرِ حالماً ،
غرداً - وتلك سعادة الشعراء -

أصغى لموسيقى الحياة ، ووحىها
وأذيب روحَ الكونِ في إنشائي

وأصيحُ للصوتِ الإلهيِّ الذي
يُحيي بقلبي ميتَ الأصدقاء

* * *

وأقول للقدر الذي لا ينثني
عن حرب آمالي بكلِّ بلاء :

- « لا يطفىء المهبَّ المؤجَّجَ في دمي
 موجُ الأسي ، وعواصف الأرزاء »
- « فاهدم فؤادي ما استطعتَ ، فإنَّه
 سيكون مثل الصخرة الصمَّاء »
- « لا يعرف الشكوى الذليَّة والبكا ،
 وصرَّاعةَ الأطفال والضعفاء »
- « ويعيش جبَّارا ، يحدِّق دائما
 بالفجر .. ، بالفجر الجميل النائي »
- « واملأ طريقي بالخاوفِ ، والدُّجى ،
 وزوابعِ الأشواك ، والحصباء »
- « وانشر عليه الرُّعبَ ، وانثر فوقه
 رُجمَ الرّدى ، وصواعقَ البأساء »

« سأظلّ أمشي رغم ذلك ، عازفاً ،
قيثارتي ، مترنماً بغنائي »

« أمشي بروحٍ حالمٍ ، متوهجٍ
في ظلمة الآلام والأدواء »

« النور في قلبي وبين جوانحي
فعلام أخشى السيرَ في الظلماء ؟ »

« إنّي أنا النايُ الذي لا تنتهي
أنغامه ، ما دام في الأحياء »

« وأنا الخِضَمُ الرُحَبُ ، ليس تزيده
إلاّ حياةً سطوةً الأنواء »

« أمّا إذا خدمت حياتي ، وانقضى
عُمري ، وأخرست المنيةُ نائي ،

« وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي
قد عاش مثلَ الشعلة الحمراء »
« فإنا السعيد بأنني مُتَحَوِّلٌ
عن عالم الآثام والبغضاء »
« لأذوبَ في فجر الجمال السرمديّ
وأرتوي من منهلِ الأضواء »

* * *

وأقولَ للجمع الذين تجشتموا
هدمي وودّوا لو يخرُّ بنائي
ورأوا على الأشواك ظلّي هامداً
قتخيلاً أنّي قضيتُ ذمائي

وغدوا يَشْبُونَ اللَّهَيْبَ بِكُلِّ مَا
وجدوا . . . ، ليشووا فوقه أشلائي

ومضوا يمدون الخوان ، ليأكلوا
لحي ، ويرتشفوا عليه دمائي

إنّي أقول لهم - ووجهي مشرقٌ
وعلى شفاهي بسمّة استهزاء - :

« إنَّ المعاول لا تهدُّ مناكبي
والنار لا تأتي على أعضائي ،

« فارموا إلى النار الحشائش . . . ، والعبوا
يا معشر الأطفال تحت سمائي ،

« وإذا تمرّدت العواصف ، وانتشى
باهول قلبُ القبّة الزرقاء ،

« ورأيتموني طائرا مترنماً
فوق الزوابع ، في الفضاء النائي ،

«فارموا على ظليّ الحجارة، واحتفوا
خوفَ الرياحِ الهُوجِ والأنواء ... ،

« وهناك، في أمنِ البيوت، تطارحوا
غَثَّ الحديثِ ، وميَّتَ الآراءِ ،

« وترنموا - ما شتمُ - بشتائي
وتجاهروا - ما شتمُ - بعِدائي ،

« أمّا أنا فأجيبكم من فوقكم
والشمسُ والشفقُ الجميلُ إزائي : ،

مَن جاش بالوحي المقدّس قلبه
لم يحتفل بحجارة الفلتاء ٤

٢٧ شعبان ١٣٥٢

١٥ ديسمبر ١٩٣٣

زوبعة في ظلام

لو كانت الأيام في قبضتي
أذريتها للريح ، مثل الرمال

وقلت : « يا ربح » ، بها فاذمي
وبدّديها في سحيق الجبال ،

« بل في فجاج الموت .. في عالمٍ
لا يرقص النور به والظلال ... »

* * *

لو كان هذا الكون في قبضتي
ألقيته في النار ، نار الجحيم
ما هذه الدنيا ، وهذا الوري
وذلك الأفق ، وتلك النجوم ؟ !
النار أولى بعبيد الأسي ،
ومسرح الموت ، و«عش» الهموم

* * *

يا أيها الماضي الذي قد قضى
وضمه الموت ، وليل الأبد !

يا حاضر الناس الذي لم يَزُلْ !
يا أيها الآتي الذي لم يلد !
سخافةٌ دنياكم هذه
تأهتٌ في ظلمة لا تُحَدُّ !..

٧ رمضان ١٣٥٢

٢٤ ديسمبر ١٩٣٣

الاعتراف

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي
- ومشاعري عمياء بالأحزان -
أنني سأظماً للحياة ، واحتسي
من نهرها المتوهج النشوان
وأعودُ للدنيا بقلبٍ خافقٍ
للحبِّ ، والأفراح ، والألحان

ولكل ما في الكون من صور المنى
وغرائب الأهواء والأشجان
حتى تحركت السنون ، وأقبلت
فتن الحياة بسحرها الفتان
فإذا أنا ما زلت طفلاً ، مولعاً
بتعقب الأضواء والألوان
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها
ضرب من البهتان والهديان
إن ابن آدم في قرارة نفسه
عبد الحياة الصادق الإيمان

٣ ذر القعدة ١٣٥٢

١٧ فيفري ١٩٣٤

قلب الشاعر

كلّ ما هبّ ، وما دبّ ، وما
نام ، أو حام على هذا الوجود
من طيورٍ ، وزهورٍ ، وشذى
وينابيع ، وأغصان تميد

وبجاري ، وكهوف ، وذرى
وبراكين ، ووديان ، وبيد
وضياء ، وظلال ، ودجى ،
وفصول ، وغيوم ، ورعود
وثلوج ، وضباب عابر ،
وأعاصير ، وأمطار تجود
وتعاليم ، ودين ، ورؤى ،
وأحاسيس ، وصمت ، ونشيد
كلها تحيا بقلبي حُرّة
غضة السحر ، كأطفال الخلود

* * *

هنا ، في قلبيَ الرُحْبِ العميقِ
يرقص الموتُ وأطيافُ الوجود

هنا ، تعصف أهوال الدجى
هنا ، تحقق أحلام الورود

هنا ، تهتفُ أصداؤُ الفنا
هنا ، تعزفُ ألحانُ الخلود

هنا ، تمشي الأمانى ، والهوى ،
والأسى ، في موكبِ فخرِ النشيد

هنا الفجر الذي لا ينتهي
هنا الليل الذي ليس يبس

هنا ، ألفُ خضمِّ . ثائرٍ ،
خالدِ الثورةِ ، مجهولِ الحدود

ههنا ، في كلِّ آنٍ تمّعي

صوَرُ الدنيا ، وتبدو من جديد

٢٩ ذر القعدة ١٣٥٢

١٦ مارس ١٩٣٤

إلى طغاة العالم

ألا أيتها الظالم المستبِدُّ
حبيب الظلام ، عدو الحياة

سخرتَ بأنات شعب ضعيف
وكفك مخضوبة من دماه

وسرت تشوّهٌ سِحْرَ الوجودِ
وتبذر شوك الأسي في رباه

* * *

رُوَيْدَاكَ ! لا يخذعنك الربيعُ
وصحوُ الفضاء ، وضوء الصباحُ
ففي الأفقِ الرحب هولُ الظلام
وقصفُ الرعود ، وعصف الرياح
حذار ! فتحت الرماد اللهبُ
ومن يبذر الشوك يجن الجراح

* * *

تأمل ! هنالك .. أنتى حصدت
رؤوسَ الوري ، وزهورَ الأمل

ورويت بالدم قلبَ التراب
وأشربته الدمعَ ، حتى ثمل
سيجرفك السيلُ ، سيلُ الدماء
ويأكلُك العاصفُ المشتعل

٢٣ ذو الحجة ١٣٥٢

٨ افريل ١٩٣٤

الغاب

بيتٌ ، بَنَتْنَه لِي الحَيَاةُ من الشَّدَى ،
والظِّلُّ ، والأضواءُ ، والأنعامُ
بيتٌ ، من السحرِ الجميلِ ، مُشَيَّدٌ
للحُبِّ ، والأحلامِ ، والإلهامِ
في الغابِ سِحْرٌ رائعٌ مُتَجَدِّدٌ
باقٍ على الأَيَّامِ والأعوامِ

وشذى كأجنحة الملائك ، غامض
سَاهِ يُرْفَرَفِ فِي سَكُونِ سَامِ
وجداول ، تشدو بمسول الغنا
وتسير حاملة ، بغير نظام
ومخارف نَسَجَ الزمانُ بساطها
من يابسِ الأوراقِ والأكامِ
وحنًا عليها الدّوحُ ، في جبروتِ
بالظلم ، والأغصانِ والأنسامِ
في الغاب ، في تلك المخارف ، والرثبي ،
وعلى التلّاع الخضرِ ، والآجامِ
كم من مشاعرٍ ، حلوةٍ ، مجهولة
سَكَرَى ، وَمِنْ فِكْرٍ ، ومن أوهامِ

غَنَّتْ، كأصراب الطيور، ورفرفت
 حولي ، وذابت كالذخان ، أمامي
 وَلَكُمْ أَصْغَتْ إِلَى أَنَاشِيدِ الْأَسَى
 وتنهَّدِ الآلامِ والأسقامِ
 وإلى الرياحِ النائحَاتِ كأنَّهَا
 فِي الغَابِ تبكي مَيَّتَ الْأَيَامِ
 وإلى الشَّبَابِ ، مُغْنِيًا ، مُتَرَنِّمًا
 حولي بِالْحَانَ الغَرَامِ الظَّامِي
 وسمعتُ لِلطَّيْرِ ، المَرْدِ فِي الفِضَا
 والسَّنْدِيَانِ ، الشَّامِخِ ، المَتَّسَامِي
 وإلى أَنَاشِيدِ الرِّعَاةِ ، مُرْفَعَةٍ
 فِي الغَابِ ، شَادِيَةً كَسِرْبِ يَمَامِ

وإلى الصدى ، المِراح ، يهتف راقصا
 بين الفجاج الفيح والآكام
 حتى غنّدا قلبي كنّاي ، مُترَعِ
 ثَمَلٍ من الألحان والأنغام
 فشدوتُ باللحن الغريب مُجَنّحاً
 بكآبة الأحلام والآلام
 في الغاب ، دنيا للخيال ، وللرؤى ،
 والشعرِ ، والتفكيرِ ، والأحلام
 لله يومَ مضيتُ أوّلَ مَرّةٍ
 للغاب ، أرزحُ تحت عبء سقامي
 ودخلتُه وحدي ، وحوّلي موكبُ
 هزجٌ ، من الأحلام والأوهام

ومشيته تحت ظلاله مُتَهَيِّبًا
 كالطفل ، في صَمْتٍ ، وفي استسلام
 أرنو إلى الأدْوَا حِ ، في جبروتها
 فاخالها عَمَدَ السَّاءِ أَمَامِي
 قد مسها سِحْرُ الحَيَاةِ ، فأورَقَتِ
 وتَمَايَلَتِ في جَنَّةِ الأحلام
 وأُصِيخُ للصَّمْتِ المَفَكْرَةِ ، هَاتِفًا
 في مسمي بغرائب الأنفام
 فإذا أنا في نَشْوَةِ شِعْرِيَّةٍ
 فَيَأْضِةٍ بِالوَحْيِ والإِهَامِ
 ومشاعري في يَقْظَةٍ مَسْحُورَةٍ

(١)

(١) يباه بالأصل والسودات .

وَسَنَى كِبْقْظَةَ آدَمِ لَمَّا سَرَى
فِي جِسْمِهِ رُوحَ الْحَيَاةِ النَّامِي
وَشَجَّتْهُ مُوسِيقَى الْوُجُودِ ، وَعَانَقَتْ أَحْلَامَهُ فِي رَقَةٍ وَسَلَامِ
وَرَأَى الْفِرَادِيسَ ، الْأَنْبِقَةَ ، تَنْثَنِي
فِي مُتَرَفِ الْأَزْهَارِ وَالْأَكَامِ
وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ ، كَالْأَشْعَةَ فِي الْفَضَا
تَنْسَابُ سَابِحَةً ، بَغِيرِ نِظَامِ
وَأَحْسَ رُوحَ الْكُونِ تَخْفِقُ حَوْلَهُ
فِي الظِّلِّ ، وَالْأَضْوَاءِ ، وَالْأَنْسَامِ
وَالْكَائِنَاتِ ، تَحُوطُهُ بِجَنَانِهَا
وَبِحَبِّهَا ، الرَّحْبِ ، الْعَمِيقِ ، الطَّامِي

حتى تملأَ بالحياةِ كِيَانَهُ
وسعى وراءَ مواكبِ الأيَّامِ
ولرُبِّ صُبْحٍ غائمٍ مُتَحجِّبٍ
في كِلْتَا من زَعزَعٍ وغمَامِ
تتنفَّسُ الدنيا ضباباً ، هائماً
مُتدفِّعاً في أفقهِ المُتْرَامِ
والريحُ تخفقُ في الفضاءِ ، وفي الثرى
وعلى الجبالِ الشَّمْمُ ، والآكامِ
باكرتُ فيه الغابَ مَوْهُونَ القُوى
متخاذِلَ الخطُوطِ والأقدامِ
وجلستُ تحتَ السنديانةِ ، واجماً
أرنبو إلى الأفقِ الكئيبِ ، أمامي

فأرى المبانيَ في الضباب ، كأنها
فِكْرٌ ، بأرض الشكِّ والإبهام
أو عالمٌ ، ما زال يُولدُ في فِضَا
و الكونِ ، بين غياهِبٍ وِسادِ
وأرى الفجاجَ الدامساتِ ، خلالهُ
ومشاهدَ الوديانِ والآجامِ
فكأنها شَعْبُ الجحيمِ ، رهيبَةٌ
ملفوفةٌ في غُبْشَةٍ وظلامِ
'صَوْرٌ' ، من الفنِّ المُرْوَعِ ، أعجزتِ
وَحْيَ القريضِ وريشةَ الرسّامِ
ولكُم مَسامٍ ، حالمٍ متوشّحِ
بالظِلِّ ، والضوءِ الحزينِ الدامِ

قد سرتُ في غابي ، كفكرٍ هائمٍ
في نشوةِ الأحلامِ والإلهامِ
شعري ، وأفكاري ، وكلُّ مشاعري
منشورةٌ للنُّورِ والأنسامِ
والأفقُ يزخرُ بالأشعةِ والشدَى
والأرضُ بالأعشابِ والأكمامِ
والغابُ ساجٍ ، والحياةُ مصيخةٌ
والأفقُ . والشفقُ الجميلُ أمامي
وعروسُ أحلامي تُداعبُ عودَها
فيرانٌ قلبي بالصدَى وعِظامي
روحٌ ، أنا مسحورةٌ ، في عالمٍ
فوق الزمانِ الزاخرِ الدوامِ

* * *

في الغاب ، في الغاب الحبيب ، وإنه
حَرَمُ الطَّبِيعَةِ وَالْجَمَالِ السَّامِي
طَهَّرْتُ فِي نَارِ الْجَمَالِ مِشَاعِرِي
وَلَقِيتُ فِي دُنْيَا الْخَيَالِ سَلَامِي
وَنَسِيتُ دُنْيَا النَّاسِ ، فِي سَخَافَةٍ
سَكَّرَى مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْآثَامِ !
وَقَبَسْتُ مِنْ عَطْفِ الْوُجُودِ وَحُبِّهِ
وَجَمَالِهِ قَبْسًا ، أَضَاءَ ظَلَامِي
فَرَأَيْتُ أَلْوَانَ الْحَيَاةِ نَضِيرَةً
كَنَضَارَةِ الزَّهْرِ الْجَمِيلِ النَّامِي
وَوَجَدْتُ سِحْرَ الْكُونِ أَسْمَى عُنْصُرًا
وَأَجَلَ مِنْ حَزْنِي وَمِنْ آلامِي

فَاهَبْتِ مَسحورَ المشاعر ، حالماً
نشوانَ بالقلب الكئيب الدامي :

« المعبدُ الحيُّ المقدّسُ ههنا !
يا كاهنَ الأحزان والآلام ،
فاخلعْ مُسُوْحَ الحزن تحتِ ظلاله
والبسْ رداءَ الشّعير والأحلام »

« وارفعْ صَلاتَكَ للجِمال ، عميقةً
مشبوبةً بحرارة الإلهام ،
« واصدحْ بألحان الحياة ، جميلةً
كجمال هذا العالم البسام ،
« واخفقْ مع العِطر المرفرفِ في الفضا
وارقصْ مع الأضواء والأنسام ،

« ومع الينابيعِ الطليقةِ والصدى ،

..... ، (١) »

وذروتُ أفكاري الحزينةَ للدجى

ونثرتها لعواصف الأيتامِ

ومضيتُ أشدُّو للأشعةِ ساحراً

من صوت أحزاني ، وبطش سقامي

وهتفتُ : « يا روحَ الجمالِ تدفَّقِي

كالنَّهرِ في فِكْرِي ، وفي أحلامي ،

« وتغلغلي كالنور ، في روحي التي

ذَبَلْتِ من الأحزانِ والآلامِ ،

(١) بياض بالأصل والمسودات .

«أنتِ الشعورُ الحيُّ يزخر دافقاً كالنّار، في روح الوجود النامي،
«ويصوغ أحلام الطبيعةِ فاجعلي، عمُري نشيداً ساحراً الأنغام،
«وشذَى بَضُوعٍ مع الأشعة والرؤى
في معبد الحقّ الجليل السامي،

١٠ ربيع الثاني ١٣٥٣

٢٣ جويلية ١٩٣٤

حرم الامومة

الأمُ تلثمُ طفلَها ، وتضمُّه
حرمٌ سماويُّ الجمالِ مقدسٌ
تتألمُّه الأفكارُ ، وهي جوارءُ
وتعود طاهرةً هناك الأنفُسُ
حرمٌ الحياة بظهرها وحنانها
هل فوقه حرمٌ أجلُّ وأقدسُّ ؟

بوركتَ يا حَرَمَ الأُمومةِ والصُّبَا
كَم فِيكِ تَكتمَلُ الحِياةُ وتَقْدُسُ

٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣

٣ اوت ١٩٣٤

شكوى ضائعة

يا ليل! ما تصنع النفس التي سكنت
هذا الوجود، ومن أعدائها القدر؟
ترضى وتسكت؟ هذا غير محتمل!
إذا، فهل ترفض الدنيا، وتنتعمر؟
وذا جنونٌ لَمَمَرِي، كلُّه جَزَعٌ
باك، ورأيٌ مريضٌ، كلُّه خَوَرٌ!

فإنّما الموت ضربٌ من حبائله
لا يُفْلَت الخَلْقُ ما عاشوا، فما النظر؟

هذا هو اللغزُ، عمّاهُ وعقَدَهُ
على الخَلِيقَةِ وحشٌ فاتكٌ حذرٍ

قد كَبِلَ القدرُ الضاري فرائسَه
فما استطاعوا له دفعا، ولا حَزَرُوا

وخاطَ أعينَهُم، كي لا تشاهدَه
عينٌ، فتعلمَ ما يأتي وما يذر

وحاطهم بفتونٍ من حبائله
فما لهمّ أبداً من بطشه وزر

لا الموت يُنقِذهم من هولِ صولته
ولا الحياةُ. تَسَاوَى الناسُ والحجر!

حَارَ المساكينُ، وارتاعوا، وأعجزهم
 أن يحذروه ، وهل يُجديهم الحذر
 وهم يعيشون في دنيا مشيدةٍ
 من الخطوب ، وكونِ كلِّه خطرٌ ؟
 وكيف يحذر أعمى ، 'مدلج' ، 'تعب' ،
 هولَ الظلام ، ولا عزمٌ ولا بصَرٌ ؟
 قد أيقنوا أنه لا شيء يُنقذهم
 فاستسلموا لسكون الرعب ، وانتظروا .
 ولو رأوه لسارت كي تحاربهُ
 من الورى زُمرٌ ، في إثرها زمر
 وقات الجنّ ، والأملاك ناقمةً
 والبحرُ ، والبِرّ ، والأفلاك ، والعُصُر

لكنه قوةٌ تُملِي إرادتها
سراً ، فَفَعَنُوا لها قهراً ، ونأتمرُ
حقيقة مرّةٌ ، يا ليل ، مُبَغِضَةٌ
كالموت ، لكن إليها الوردُ والصدرُ

* * *

تنهَدَ الليلُ ، حتى قلت : «قد نُثِرَتِ»
تلك النجومُ ، ومات الجنُّ والبشرُ
وعاد للصمت .. ، يُصغى في كتابته
- كالفيلسوف - إلى الدنيا ، ويفتكرُ ..
وقهفهَ القدرُ الجبارُ ، سخريةً
بالكائنات . تَضاحَكَ أيُّها القدر !

تمشي إلى العدم المحتوم ، باكيةً
طوائفُ الخلق والأشكالُ والصور

وأنت فوقَ الأسى والموتِ ، مبتسمٌ
ترنو إلى الكونِ ، يُبنى ، ثمّ يندثر

٢٣ ربيع الثاني ١٣٥٣

٥ اوت ١٩٣٤

الدنيا الميتة

إنّني أرى .. ، فأرى جموعاً جَمَّةً
لكنّها تحيا بلا النّبابِ
يَدوي حوالبها الزمان ، كأنّما
يَدوي حوالبها جندلٍ و تراب
وإذا استجابوا للزمان تناكروا
وتراشقوا بالشوك والأحصاب

وقضوا على روح الأخبوة بينهم
جهلا وعاشوا عيشة الأعراب
فَرِحَتْ بهم غولُ التعاسة والفنا
ومطامعُ السُّلابِ والغلابِ
لَعَبٌ، تحرَّكها المطامعُ، واللَّهِي
وصفثرُ الأحقادِ والآرابِ
وأرى نفوسا من دُخانِ جامدٍ
مَيَّتِ، كأشباحِ، وراءِ ضبابِ
موتى، نَسُوا شوقَ الحياةِ وعزمَها
وتحرَّكوا كتحريكِ الأنصابِ
وَخَسًا بهم لَهَبُ الوجودِ، فما بقُوا
إلاَّ كمحترقٍ من الأخشابِ

لا قلبَ يفتحمُ الحياةَ ، ولا حجى
يسمو سُمُوَّ الطائرِ الجوّابِ
بل في الترابِ الميّتِ ، في حزنِ الثرى
تنمو مشاعرهم مع الأعشاب
وتموت خاملةً ، كزهريّ بائس
ينمو وينبُئ في ظلامِ الغابِ
أبدا تُحدّقُ في الترابِ .. ، ولا ترى
نورَ السماءِ . ، فروحها كتراب .. !
الشاعرِ الموهوبُ يُهرِقُ فنّه
مدرأً على الأقدامِ والأعتابِ
ويعيش في كونٍ عقيمٍ ، ميّتٍ ،
قد شدّته غباوةُ الأحقابِ .

والعالمُ النَّحْريرُ يُنْفِقُ عُمرَهُ
في فهمِ أَلْفاظِ ، ودرسِ كتابِ
يحيَا على رِمَمِ القَدِيمِ المُجْتَمَوِي
كالذُّودِ في حَمِّ الرَّمَادِ الخَابِي
والشَّعبِ بَيْنَهَا قَطِيعٌ ضَائِعٌ
دُنْيَا دُنْيَا مَأْكُلٌ وَشَرَابٌ

* * *

الويلُ للحَسَّاسِ في دُنْيَاهُمْ
مَا ذَا يَلَاقِي مِنْ أَسَىٍّ وَعَذَابٍ !

٢٨ ربيع الثاني ١٣٥٣

١٠ اوت ١٩٣٤

فلسفة الشعبان المقدس

فلسفة الشعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان . وكما تحدث الشعبان في القطعة التالية الى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول ان يزين له الهلاك الذي اوقعه فيه ، فسماه « تضحية » وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس ...

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب الى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حيثما تحاول ان تسوغ

طريقتها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزاتها القومية
فتسميها: « سياسة الادمج » وتكلم عنها كالسبيل
الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب اذا ارادت
نيل حقوقها في هذا العالم ، وبلوغ الكمال الانساني
المنشود ، ولكن الفناء حقيقة شنيعة . مبغضة ، لا
ينقض من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة
والشعر من خيال واحلام .

كان الربيعُ الحيُّ روحاً ، حالماً
غضَّ الشبابُ ، معطرَ الجلبابِ
يمشى على الدنيا بفكرة شاعرٍ ،
ويطوفها في موكبِ خلاّبِ
والأفقُ يملأه الحنانُ ، كأنه
قلبُ الوجودِ المنتبجِ الوهّابِ

والكون من طُهرِ الحياة كأنما
هُوَ معبدٌ ، والغابُ كالمحرابِ
والشاعرُ الشحرورُ يرقصُ ، منشدا
للشمس ، فوقَ الوردِ والأعشاب
شعرَ السعادة والسلام ، ونفسه
سَكْرَى بسِحْرِ العالمِ الخلابِ
ورآه ثعبانُ الجبال ، فغمه
ما فيه من مَرَحٍ ، وفَيْضِ شباب
وانقضَّ ، مُضْطَفِنًا عليه ، كأنه
سوطُ القضاء ، ولعنةُ الأربابِ
بُغِتَ الشقيُّ ، فصاح في هول القضا
متلفئنا للصائل المنتاب

وَتَدَفَّقَ الْمَسْكِينُ بِصَرَخٍ ثَائِرًا :
 « ماذا جنيتُ أنا فَحَقَّ عِقَابِي ! »
 « لا شيءَ ، إلاَّ أَنْتَنِي مَتَغَزَّلٌ »
 بالكائنات ، مَغْرَدٌ فِي غَايِ ،
 « وسعادة الضعفاءِ جُرْمٌ .. ، ماله
 عند القويِّ سوى أشدَّ عِقَاب ! »
 « ألقى من الدنيا حنانا طاهرا
 وأبثَّها نجوى الحبِّ الصَّابِي ،
 « أبعدُ هذا في الوجود جريمةٌ ؟ !
 « أين العدالةُ يا رفاؤَ شَبَابِي ؟ »
 « لا [أين ؟] ، فالشرعُ المقدَّسُ ههنا
 رَأْيُ القويِّ وفكرةُ الغلاب ! »
 « وسعادة الضعفاءِ جُرْمٌ .. ، ماله
 عند القويِّ سوى أشدَّ عِقَاب ! »

« ولتشهد الدنيا التي غَنَيْتُهَا
حلمَ الشباب ، وروعةَ الإعجاب

« أنّ السلامَ حقيقةٌ مَكْذُوبَةٌ
والعدلَ فلسفةُ اللّهبِ الخابي »

« لا عدلَ ، إلّا إنْ تعادلتِ القوَى
وتصَادَمَ الإرهابُ بالإرهابِ »

فتَبَسَّمُ الثعبانُ بِسَمَةِ هازيٍ
وأجاب في سَمْتِ ، وفَرَطِ كِذَابِ :

« يا أيها الغيرُ المثرثرُ ، إنثني
أرثي لثورة جهلك التلابِ »

« والغيرُ يعذره الحكيمُ إذا طغى
جهلُ الصِّبَا في قلبه الوثابِ »

« فاكبح عواطفك الجوامح ، إنَّها
« شردت بلبثك ، واستمع لخطابي »

« إنِّي إلهٌ ، طالما عبدَ الوري
« ظلِّي ، وخافوا لعنتي وعقابي »

« وتقدّموا لي بالضحايا منهم
« فرحين ، شأنَ العابِد الأواب ،

« وسعادةُ النفسِ التقيّةِ أنّها
« يوماً تكونُ ضحيّةَ الأرباب ،

« فتصير في رُوحِ الألوهةِ بضعةً
« قدسيّةً ، خلصت من الأوشاب»

« أفلا يسرُّك أن تكون ضحيّتي
« فتحلّ في لحمي وفي أعصابي ،

« وتكونَ عزما في دمي ، وتوهجاً
 في ناظرَيَّ » ، وحِدةً في نابي ،
 « وقدوبَ في روحي التي لا تنتهي
 وتصيرَ بعضَ ألوهتي وشبابي ..؟ »
 « إنني أردتُ لك الخلودَ مؤلّها
 في روحيَ الباقيَ على الأحقاب .. »
 فكثرَ ، لتدركَ ما أريدُ ، وإنه
 « أسمى من العيش القصيرِ النابي »
 فأجابه الشحرورُ في غصصِ الردى
 « والموتُ يخنقه : « إليكَ جوابي : »
 « لا رأيَ للحقِّ الضعيفِ ، ولا صدَى ،
 « والرأيُ ، رأيُ القاهرِ الغلاب »

« فافعلْ مشيئتَكَ التي قد شئتَهَا
وارحمْ جلالَكَ من سماعِ خطابي »

* * *

وكذاك تتخذ المظالمُ منطقاً
عذبا لتخفي سوءةَ الآراب

٩ جمادى الأولى ١٣٥٣

٢٠ أوت ١٩٣٤

قال قلبي لاله (١)

في جبال الهموم أنبتت أغصاني ،
فرفت بين الصخور بجهد
وتغشاني الضباب .. ، فأورقت
وأزهرت للعواصف وحدي

(١) القصيدة في الأصل المخطوط بغير تاريخ .

وتمايلتُ في الظلام ، وعطرتُ
فضاء الأسي بأنفاس ورددي
ويعجد الحياة ، والشوقِ غَنِيَّتْ ..
فلم تفهم الأعاصير قصدي
ورمتُ للوهاد أفناني الخُضْرَ ،
وظللتُ في الثلج تحفر لحدي
ومضتُ بالشذي فقلت : « سبني
في مروج السماء بالعِطْر مَجْدِي »
وتَفَزَلتُ بالربيع ، وبالفجر
فماذا ستفعل الريح بعدي ،

زبير العاصفة (١)

تسألني : « ما لي سكتٌ ، ولم أهيبُ
بقومي ، وديحورُ المصائب مظلُمٌ ،
وسيل الرزايا جارفٌ ، متدفعٌ
غضوبٌ ، ووجه الدهر أريدُ ، أقتمُ؟ »

* * *

(١) القصيدة في الأصل المخطوط بغير تاريخ .

سكتُ ، وقد كانت قناتيَ عضةً -
تُصبِحُ إلى همسِ النَّسيمِ ، وتحلُمُ
وقلتُ ، وقد أصغتُ إلى الريحِ مرّةً
فجاش بها إعصاره المتهمزُ
وقلتُ وقد جاش القريضُ بخاطري
كما جاش صخّابُ الأواذي ، أسحم :

* * *

« أرى المجد معصوبَ الجبينِ مُجدّلاً
على حَسَكِ الآلامِ ، يغمره الدمُ ،
« وقد كان وضّاحِ الأساريرِ ، باسمًا
يهبُ إلى النجلى ، ولا يتبرّم ،

* * *

« فيما أيتها الظلم المصعّر خدّه
 رويدك ! إنّ الدهر يبني ويهدم ،
 « سيشار للعزّة المحطّم فاجبه
 رجالٌ إذا جاش الردى فهمُ همُ »
 « رجالٌ يرون الذلّ عارا وسبّةً
 ولا يرهبون الموت ، والموتُ مُقدم ،
 « وهل تعتلي إلاّ نفوسُ أبيّةٍ
 تُصدّع أغلالَ الهوانِ ، وتَسَحِطِمُ ،

أياك

إِيَّاكَ وَالتَّحْدِيقَ مِنْ
خَلَلِ الْبَرَاقِعِ لِلنَّحْوَرِ
وَتَطَاوُلِ الْأَعْنَاقِ نَحْوِ جَمَالِ رَبَّاتِ الْخَفَرِ
فَالْحَبِّ فِي طَفْيَانِهِ
كَالسَّيْلِ إِمَّا بِهِمْ
فَلَقَدْ حَسَوْتُ زُعَافَهُ
وَوَخَّيَّرْتُ مِنْ الْمُسْتَدْتَرِ

كهرباء الغرام

كَهْرَبَاءُ الْغَرَامِ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْمِ ، وَتِيَارُهُمَا بَسْلُكَ الْجَفُونَ
يُرْسِلُ اللَّحْظَ لِلْقُلُوبِ كَنُورٍ
فَإِذَا مَسَّهَا فَنَارُ الْمَنُونِ
فَإِذَا مَا انْجَلَى نَقَابُ الْأَمَانِي
صَارَ صَبَاً ، مُدَلِّهَا ، ذَا فَتُونِ
يَقْرَعُ السَّنَّ حُرْقَةً وَابْتِهَالًا
وَيَصِيرُ الْحُبُورُ لَيْلَ شَجُونِ

صِيحَةُ الْحَبِّ

نَسْمَةٌ هَبَّتْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ
نَفَخَتْ فِي نَائِي أَحْزَانِ الْخَلْدِ
ضَاقَ صَدْرِي، مِنْ جَرَّأِهَا، وَاسْتَعْرَبُ
وَأَرَاقِ الْوَجْدِ آسَادِ الْجُلْدِ
كَيْفَ لِي بِالصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ انْدَثَرُ
تَحْتَ أَقْدَامِ الْجَوَى، لَمَّا اتَّقَدُ

كيف لي ...؟ والحبّ لا يبقي على
جَلَدِ القلب ، بأشواق الهيام

كيف لي ...؟ والحبّ قد زاد إلى
صَعَقَاتِ الحزن أناتِ السَّقَامِ

آه ! كم تُلجِدُ أوهامُ الصَّبَا
في قبورِ الحبّ ، من قلبِ بَشِيرُ

آه ! كم تُبكي أفانينُ الرَبَى
كلّ صبّ بابتساماتِ الزّهْرُ

آه ! كم تخدع الحَاظُ الطَّبَا
كلّ صبّ ، بسوادِ وحوْرُ

آه ! أوّادُ ! وهليل تنفمعي
 إنّمَا « آه » كسرّناتِ الصّدَى
 يَا فتاتي ! هل تُلبّي دعوةً
 صعدتُ من غورِ أعماقِ الفؤادِ ؟
 رفرفتِ والحبّ ، وهنا ، خلصة
 من عيون الدهرِ ، في ليلِ الحِدادِ
 سكبتها الرّوحُ ، ليلا ، نغمه
 في جلالِ الكونِ ، في صمتِ العبادِ
 بحياةِ الحبّ ، لبّي دعوتي
 وابعثي روحك للرّوحِ الحزينِ
 لا تخافي ، فالدجى يرجو التي
 جرّعتنه الحبّ في كأسِ السكونِ

يَا عروسَ الحبِّ ، هَيَّا واخلمي
من جفوني الدَّامِيَات الأرقا

واذكري أصوات قلبي ، واسمعي
مهجتي الظمياءَ أنغامَ اللِّقَا

اودعيني في عذابي ، واسرعي
واحذري أن تسمعي صوت الشُّقَا

يا فتاتي ذكّري اللّيلَ بما
نَفَثَتْهُ الرّوحُ في صدر الظّلامِ

واسألِي أملاكَ حُبِّي في السما
عن خشوعي ، وابتسامي للِسَّقَامِ

كَمْ سَمِعْتُ اللَّيْلَ يَمْشِي هَامِيسًا
فِي خُشُوعِ الْكُونِ أَنْتِ الشُّعُورُ

وَهَدْوُهُ اللَّيْلَ يَسْمَى حَارِسًا
لِمَلَاكِ الْحُبِّ ، فِي صَدْرِ الْأَثِيرُ

وَفؤَادِي إِذْ تَوَلَّاهُ الْأَسَى
يَقْتَفِي الْآثَارَ فِي ظِلِّ الصَّدُورُ

كَمْ سَمِعْتُ اللَّيْلَ ، وَاللَّيْلَ اخْتَفَى
فِي ضَبَابِ الْفَجْرِ ، كَالطَّيْرِ الْأَصَمُّ

يَسْكُبُ الْحُبَّ بِأَلْحَانِ الْوَفَا
بَاكِيًا بِالْدمْعِ ، مِنْ جَفْنِ الْأَلَمِّ

وَعُودُ الْغَوَانِي

عَلَّمْتَنِي بَارْتِشَافَ الضَّرْبِ
مِنْ جَنَى ثَغْرِ جَمِيلِ أَشْنَبِ

قَدْ تَحَلَّى طَلْعُهُ مِنْ ظَلَمِ
يَخْلُبُ اللَّبَّ بِنِظْمِ الْحَبِّبِ

فإذا القولُ سرابٌ لامع
وإذا الوعدُ كبرقٍ كُخبِ
وإذا المربعُ قاعٌ صَفَصَفَ
مقفرٌ ، إلا بَرَثَ الطَّنَبِ

؛

ليلة عند الحبيب

أنا مأسورٌ لِذاتِ الحُجُبِ
بِنِبالِ صُوبتِ عن كَتَبِ
كاعِب ، هيفاء ، بَضِّ ، طِفلة
دُميَّة منها جَميعُ العَجَبِ
خَطرت تَمشي بروضِ زاهرِ
مَشية الخيلِ بِوَحْلِ السَّببِ

ورنت نحوي بطرفٍ فاترٍ
ينفت السّحر يحفنٍ أهدبٍ

ونبالٍ صوّبتّها ، جمّة
نحو قلبي الهائم المضطربٍ

ترسل اللّيلَ بفرعٍ فاحمٍ
ضاع من جنّحه نشرُ الزونب

لستُ أنسى ليلةً حالكةً
سُرّيلتُ زرقاؤها بالسحب

كبيستُ ثوبَ ظلامٍ دامسٍ
وسكونٍ هائلٍ ذي رهَبٍ

ليلةً قد خضتها ، منفردا
في دياجى جوف ذاك الغيب
سار بي مهريَ فيها عنقا
وزمانا سيره ذو خببِ
عاديابي ، متها ، أو مُنجدا
حاذفا نحر الفضا بالحصبِ
فمشوتُ النارَ في صدر الحمى
وحدها تخفق بين الحُجبِ
فدخلتُ الحمى ، والسترُ الدجى
وولجتُ الحذرَ واللئيل صبي

ورفعتُ السُّتْرَ ، فافتَرَّ الدَّجَى
عَنْ جَمَالِ سَاحِرٍ مُحْتَجِبِ

فَقَضِينَا لَيْلَةَ ، جَادَتْ بِهَا
رَاحَةُ الدَّهْرِ ، الضَّمِينِ الْقَلْبِ

تَحْتَ ظِلِّ الْحُبِّ ، اللَّيْلِ الَّذِي
ضَمَّنَا فِي كَفِّهِ ، يَسْخَرُ بِي

هَكَذَا ... حَتَّى إِذَا رَوَعْنَا
ذَنْبُ الصَّبْحِ ، كَذَنْبِ الْعَقْرِبِ

قَبَلْتَنِي ، وَلَهَيْبُ الْأَلَمِ الْمَرِّ فِي مَدْمَعِهَا الْمُنْسَكِبِ
مِثْلَ طَلِّ ، فَوْقَ وَرْدٍ ، وَيَلْتِي !
مِنْ جَرَى طَلْعَةِ ذَاكَ الذَّنْبِ

ثمّ قالت : يا حبيبي ! سرّ علي
كلامِ الرَّحمان ، في المنقلب

فتودّعنا ، وكلّ قلبه
في جحيم مؤلم ، ملتهب .

ليت شعري

مَزَّقَتْ ثُوبَ سَكُونِ اللَّيْلِ أَنْتَ كَلِيمُ
بَيْنَ طِيَّاتِ سِجَافِ الْغَاسِقِ ، الدَّاجِي الْبَهِيمُ
حَرَكْتُ مَنْسِي شَعُورًا
كَأَنَّ مِنْ قَبْلُ رَمِيمُ
فَتَحَسَّنْتُ مَكَانَ الصَّوْتِ ، فِي ذَاكَ الْأَدِيمُ

فَإِذَا بِالْأَرْضِ مُلْقَى
هَيْكَلٌ نِضْوٌ كَلْسُومٌ

عَفَّرَتْهُ التُّرْبُ وَالْعَيْنُ عَلَى الْخَدِّ سَجُومٌ
فَتَأَمَّلْتُ مَلِيًّا

وَجْهَهُ تَحْتَ الْعِيَوْمِ
فَإِذَا الْمُلْقَى بَوَادِي

وطني جِسْمٌ الْعِلْمُ !

يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هُبُّوا
طَالَ الْوُجُومُ فَلَقْد

وَانْهَضُوا نَهْضَةً جَبَّارَةً
بِعِزْمٍ مُسْتَقِيمٍ

لستُ أبغي نهضة العَاجِيزِ يَتَلُوها الحُسومُ
لَيْتَ شعري ! هل سحابُ
الجهل تَذرُوهُ العقيمُ ؟
فترى الأعينُ بَدَرَ العلم
قد سَقَّ الغيومُ ؟
لَيْتَ شعري ! يَا بلادي
هل تصَافيكِ العلومُ ؟

هو سكون الليل

أيتها الليل الكئيب !
أيتها الليل الغريب !
من وراء الهول ، من خلف نقاب الظلمات
في خلاياك تراءت لي أحزان الحياة
ها أنا أرنو فألفيك كجبارٍ حطيمٍ
ساكنا ، جلدك الحزن ، وأضناك الوجوم

هاجما طافَتْ بِأَعْشَارِكَ أَحْلَامَ غَضَابِ
صامتًا ، تصفي لأنات الأسي ، والانتحابِ

رَابِضًا كَالهول في إحدى زوايا الهاوية
ساكبًا في راحة الفجر ، الدُموع الدامية

ضَلَّ مَنْ سَمَّاكَ ، يَا لَيْلَ بْنِي الْحَزْنِ ، يهيم
إنَّمَا أَنْتِ بِمَا تحويه من شَجْوٍ ، رحيمٍ

ما الذي خلف الغيومَ ... ؟

ما الذي خلف النجومَ ... ؟

ما الذي يَكْتُمُهُ الدهرُ ، ويخفيه الغدُّ ؟

ما الذي يحجبه غيم الحياةِ ... الأربَدُ ؟

ما الذي خلفك يَا لَيْلُ ! أَوَيْلُ أم سلام ؟

ما الذي خلفك؟ يَا لَيْلُ ! أنورُ ؟ أم ظلام ؟

هل سيبدو الفجرُ بَسَامًا ، كَعَذراءِ الخُلُودِ ؟
قَالِيَا أَنشُودَةَ الحَبِّ ، على سمعِ الوجودِ ؟

أمْ سيبدو مِنْ وراءِ الأُفُتقِ ، جَبَّاراً عَنيدُ
يُنْذِرُ الأَيَّامَ بالشرِّ ، وبالهولِ المرِيدُ ؟

هل سيبدو الفجرُ ، يا ليلُ ! إذا جاء الغدُ
وجناحاه إذا رَفَّ اللَّهيبُ الأسودُ ؟

أَيْهَا القلبُ الدهاقُ
بشجون لا تطاقُ
أَيْهَا المحزونُ يا شاعرِ الدهرِ الكئيبِ
إنَّمَا أنشودةِ الدهرِ نواحُ ، ونحيبُ

هَيَّا يَا لَيْلُ لِنَسْعَى نحو هاتيكِ الفلاةِ
حيث تقضي بسكون ، زاهراتِ ناضراتِ

إن ما بين أزاهير الفلاة الواجيمه
شاعرا أبناسه حزن الحياة السامه
وعلى التثرّب ، الذي اخضلت بأنداء الغمام
خطّ : « دعني في سباتي وعلى الدنيا السلام »

الى البلب

أَيْهَا البلب يا شاعر أحلام الربيع
غَنَّنِي إنَّ على صوتك أنداءَ الدموعِ
غَنَّنِي فهو يريني أملَ القلب الصريعِ
تائهَ الفكرِ يناجي حيرةَ الفكرِ الشريدِ
بخشوعٍ وسكونٍ وحنينٍ
يتكلَّمُ

انفضّ الطلّ ففي الطلّ حياة حائره
شردّتها عن فؤاد الليل كفّ جائره
وتفرّد إن للوردة عينا فاتره
أغمضتها راحة الليل فقد هبّ الصباح
إنما أنت حياة ساحره

تترنّم

رقتل التفريده شعرياً على سمع الزهور
واترك الرقة تهفو حول أوراد الغدير
فعروس النهر قد هبت يناعيها الخريف
وتصبّت نسمة الفجر الشعاع المستطير
مثل هفّاف الغيوم السابح

في ضحاها

إنّ ألمان الظلام اثره المكتئبه
تتوارى بسكون خلف تلك الأسجابه
سئم الورد أنين اللوعة المنتعبه
فانشد اللحن رخيمًا يطرب الكون رنيمه
وادفن الحسرة في اللحد الرحيب

ورؤاها

فيك يا بلبل ما في الشعر من وحي تعوب
فيك ما في الفجر من رقة لألاء طروب
فيك ما في الكون من فن ومن سحر خلوب
فيك ما في الزهرة من شعر الدموع
فيك ما في الدمعة المنحدرة

من معاني

انفث الشعرَ ففي شعرك روح خالد
كلاماً هبَّتْ على تلك الزهور الراقده
أيقظت في صدرها نبضَ الحياة الهاجده
فاستفاقت تتغننى بِأَغَانِ ساجيه
وعلى أجفانها سحر نضير

وأمانِ

فيك يا طيرُ تَوَجَّسْتُ أَغَارِيدَ الْحَيَاةِ
وَتَسَمَعْتُ لِصَوْتِ ضَلِّ عَنْ قَلْبِي صَدَاهُ
فقدًا ينشده ، لكذبه خاب وتآه
فتهاوى مُضْرَمَ الْغَلَّةِ ، مشبُوباً صَدَاهُ
لأغَارِيدِ الْحَيَاةِ الضائعه

ولُغَاها

إنّ في صدركَ أوتار السّماء السّاجِعة
وبأعماقك أحلام الحياة الرائعه
وبآفاقك فجرا من حياة راتعه
في رياض الظهر في تلك المغاني الخالده
وبأجفانك أضواء عذاب

من سَمَاهَا

أنتَ لحن ساجر قد جسّم الدهرُ صداد
فغداً يهتف صداحاً بأنغام هواء
رامقاً في نَضْرَةِ الأزهار أطياف مُنْأه
ساكباً من قلبه الطّافح بالوحي لُحونه
في فؤاد الوردة المستمعه

لرخيمه

مِنْ نَشِيدِ الْقَلْبِ فِي ظِلِّ الْحَيَاةِ الشَّاعِرِهِ
مِنْ دَمُوعِ الْحُبِّ مِنْ سِحْرِ الْأَمَانِيِّ النَّاضِرِهِ
مِنْ لُطْفِ اللَّوْعَةِ فِي تَلْكَ الْأَغَانِي الْحَائِرِهِ
فِي عَيُونِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ ضِيَاءِ ضَاحِكَا
صَاغِكَ الدَّهْرُ مَلَكَ سَاحِرَا

برنيمه

أَنْتَ قَلْبُ الشَّاعِرِ الْمَتْرَعِ بِالْحُبِّ النَّمِيرِ
سَاءَ مَوْطِنُهُ الضَّنْكَ وَمَأْوَاهُ الْحَقِيرِ
فَهَبَا وَالشُّوقُ يُدْنِيهِ إِلَى النُّورِ النَّضِيرِ
ثُمَّ أَمْسَى بَيْنَ أَفْنَانِ الْغِيَاضِ الْعَازِفَةِ
شَاعِرًا يَنْشُطِرُ الْوَحْيَ الْجَمِيلِ

من حياته

صَوْتُكَ المشبوبُ من نار الحياة الخالده
جائشاً بالنَّعْمَةِ السكرى الطروب الشارده
يبعثُ الآمالَ بالنفس اليؤوس الخامده
مثلاً تنبعث البسمةُ من جفن الحَيَاةِ
حينمًا يستيقظ الفجر الجميلُ

بن سباته

النهضة ١ فيفري ١٩٢٨

دموع الألم

حسرات تُهيجها الذكرياتُ
ودموع تُفيضها الشبهقاتُ
وشجون تثير في القلب آلاَ
ما تغنني بصوتها الأناث
مَن لقلبٍ إذا تنهد حزنًا
صدت عنه الشجونُ والغصاتُ ؟

مَنْ لِنَفْسٍ إِذَا اسْتَحَرَّتْ أَسَاسَهَا
جَدَّتْ فِي عُلُومِهَا^(١) الْعِبْرَاتِ؟
كُلَّمَا مَضَتْهَا الزَّمَانُ بِرُزْءٍ
عَذَّبَتْهَا بِصَوْتِهَا الذِّكْرِيَاتِ
مَا أَمْضَى الْحَيَاةَ إِنْ سَاوَرَتْهَا
بَيْنَ هَوَاتٍ يَأْسُهَا الْحَسْرَاتِ
أَمَلٍ ضَائِعٍ وَقَلْبٍ عَنِيدٍ
مَزَقَّتَهُ الْخَطُوبُ وَالصَّعَقَاتُ
مَا نَدَبَتْ الْحَيَاةَ إِلَّا وَسَمْعِي
مِلْؤُهُ مِنْ نَشِيجِهَا شَهَقَاتُ

(١) ولعلها « عيونها » (ت. ب.) .

كلِّمًا طافت الحياة حوا
 لِيَّ هَوَتْ من جفونها العبرات
 ما كرهتُ الحياة إلاَّ لأنَّ النَّاسَ في راحة الردى حصوات
 وهي جِبَّارة تدوسُ بَنِيهَا
 وتُغَنِّي وهُمُ لَدَيْهَا رُفَات
 غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُهَا وهي تبكي
 فُأفَاقَت بمهجتي الزفرات
 آلَمَتني شجونها فتعمدَّتْ
 وطارتُ بغبطتي الهفوات
 وشَجَّتْني دموعُها فتألَّمتُ وغازتُ بمهجتي البسات
 عشتُ في حَوْمَةِ الدَّهْورِ بآرا
 ئِي وما تَسُرُّ الحَيَاة

وَعَدَاً إِنَّ قَصِيْتُ غَارَتُ شَجُونِي
وطواني لدى القبور السُّبَاتِ
فَنَسِيْتُ الشَّقَاءَ : الدَّمْعَ وَالْيَأْ
سَ وَنَامَتُ بِمَهْجَتِي الحَرَكَاتِ
وقضى في سكينتي طائرُ الحَزْزِ
ن وَأَغْفَتُ بِصَدْرِهِ النَّدْبَاتِ
هكذا يُلْجِئُ المَنُونُ فَوَادِي
وتَهَبُ الحَقَائِقُ الحَيَالَدَاتِ

النهضة : يوم الاربعاء ٢٥ جانفي ١٩٢٨

الأديب (*)

إنّ الأديب كزهرة نفاحة
تعنو إليها الصادحات وتسجد
بلّ بلبل ما بين أنسام المنى
تلقاه صدّاحَ الصدى يتفرّد
تشجيه ذكرى مجدّ شعب باذخ
ملاً الفضاء تلهبها لا يخمد

فينوح منتحبا على ما لم يعد
إلا ادّكارا مؤلما يتجدّد
ويقوده الوهم الجميل للجنة الأحلام منها ينتقي وينضد
فيصوغ من درر الخيال قلنداً
منها السعادة في الورى تتخلد
وإلى ملذّات الغرام ووهمه
تصبو أمانيه فلا يتردد
فيبثّ للظير المغرّد سرّه
ولذلك النهر الذي لا يهجد
إن هزّ بالكفّ البراعة أسلبت
دمعا هو السحر الحلال الأبد

أو جاس أطراف النجوم بلحمة
رجعت وفيها خاطر يتوقد

ويطوف ما بين الزهور كأنه
ملك حوالبه الكواعب تحشد

وبرشف الأزهار يسقي الراح من
أيدي النسيم فينتشي ويعربد

إن رام تقبيل الثغور بداله
نفر الأقاح ملبلا يتودد

أو رام نجوى فالبلابل جمّة
بين الرياض مدى الزمان تغرد

أو شاقه سحر العيون فإنّ في
تلك السهول جناذرا لا تُكمد

* هذه القصيدة نشرت باسم محمود خروف مرتين : الأولى في
جريدة النهضة يوم ١٦ فيفري ١٩٢٨ ، والثانية في جريدة الصباح في
٣ مارس ١٩٦٦ .

ويؤكد الشاعر نور الدين صمود نسبتها إلى الشابي فيقول : إن السيد
خروف يعترف ويقسم بأن القصيدة بأكلها للشابي أنظر مجلة الفكر العدد
العاشر جويلية ٦٦ ص ٦ - ٧ من موضوع (محارلة تحقيق وإحصاء لشعر
الشابي) لنور الدين صمود .

أنسيم يهب (*)

قصيد : لأبي القاسم الشابي . ردأ عن تهنة
شعرية تلقاها بمناسبة « زفافه » (١٩٣١) من
أحد أبناء عمومته « الشيخ عامر بن محمد
الصالح الشابي » .

الحمد لله وحده

أنسيمٌ يهبٌ في الأسفار

بين تغريد بلبل وهزار

أم أفاشيد معبد رتلتها
كالنسيات غانيات الجوّاري

أم أريج الزهور أم نغمة الأطيّار أم غنّة النهير الجّاري
أم تهانيك صاغها فكرك السامي فكانت خريدة الأشعار

يا سليل الملا ، وترب المعالي
وسمير العلوم ، رب الفخار

أنت من تسجدُ البلاغة والمجد على بابهِ بلا استكبار
تريه العلوم أوجهها الغرّ وتجنّيه ما بها من ثمار
إن يكن أسبغ الزمان على فوديك من شيبه جلال الوقار
فبجنبيك لا تزال من الهمة والمجد جذوة من نار

بسط الله في الحياة اليكم
عمرا طيبا بغير تبار

وأراك الله (١) ما شئت في أنجالك الغرّ من علا وفخار

فهم صحبتي وإخوارن نفسي
في ظلامي وفي بياض نهاري

هاته بنت وقتها فتقبّلها فما في قبولها من عار
ولتعش في الحياة مغتبط النفس قوى النهي يد الادهار^(١)

والسلام عليك من ابن أخيك

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

(*) هذه القصيدة نسخة عن الأصل المكتوب بخط الشاعر ، أمدتها
السيد محمد الصالح بن عامر الشابي مشكوراً . وقد احتفظ بها عن أبيه
المهدة له . ولم يسبق أن نشرت قط .
(١) أي أبدا .

Twitter: @ketab_n

اضافات جديدة

Twitter: @ketab_n

من حديث الشيوخ (*)

لقد خدعتني في الحياة شيشتي
ولكنني قد حنكتني التجاربُ
فقد كنت ألقى للدجى برغائي
فأبصرها فوق الدنى تتخاطبُ

(*) وردت هذه المقطوعة في الطبعة الأولى من كتاب زين العابدين السنوسي «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر». ونريد أن نلاحظ القارئ، معنا أن معظم هذه الإضافات مأخوذة من المرجع المذكور، وقد جمعها لدار العودة الشاعر التونسي نور الدين صمود.

الزنيقة الداوية (*)

فيدام عند سكون الدجى
إذا نسينا عذارى السحر
صدى يتهادى ، كنغم شجي
تطائر من خفقات الوتر
يُرغمه شجوننا المستكين لدى القبر ، تحت ظلال المسا

فتهجع تحت الثرى الهاجع جميعا ، على نفحات الأمى

(*) هذه الأبيات الأربعة من قصيدة الزنبقة الداوية كما نشرت في المرات الأولى ، ولكن يبدو أن الشاعر أجرى تعديلا فأضاف هذه الأبيات الأربعة مكان أربعة أبيات من القصيدة التي تحمل نفس الاسم .

الفتنة الساحرة (*)

قـلـي تـردى من علا صـهـوا
ت خـيـل الـهـوى فـفـدا أسـير فتاة
مـعـطـار ، غـاسـقة الفـروع عـلـيلة الأـجـفـان سـاحـرة بـعـين مـهـاة
تـرنـو ، فـتـغـزـو كل قـلـب ثـابـت
بـشـفـار أشـفـار وـحـد قـنـاة

ماء الحياة بخدها متموج
كتموج الأنوار بالمشكاة
مسكية الأنفاس وهنا بضة الأطراف ، آنسة بقلب صفاة
تعنو لها أسد العرين ذليلة
وتخر ، خشية طعنة اللحظات
سنة ١٩٢٧ أو قبلها

(*) هذه القصيدة لم تنشر من قبل في أي من الطبعات السابقة لديوان
أبي القاسم الشابي .. نشرت مرة في مرجع الاستاذ زين العابدين السنوسي .

الحياة (*)

مثلما تسكبُ الأشعةُ في قلب النهار الضجيجَ بعد السكونِ
يُولدُ المالُ في الحياة سُرورا
يتراءى بها خيال الجنون
يَحسبُ النامسُ بالحياة مجونا
والليالي ما إن لها من مجون

(*) هكذا نشرت هذه القصيدة - الحياة - في مرجع السنوسي المذكور .

بقظة هذه الحياة ومن فكر فيها يحيى حياة الحزين
ما بصدر الحياة إلا قروح
داميات مثيرة لشجوني

* * *

أي شيء هذي الحياة أوهم
سابع في مسارح التخمين ؟
أم تلاش يسير خلف وجود
وعصور تمر إثر قرون ؟

لا ، فما هذه الحياة سوى 'فلنك' ، سيرسي على ضفاف اليقين !
[إن هذي الحياة قيثارة الدهر وأهل الحياة مثل اللحون
نغم يستبي المشاعر كالسحر ونغم 'يخل' بالتلحين

والليالي مفاورُ تُلجِدِ اللحن ، وتقضي على الصدى المسكين [

* * *

إن في مهجة الحياة لهيبا
يَصهرُ القلب ، وهو صوت الأنين

إنما الغنَّةُ الضعيفة 'نوبُ'
صاعد من وراء صمتِ الشجون

إنما الأنة الضئيلة أصدا
ء عويل يُمِضُ روحَ الحزين

يتعالى الأنينُ من ظلمة الآلا
م يهفو ، كالليل المسجون

يخرق الليل، صاعداً نحو عرش الله-

هـ ، مستصرخ الاله الحنون

شاكيا ، ضارعا ، فويل لمن حظ

م قلبا ، من العذاب الهون

Twitter: @ketab_n

ترجمة حياة الشاعر

بقلم

محمد الأمين الشابي (*)

(*) محمد الأمين الشابي هو شقيق أبي القاسم ، عين أول وزير للتربية القومية أثر الإستقلال ، وهو الآن رئيس اللجنة الثقافية القومية التونسية .

Twitter: @ketab_n

أبو القاسم الشابي

١٩٠٩ - ١٩٣٤

هو من أبناء القرن العشرين الذين نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، أيام كان العالم العربي يتعثر بين حاضره الأليم وماضيه القريب المنقوص ، ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك

الفترة الإنتقالية ، إنما يلقون جحوداً وأذى لا تزيدهما
سيطرة الغرب على الشرق ، وشموخه بمحارقاته ،
ووثوقه بمصيره ، إلا احتداماً وسطوة لدى فريق واسع
من الخاصة والعامة على السواء .

بيد أن الشاعر لم يتردد كثيراً حتى عرف مره
فانضم إليه ، ثم صدح محلقاً إلى أن اختطفته يد المنون
وهو في ريعان الشباب .

كان والده^(١) من خريجي الأزهر ومن مجازيه ، وبه

(١) هو المرحوم الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي سليل أميرة « الشابية »
التي تمحضت للعلم بعد أن أنجبت في القرنين العاشر والحادي عشر هـ ، من حملة
القلم والسيف ، من اكتسبت بمساعيمهم مجداً سجله التاريخ التونسي .

درس أولاً ، فأقام بمصر في أوائل هذا القرن سبع سنين ، ثم درس بتونس بجامع الزيتونة سنتين ، حصل بعدها على « التطويح^(١) » ، ثم سمي قاضياً شرعياً لسنة من ولادة بكره أبي القاسم فتصرف في قضاء كثير من البلدان التونسية .

كان يقضي يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل حيث يتبسط مع أهله ، ولقد نشأ أبو القاسم في سني تكوينه الفكري والخلقي في كنف رعايته الصالحة يقتبس من علمه وآدابه . كان رحمه الله صادق التقى ، قوي

(١) هي إجازة نهاية الدراسة بالكلية الزيتونية في ذلك العصر .

العقيدة لا يخشى في الحق لومة لائم ، له غيرة على
شؤون المسلمين والإسلام ، تنفعل نفسه بما يجري
آنذاك من أحداث بالشرق العربي وطرابلس الغرب
أو بلاد الريف .

قال الشاعر متحدثاً عن أبيه : « إنه أفهمني معاني
الرحمة والحنان ، وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم
وأقدس ما في هذا الوجود (١) »

لم يذشأ أبو القاسم بمسقط رأسه ، فقد خرج عنه

(١) كتاب « الخيال الشعري عند العرب » صفحة الإهداء - وقد
أهداه لواء له .

في سنته الأولى ولم يكده يعرفه إلا قليلاً ، أثناء
قَدَمَتَيْنِ أقام فيها نحواً من ثلاثة أشهر ، الأولى عند
ختانه في الخامسة من عمره ، والثانية زائراً (١) ،
وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في
بحرها بالبلاد التونسية طويلاً وعرضاً ، متنقلة من قابس
إلى سليانة فتالة ، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل
فرغوان . وبين هذه المدن من الأميال ما يقدر بالمئات
أحياناً ، وعلى نسبة ذلك اختلافُ العادات واللهجات
والمشاهد الطبيعية . فلم تكن واحة قابس كبساتط
مجاز الباب يغمرها الحصيد ، ولا هذه كبساتين رأس

(١) الملاحظ أن كتاب رسائل الشابي يحتوي على عدة رسائل .

الجلب ، أو كجبيل زغوان يعكسوه شجر الصنوبر ،
ولم يكن حره قابس كثلوج تالة ، ولا حياة الفلاحين
بمجاز الباب كحياة صيادي البحر بقابس أو رأس
الجلب ، ولا طباع أهل الشمال كطباع أهل الجنوب .

هذه مراحل أبي القاسم وشبابه عملت على تضخم
تجربته ، وتدفق شاعريته ، وازدهار ريشته ، بيد
أن الشاعر أفاد ما يفيد كل عابر سبيل متيقظ
واع ، إذا ما استقر بأرض كان ربيبتها لا أبنها
الأصيل . فأطلقه هذا المصير من حدود البيئة الضيقة
وأكسبه « تونسية » إنسانية الآفاق .

قدم أبو القاسم إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ -

١٩٢٠ م . للدراسة بجامعة الزيتونة في الثانية عشرة
من عمره ، وقد تكون سريعاً ، وقال الشعر
باكراً (١) . كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية بحثة

(١) قصيدة (يا حب) (*) التي أثبتناها بالديوان ، نظمها سنة ١٣٤٢ هـ -
١٩٢٣ م وقد وصف صديقه الأستاذ زين العابدين السنوسي طريقته في
وضع قصائده ، فقال : (إذا رجعنا إلى أدبائنا المعاصرين عرفنا أن المرحوم
أبا القاسم الشابي لم يكن يستنزل الشعر ولكنه كان يفيض عليه مهاجمة تمنعه
الراحة والنوم ، فيصوغ القصيدة بيتاً بيتاً ويتهجى كل واحدة بمفردها في ليله
وظلامه الدامس ولا تفارقه تلك الحال حتى يستفرغ ما جاش بضميره شعراً
محكماً . ثم ينام مطمئناً كأنما نزع عن ظهره عبئاً ، حتى إذا استيقظ في الغد
متأخراً وجدها على طرف لسانه ونسخها عن ذاكرته مطمئناً ، وربما طاش
عنه الشطر فلا يرضى أن يعوضه أبداً ، وتبقى القصيدة بترأ في جيبه يقرؤها
علينا بترأ لا يحسر على ترقيعها أبداً . إلا أن يتذكرها ولو بعد أشهر فيتها
ويُدسّخها في كنانة) .
(*) مكتوبة من الشابية بتوزر (! ؟) .

جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر ، ولم يكن يعرف لغة أجنبية ، فتمكن بفضل مطالعته الواسعة من استيعاب ما تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب وحضارته . وكانت أول نشراته في الصفحة الأدبية التي كانت ترتبها « النهضة » كل اثنين - سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٦ م . وفي سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م . ظهر شعره مجموعاً في المجلد الأول من كتاب « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر » ^(١) وفي نفس السنة ألقى ببنادي

(١) تأليف الأستاذ زين العابدين السنوسي (انظر الجزء الأول من صفحة

٢٠٢ حق صفحة ٢٥٤) .

قدماء الصادقية محاضرة حول « الخيال الشعري عند العرب » كانت مادة الكتاب الذي نشر بنفس العنوان في السنة التالية .

وإنك لتجده وهو يواصل دراسته ويضع شعره في صميم حركات الإصلاح التي كانت تعتلج بها النفوس آنذاك من بعث حركة الشبان المسلمين ودعوة لتجديد الجهاز الثقافي التقليدي ، ومناصرة حركة تحرير المرأة^(١) ودعوة لتجديد في الأدب تحتل المكان الأول

(١) ناصر الشاعر صديقه المغفور له الطاهر الحداد واضع كتاب « امر في الشريعة والمجتمع » الذي اثار ردوداً حارة وسخطاً عنيفاً .

من نفسه وقد أحدث كتابه « الخيال الشعري »
الضجة الكبرى واستهدف الشاعر بسببه لمحة صحفية
عنيفة ثبت لها ثبات الرائد المؤمن بما يقول .

نشرت هذه الآثار في حياة والده ، فلم ينكر عليه
مذهبه ، ووجد الشاعر في تسامح أبيه ما يعزز جانبه
وفي هذه الأثناء (سنة ١٩٢٩) نكب بوفاة والده
المحجوب ، ولقد رافقه عليلاً من بلد « زغوان » إلى
« توزر » مسقط رأسه ، وتجرع غصص مرضه ،
وظفحت الكأس بموته وهو في الخمسين من عمره ،
فاضلع بأعباء عائلة كبيرة واختار طريقاً وعراً ،
فإنه - ضناً بحرية الأديب والشاعر - لم يلج باب

الارتزاق من المناصب الحكومية ورضي ب حياة بسيطة
على رأس أسرته بتوزر حيث تزوج (١) ، ولعل هذا
الذي عناه بعضهم حين قال : « كنا نرى في نفسه
الزكية مثال القناعة في أفضل ألوانها والطموح على خير
وجوهه (٢) » .

وفي السنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب ، وهو

(١) ما زالت زوجته على قيد الحياة وقد انجب منها ولدين اولهما محمد
سمي بأسم والد الشابي وهو ضابط في الجيش التونسي ، والثاني (جلال)
وهو موظف .

(٢) مجلة « العالم الادبي » (شعبان سنة ١٣٥٣ - نوفمبر
سنة ١٩٣٤)

في الثانية والعشرين من عمره ، بيـ ٣ أنه رغم نهى
الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري ، وواصل إنتاجه
نثراً وشعراً . وقد نشرت له سنة ١٩٣٣ بمجلة «أبولو»
المصرية قصائد عملت على التعريف به في الأوساط
الأدبية بالشرق العربي ، وإلى أبي القاسم أو كل صديقه
الدكتور أحمد زكي أبو شادي تصدير ديوانه
«النبوع» .

لم يكن الشاعر المريض يغادر «توزر» إلا في
الصيف ويقصد المصطافات الجبلية كعين دراهم بالشمال
التونسي سنة ١٩٣٢ ، والمشروحة ببلاد الجزائر
سنة ١٩٣٣ .

وشرع أثناء مصيف سنة ١٩٣٤ في جمع ديوانه «أغاني الحياة» بنية طبعه بمصر^(١) فانتسخه بنفسه بحامة الجريد، مستمينا ببعض أدباؤها، لكن باغته المنية وحالت دون ما نوى. فقد انتابه المرض بغاية الشدة وقصد «تونس» يوم ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٤ وبها توفي^(٢) سحرا يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤، ثم نقل جثثانه إلى بلده (الشابية قرب) «توزر» حيث

(١) حيث تطوع الاستاذ ابو شادي للاشراف على طبعه.

(٢) بالمستشفى الايطالي «القديم» بحي «مونفلوري». (ويسمى الآن مستشفى الحبيب تامر).

قبره . (ثم نقل إلى توزر أمام دار الثقافة بين
النخيل) .

* * *

نحيف الجسم ، مديد القامة ، قويّ البديهة ،
سريع الإنفعال ، حادّ الذهن تكفكف رقة طبعه
من غرب عاطفته وحدة ذهنه يراه أصدقاؤه « بشوشاً ،
كريماً ، وديعاً ، متأنقاً ، طروباً لمجالس الأدب يحب
الفكاهة الأدبية ، ^(١) ، و يراه من لم يخالطه حياء
محتشاً ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة
قوية يبدئها خاصة خلطائه في غير ما تخرج من
اجتمع بهم ويجاهر بها العموم في شعره ونثره . وكان

(١) العالم الأدبي ديسمبر ١٩٣٤ بقلم المغفور له البشير الفورتي عميد
الصحفيين التونسيين .

محباً لبلاده ، صادق الوطنية (١) يؤمن بأن لقادة

(١) أبتنّه في ذكره الأربعة المرحوم الطاهر صفر احد قادة الحركة الوطنية الممتازين إذ ذلك واحد اعضاء الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي بما خلاصة : (تكلم الأستاذ صفر نيابة عن قدماء الصادقية عن شاعرنا الفقيه فأكبر روحه الأدبية ونبوغه الشعري وأشار إلى الناحية الوطنية والإحساس الفياض الذي كان الشاعر يفيض به عن آمال بلاده وآلامها ، وقد ذكر الخطيب انه اجتمع مع فقيدنا الشابي في بلدة طبرقة حينما كان الشاعر في حال شديدة من الالم ، وقد دار إذ ذلك الحديث بين الشاعر والزعيم في الوطنية عما يؤمله للشعب التونسي ، من التقدم ورثى الشاعر لحال الشعب الآن ، وقد عبر عن ذلك في قطعة شعرية وطنية نشرتها جريدة « العمل » بعد (٢٢) ، « العالم الأدبي » في ديسمبر سنة ١٩٣٤ .

الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها
في أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً .

تونس في ١٢ من افريل سنة ١٩٥٤ .

م . ا . ش .

فهرست

٧	دراسة وتقديم
٤٩	الغزال الفائق
٥٣	أياها الحب
٥٥	خلة الموت
٥٦	النجوى
٥٨	تونس الجميلة
٦١	شعري
٦٤	الصيحة

٦٧	في الظلام
٧٠	جمال الحياة
٧٣	من حديث الشيوخ
٧٥	نظرة في الحياة
٧٨	الحياة
٧٩	أنشودة الرعد
٨٢	غرفة من يم
٨٦	مأتم الحب
٩٠	الكتابة المجهولة
٩٥	شكوى اليتيم
٩٨	الزنبقة الزاوية
١٠٢	يا شعر
١١٨	إلى الطاغية

١٢٢	السامة
١٢٥	أغنية الأحزان
١٣٣	الدموع
١٣٧	أيها الليل
١٤٨	المجد
١٥٠	الحب
١٥٢	جدول الحب بين الأمس واليوم
١٥٨	سر مع الدهر
١٥٩	الذكرى
١٦٢	الطفولة
١٦٤	قالت الأيام
١٦٦	المساء الحزين
١٧١	بقايا الحريف

١٧٥	أغنية الشاعر
١٧٩	في فجاج الآلام
١٨٥	مناجاة عصفور
١٩٢	يا رفيقي
١٩٦	إلى الموت
١٩٩	إلى عازف أعمى
٢٠٢	صوت تائه
٢٠٦	قبضة من ضباب
٢٠٨	نشيد الأسي
٢١٤	قلت للشعر
٢٢٠	يا ابن أمي
٢٢٢	أغاني التائه
٢٢٦	إلى قلبي التائه

٢٣٠	أكثر يا قلبي فماذا تروم
٢٣٤	يا موت
٢٣٩	إلى الله
٢٤٦	النبي المجهول
٢٥٧	الأبد الصغير
٢٦٣	صفحة من كتاب الدموع
٢٦٧	الجمال المنشود
٢٧١	طريق الهاوية
٢٧٥	يا حماة الدين
٢٧٩	شجون
٢٨١	الأشواق التائهة
٢٨٥	أحلام الشاعر
٢٨٨	قيود الأحلام

٢٩٢	(٢)
٢٩٤	رثاء فجر
٢٩٦	أنا أبكيك للحب
٢٩٩	أبناء الشيطان
٣٠٣	صلوات في هيكल الحب
٣١٥	أراك
٣١٩	فكرة الفنان
٣٢٤	سر النهوض
٣٢٥	قلب الأم
٣٣٤	حديث المقبرة
٣٥٠	في ظل وادي الموت
٣٥٥	الساحرة
٣٦١	الجنة الضائعة

٣٦٨	السعادة
٣٧٢	من أغاني الرعاة
٣٧٨	أيتها الحاملة بين العواصف
٣٨١	للتاريخ
٣٨٣	صوت من السماء
٣٨٦	ذكرى صباح
٣٩٣	الرواية الغربية
٣٩٥	الصباح الجديد
٣٩٩	ألحاني السكرى
٤٠٦	إرادة الحياة
٤١٤	تحت الغصون
٤٢٦	إلى الشعب
٤٣٧	الناس
٤٣٩	متاعب العظمة
٤٤٠	نشيد الجبار

٤٤٨	زوبعة في ظلام
٤٥١	الإعتراف
٤٥٣	قلب الشاعر
٤٥٧	إلى طفلة العالم
٤٦٠	الغاب
٤٧٣	حرم الأمومة
٤٧٥	شكوى ضائعة
٤٨٠	الدنيا الميتة
٤٨٤	فلسفة الثعبان المقدس
٤٩٢	قال قلبي للأله
٤٩٤	زئير العاصفة
٤٩٧	إياك
٤٩٨	كهرباء الغرام
٤٩٩	صيحة الحب
٥٠٤	وعود الغواني

٥٠٦	ليلة عند الحبيب
٥١١	ليت شعري
٥١٤	في سكون الليل
٥١٨	إلى البلبل
٥٢٥	دموع الألم
٥٢٩	الأديب
٥٣٣	أنسيم يهب

إضافات جديدة

٥٣٩	من حديث الشيوخ
٥٤٠	الزنبقة الزاوية
٥٤٢	الفتنة الساحرة
٥٤٤	الحياة
٥٤٩	ترجمة حياة الشاعر
٥٥١	أبو القاسم الشابي

